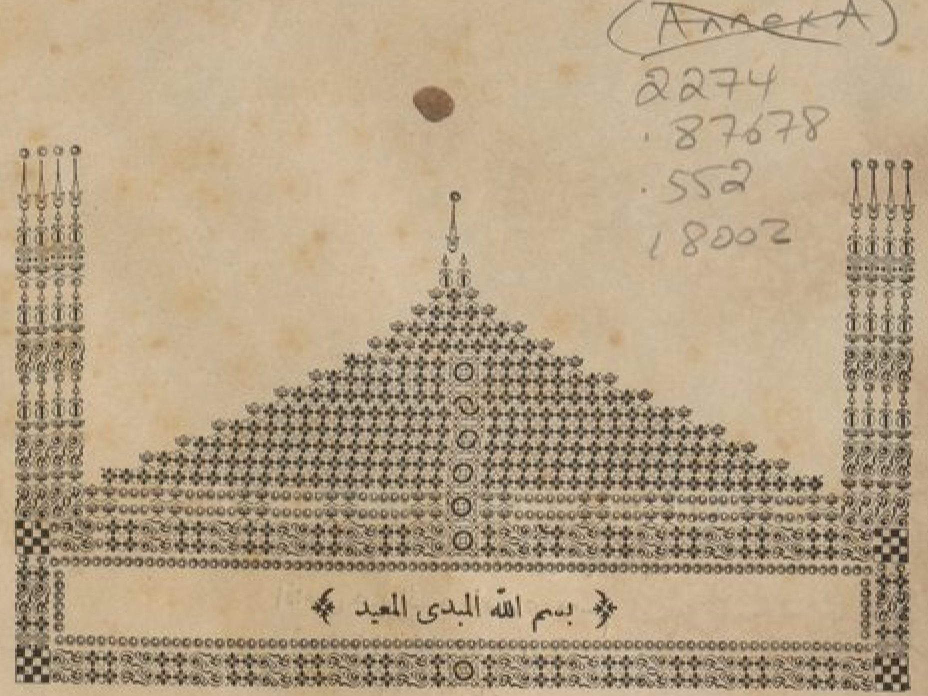




Misri

سلوان الشجى فى الرد على ابراهيم البازجى تاليف
اللبيب اللوذعى الاريب الالمعى ميخائيل
افندى عبد السيد المصرى معلم
اللغة الانكليزية بمدرسة
الاميريكان
بالقاهره
م






الحمد لله الذى انطقنا بلسان العرب * وشرف منزلة اهل الادب * وجعل بينهم لحمة كلحمة النسب * وحمى حقيقتهم من كل معتد عليهم فيما قال او كتب * ورد كيدهم فى نحورهم فما استقام لهم عمل ولا استتب * ولم يتسن لهم فيما ارادوه من ارب * فباؤا فى وبال وحرب * ورجعوا بصفقة المغبون فى شر منقلب * والصلوة والسلام على انبيائه واوليائه الكرام ذوى المعالى والرتب * الذين بلغوا امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فى جميع الحقب * اللهم يامن افحم كل مكابر حسود * وكل من هو لآلائك جحود * بساطع الادله * البازغة فى سماء اليقين كالاهله * وحسم بقد وقط اوصال الجهال * الذين عرجوا الى الضلال * وعدلوا عن الهدى * وجنحوا الى الردى * وادحض دعاويهم المختلة المخفوضه * ونسخ اقوالهم المملة المنقوضه * ورمى بالكساد * حرفة اصحاب الفساد * انا نشكرك شكرا يعجز الانسان عن تعبيره * واللسان عن ذكره والقلم عن تسطيره * ونسألك اللهم ان تشرح صدورنا بانوار هدايتك فهى اعظم مطلوب * وتشد اسرنا باقوال الحق الوثيقة فهى انفس مرغوب * وان نحل عرى البهتان * ببتار الحجة والبرهان * وتنير

بشموس

بشموس الحقائق * وبدور الدقائق * عقل من سلك فى غياهب الشكوك المدلهمه * التى ذهبت بماله من البصيرة والتصور والهمه * وان تبعدنا عن مساوى الافعال * التى تتهافت عليها الارذال * وتحفظنا من الغوايه * التى ارتكبها عديموا الدرايه * اما بعد فلا يخفى ان الحسود لنفسه ظالم * وحسده له كد دائم * وحزن ملازم * لجسمه منه ناحل وعقله هائم * وبلباله لاتخمد ناره * ولايتوارى اواره * ولايطفأ سعاره * ولا يزال كئيبا مغموما * وحيثما سار مذموما * ومن آلآء المولى سبحانه وتعالى محروما * كيف لا والحسد هو اكبر العيوب * ودعامة الذنوب * وداء الكروب * ومفسدة للافكار والقلوب * وهو لعمرى صفة صاحب الجنان * وحبيبه وخليله ابراهيم اليازجى المبان * هما اللذان حسدا صاحب الجوائب على ما ناله من شهرة الفضل والبراعة فى هذا الزمان * فتغاويا عليه ونشرا ذمه فى الجنان * وتماديا فى تخطئته بالزور والبهتان * اما ترجمة صاحب الجنان فهو ابو الحسد الذى قاده الغرور بحبل من مسد * وتنآى به الافترآء الى ابعد امد

اذ لم تصن عرضنا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

ولما ان سرى هذا الدآء والعياذ بالله فى دمه ولحمه * وخالط جميع آرابه وعظمه * لم يقف على حد فى القذف والطعن * ولم يخف شيا مما اكن قلبه من الضغن *

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالقوم اعدآء له وخصوم

ولله در الحسد ما اعدله * بدا بصاحبه فقتله *

الاقل لمن بات لى حاسدا * اتدرى على من اسأت الادب
اسات على الله فى حكمه * لانك لم ترض لى ما وهب

وصاحب الجوائب اذ ذاك نابذه فى زوايا النسيان * ورامیه فى مرامى الامتهان * لانه ليس بذى رشد حتى يعتب عليه * او بذى عقل حتى ينظر اليه * اخذا بقول من قال *

دع الحسود وما يلقاه من كمد * يكفيك منه لهيب النار فى كبده
ان لمت ذاحسد نفست كربته * وان سكت فقد عذبته بيده

وقال آخر

وما انا من كيد الحسود بخائف * ولا جاهل يزرى ولا يتدبر

وقال آخر

ماضرني حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذووا التقصير

وقال ابو تمام

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقد عرف كل واحد ان صاحب الجنان هو من فاسدى الذهن والتصورات * وقليلى المعلومات * تدل عليه اقواله وكتابته وعبارته فانك تجدها فى غاية الركاكة والتعقيد الذى ينفر منه كل ذى ذوق سليم * وطبع مستقيم * حتى انه شاع وذاع * وملأ الاسماع * ولاسيما عند ادباء مصر * اهل النقد فى النظم والنثر * ان جنانه هو مخزن الاستعارات البارده * والالفاظ الشارده * والثرثرة المعله * والمماحكة الممله * حتى صارت هذه الصحيفه * مثلا يكنى به عن الاقوال السخيفه * والالفاظ السقيمه * والتشابيه المذمومه * فحيثما وجدت عبارة غير مسبوكة فى قالب العربية * قيل انها عبارة جنانيه * وركاكة بستانيه * ولذا قال بعض الادباء اذا لم تبطل هذه الالفاظ الجنانية الانثويه * تفسد اللغة العربيه * وقد اشار الى ذلك الاريب البارع سليم افندى نوفل فى نقده كلام الجنان غير مرة فاصاب * وجرد الحق عن الشك والارتياب * ويا ليت صاحب الجنان اقتصر على السفاهة مرة واحدة او مرتين * بل شحن بها اربعة اجزاء من الجنان وكلها مبنية على التمويه والمين * والشواهد الباطله * والاستنادات العاطله * والسفسطة التى لا يسلم بها عقل ولا طبع * ولا عرف ولا شرع * والاغاليط التى ابتكرها من دماغه * والاعتراضات التى تدل على تجرد مخه من المعلومات وفراغه * والسقطات الفظيعه * والدعاوى الكاذبة الشنيعه * كما يعلم مما سياتى هذا من جهة العلم فاما من جهة العمل فانه فى اثناء رفده الكتاب اللغة الذى سماه محيط المحيط ترجى بعضا من اهل الخير ان يرفدوه ويعينوه بان ياخذوا منه خمسمائة نسخة وشرط على نفسه بانه فى مقابلة ذلك يقدم لهم الكتاب بنصف الثمن الذى يبيعه به فى الخارج بعد ان موه لهم بكثرة اقواله الكاذبة انه كتاب لم ينسج احد على منواله وهذر لهم هذرا كثيرا وفشر فشرا كبيرا حتى اغتروا بكلامه وظنوا السراب ماء فاولوه ما طلب فلما فرغ من الكتاب وجد انه مشحون بالغلط والتحريف الذى لم ينسج احد على منواله فلم يرسله اليهم بعد انتهاء الطبع بل تركه عنده ليصرف منه ما يمكن تصريفه

فكانوا

فكانوا يرسلون اليه يستعجلونه فيقول لهم ان الكتاب لم يجلد بعد فطلبوا اعادة دراهمهم فعند ذلك ارسل اليهم نسخهم واذا بها من سقط المتاع غير جديرة بان تشرى او تباع * لكثرة ما فيها من الغلط والتحريف * والخلل والتصحيف * فجازاهم عن الاحسان بالاساءة * ولم يبال بما فى ذلك من اللؤم والدناءة * فما كان اغناه عن بيع الخطأ والتحريف بالمال * والتهور فى الاغواء والاضلال * لاجرم ان من ادخل فى اللغة العربية ما ليس منها وعلم الناس ان ينطقوا بما لم تنطق به العرب فهو مضل لامحالة ومع ذلك فان هذا المغرور لم يزل مصرا على غوايته فى اعتقاد كون كتابه مغنيا عن جميع كتب اللغة وفى تقاضى الناس ان يمدحوه عليه حتى انه لم يخجل من ان ينقل فى الجنان تعريب كتاب ورد اليه من بعض العجم على وجه التقريظ فاستغنى بتقريظ العجم عن تقريظ العرب فاين هذا المغرور المنتفخ بالكبر والدعوى من صاحب الجوائب الذى قرظ تاليفه سر الليال علماء مصر والشام والعراق والغرب ولم يدرج الا بعضها وصاحب الجوائب هو الاديب البليغ احمد افندى فارس له اليد الطولى فى الانشاء * فيوشى الدر من معادنه احسن ايشاء * ويدنى البعيد كيف شاء * ويتصرف فى العبارة احسن تصرف وياتى بجوامع الكلم * ويجيد النظم والنثر على حد سوى ونسق منتظم * امتدحه الشعراء والنجباء * والعلماء والادباء * وهو محترم عندهم وله منزلة كريمة لديهم

هيهات ان ياتى الزمان بمثله * ان الزمان بمثله لبخيل

اما ترجمة ابراهيم اليازجى فهو صاحب السفاهة الكبرى * والقذف والافترا * لم تكد عبارة له تخلو من التعقيد * والتطاول والتنديد * وقد بلغنى ممن يوثق بكلامه انه من اهل الاسواق * واولاد الزقاق * وانه حاول ان يدخل احد المكاتب ليتعلم فيها بعض العلوم الابتدائية وحيث كان خامل القدر * منسى الذكر * اراد ان يحصل على شهرة بتخطئة صاحب الجوائب فحصل ما اراد * وان كان على طريق الفساد * لانا قبل وقاحته هذه لم يكن لنا علم بوجوده بين الاحياء * ولم يذكره ذاكر فى الاحياء * ولكن شتان من اشتهر بالفضائح * واول ما عرف منه انه انغمس فى القبائح * ومن له جوائب تجوب الارض شرقا وغربا * وتهدى الى الناس من كل فن وحكمة ضربا * ومع ذلك فان هذا المفترى يقول فكانما اوغر ذلك صدره وكبر عليه امر تخطئتى فاقول له كيف لايكبر عليه ذلك واعتراضاتك كلها مبنية على

السفسطة البستانيه * والشقشقة البهتانيه * ومن انت بين الناس حتى تاتى هذه الخطئة وتنشرها فى قرطاس * ولكن لا عجب فقد قيل

ومن جهلت نفسه قدره * راى غيره منه ما لا يرى

على انه خطأه فى اشياء كثيرة استعملها ابوه الذى ادعى له العصمه * بل هو وارد ايضا فى كلام الائمه * فكان عليه اولا ان يصلح عبارة ابيه ثم يتصدى لتخطئة من سواه ولعله معذور فى ذلك لان سحاب الجهل قد غطى على بصره * وديجور الضلالة غشى على عقله ونظره * فصار لا يفرق بين الحق والباطل * ولا يميز الحالى من العاطل * (اما قوله) واذا به قد عدل عن المسافهة والمهارة لجوابه ان صاحب الجوائب لم يصفه الا بما فيه من الاوصاف القائمة به فما باله يتبرأ من اوصافه افلا يدرى ان صاحب الجوائب متعين عليه حتما ان يخبر بالواقع فلله در ابى الطيب حيث قال

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فهل ينكر على محرر الجوائب ان يذكر صفات ذلك اللئيم وهو الاديب الواضع كل امر فى موضعه والآتى لكل مقام بما يناسبه فهل هذا مسافهة او اخبار بالواقع (واما قوله) فعجبت من ارتكابه هذه الخطة المنكرة اقول لا تعجب فانه لكل مقام مقال * ولكل دولة رجال * وانما العجب العجاب من زهوك وخرقك وعجرفتك وتطاولك على اهل العلم والادب * وليس لك الى علم الخطة المنكرة من سبب

بالارض اسناههم عجزا وانفهم * عند الكواكب بغيا يا لذا عجبا

اما قوله لانا كنا فى اول الامر قد دخلنا من باب المناظرة الادبية ولم تكن فى شى من قصد المهاجاة والمشاتمة فاقول له من انت حتى تدخل فى هذا الباب والحال انك تحاول الدخول فى احد المكاتب لتتعلم بعض العلوم الابتدائية فهل تحسب نفسك يا غوى من رجال المناظرة الادبية

كل من يدعى بما ليس فيه * كذبته شواهد الامتحان

وما احراك بقول الآخر

جهلت ولم تعلم بانك جاهل * ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

وقال آخر

اخالك لم تعلم ولست بعالم * بانك لاتدرى وذا غاية الجهل

فصحى لك ان تعرف اولا نفسك حتى تهذبها ثم تعرف قدر منزلتك ومبلغ فهمك ثم تعمل بحسب ذلك ( واماقوله ) ولا كان عندى انه اذا دعت الحال الى مثل هذا يتنازل الى المواطأة عليه ويرضى به لنفسه لجوابه كما ذكر سابقا وهو ان صاحب الجوائب لم يوقع امرا فى غير محله بل وضع كل شى موضعه فما احتاج الى دليل استدل عليه * ومالم يحتج الى اسهاب من الكلام اكتفى بمجرد الاشارة اليه * فلم يخرج عن حد المناظرة * ولم يكن قصده فى كل ما اورده سوى اظهار الحق مجاهرة * فما هذا المين الذى اضافه ابن اليازجى الى سفاهته ولكن

لايكذب المرء الا من مهانته * اوعادة السوء او من قلة الورع

ومن استحلى الكذب عسر عليه بعد ذلك فطام نفسه عنه ( اما قوله ) ولقد كنت احسب ان تمادى الايام قدحان له ان يهذب من اخلاقه ويمكن عنده اسباب الحلم والدماثة والصبر على المكروه اكثر مما ارى من نفسه هذه المرة فاذا دمه لم يزل على حرارته المعهودة ايام كانت تلك النار تفرى بفحم الشباب اقول هذه سفاهة بستانية سوقية ومهاترة جنانية زقاقية فان صاحب الجوائب مشهور بدماثة الاخلاق ولم يرو عنه قط انه خاصم احدا او تعدى على احد وانما يخاصمه السفهاء من الناس امثال ابراهيم اليازجى فاذا اعتدى عليه معتد فمن الضرورة ان يدفع اعتداءه وحسبك ان الناس قد عرفوا هذا الرجل الكامل منذ سنين كثيرة وما احد نسب اليه شيا من المنكر كما ادعى هذا اللئيم اما حاسده هذا فاول ما عرف الناس منه شيا القذف والبهتان والاعتداء على اهل الفضل والعرفان فاقول له

ياليت لى من جلد وجهك رقعة * فاقد منها حافرا للاشهب

واقول لاخلاق صاحب الجوائب

سلام على تلك الخلائق انها * مسلمة من كل عار ومأثم

وقال آخر  خلائق كالحدائق طاب منها النسيم واينعت منها الثمار

ولست انا المنفرد بهذا القول وحدى بل جميع العلماء والادباء تقوله واعظم شاهد عليه مدحهم له فى قصائدهم وتقاريظهم

والناس اكيس من ان يمدحوا احدا * مالم يروا عنده آثار احسان

فليقل لنا هذا المفترى اى الادباء والعلماء امتدحه وشهدله بدماثة الاخلاق او الصبر

على المكروه لاجرم انه هو نفسه المكروه وان صاحب الجوائب هو المكسر جوع ذوى البهتان بسالته والمدحض اقوال المفترين ببراعته ولذا قال عنه اللئيم ان دمه لم يزل على حرارته المعهودة اى انه الغشمشم الذى يحطم جماعات المتانثين الذين خلعوا لباس الحياء والادب واتخذوا المماحكة لهم اربا وبئس الارب ( اما قوله ) فكانما كان ثلج المشيب ادعى الى المبالغة فى ايقادها فاقول ان هذا المعنى قد كرره صاحبه البستانى فى الجزء الثالث من الجنان فالظاهر انهما قد تواطأا عليه وحاصله انكار معرفة الانسان حقه عند المشيب وتركه اراذل الشبان يعتدون عليه مع ان الاولى احترام الشبان للشيوخ فان الشيب كرامة للشيخ ونعمة من المولى عليه فهل يسوغ ان شابا رذلا يحتقر هذه النعمة على ان البستانى نبس بالاهيف الغيسانى خبالة يعيب شانه وصفته وفى الجملة فانه كلام لايتفوه به الا اجلاف الناس والسفلة الارجاس فهذه غمار معرفته الزقاقية وهى فيه غريزية ومن الصعب الاقلاع عن الامر الغريزى فلا تعجب اذا من تكرير هذه السفاهة

يعاب الفتى فيما اتى باختياره * ولاعيب فيما كان خلقا مركبا

اما قوله انه الم بابى المرحوم وخطأه عبثا فاقول اولا ان الالمام هنا ليس له معنى فان الناس يلمون بالاحياء لا الاموات وثانيا ان صاحب الجوائب لم يتعمد تخطئة ابيه عند ايراده لفظة الفحطل ولو كان قصده هذا لاورد لفظة الركب فى قول ابيه صفحه ٢٧٥ حتى امتلأ دلوه الى عقد الركب ضبطها بكسر الراء وفتح الكاف وصوابها الكرب محركة وهو ماخوذ من قول الفضل بن عباس بن عتبة بن ابى لهب

من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

وهو مثل والكرب الحبل الذى يشد فى وسط العراقى ثم يثنى ويثلث ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير ومثل ذلك قوله فى صفحة ١٥٥ واعتذروا من الاجحاف بالخليق وصوابه الاجحاف بتقديم الجيم وما كفاه هذا التصحيف فى المتن حتى كرره فى الشرح بقوله يقال اجحف به اى انتقص منه وهى مثل لفظة الفحطل فى كونها وقعت غلطا فى المتن والشرح مع ان المصنف ذكر فى آخر الكتاب ان المتن يدل على صواب الشرح وقوله فى صفحة ٥٨ ونهض معها راكبا جنح النعامة والصواب جناح ومثله قوله فى ص ١٠٢ حتى اذا جنح الظلام رفرف اما لحنه فى الحركات فما لايعد ولايحصى فن ذلك قوله فى صفحة ٥ ويشفى من السقام ضبط السقام بالضم

بالضم وهو بالفتح وقد اعاد هــذه اللفظة مرتين على الخطا فى ص ١٠٧ وقوله ايضا فيها جمع ترقوة بضم التاء والصواب بفتحها وقوله فى صفحة ٨ يحتمل ان يكون من الثقل الذى يستعمل كالفاكهة ونحوها ضبط الثون بالكسر والصواب الفتح قال فى القاموس والثقل مايتنقل به على الشراب وقد يضم اوضمه خطأ وعادة القاموس انه اذا اطلق يتعين الفتح وقوله كالفاكهة ونحوها لا معنى له ومن ذلك قوله فى صفحة ١٣ ثم قمنا نتذاكر السمر بضم السين والصواب الفتح قال فى القاموس والسمر محركة الليل وحديثه وقوله فى صفحة ١٩ سورة المدام بضم السين والصواب الفتح وقوله فى صفحة ٢٢ طرق تعنى لضبطها بسكون الراء والوجه ضمها وقوله فى صفحة ٢٣ البس لكل حالة لبوسها بكسر الباء من البس والصواب فتحها لانه من باب سمع وصواب اللبوس الفتح وهو ما يلبس قال فى الصحاح واللبوس مايلبس وانشد ابن السكيت

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

ومن ذلك قوله فى صفحة ٣١ فخذهما بهذه السفتجة ضبط السين بالفتح وفسرها بكتاب الحوالة والصواب الضم قال فى القاموس السفتجة كقرطقة ان تعطى مالا لآخر الى ان قال وفعله السفتجة وقوله فى صفحة ٣٤ قال لبيك وسعديك ضبط اللام بالضم والصواب الفتح وقد اعاد هذه اللفظة على هذا الغلط فى موضع آخر وفى صفحة ٣٦ الصن والصنبر ثم الوبر ضبط الباء من الوبر بالفتح والصواب السكون كما فى القاموس وقوله فى الصفحة المذكورة والعاطف الخطى والمومل كذلك الاطبم والسكيت والصواب حظى بتقديم الحاء على الظاء والسكيت على وزن كميت لا على وزن سكير وفسيق وفى صفحة ٣٩ فقالوا لله درك ما اقواك فى الحجة تعنى لضبطها بالكسر وفسرها بالبرهان والصواب بالفتح اما التى بالكسر فمعناها السنة وعليه قول لبيد

دمن تجرم بعد عهد انيسها * حجج خلون حلالها وحرامها

ومن العجب ان يغلط الشيخ فى هــذه اللفظة على شهرتها وان يعيدها ايضا على هــذا الغلط فى ص ٣١١ الا ان يقال ان تغيير الحركات لايخل بالمعنى كما هو مذهب ابنه ومذهب البستانى وفى صفحة ٤١ وقال اراك قد ارتكبت الخلة بكسر الخاء وفسرها بالطريقة وكل من الشكل والتفسير غلط قال فى القاموس الخلة

الحـاجة والفقر والخصاصة والخصلة والخلة بالكسر المصـادقة وجفن السيف المغشى باللام اوبطانة يغشى بهـا جفن السيف والسير يكون فى ظهر سـية القوس وكل جلدة منقـوشة وفى صفحة ٤٤ عـلى ان تخبط عملك بفتح البـاء والصواب الكسر لانه من احبط وفى صفحة ٤٧ فلما راوا منهـا دهاء لقمـان بضم الدال والصواب الفتح وفى صفحة ٥١ ابيت اللعن بكسر البـاء والصواب فتحهـا وفى صفحة ٥٩ وقف بعرصة الدار بفتح الراء والصواب السكون و فى صفحة ٦٠ فليس لك عندى من خلاق بكسر الخـاء والصواب فتحها وقوله فى صفحة ٦٥ والنـاس ان كانت طغاما جاهله بكسر الطاء والصواب فتحها وقوله فى صفحة ٩٨ فصحفة مشكلة من بعد بكسر الصاد والصواب فتحها وفى ص ٩٩ غرم ثمن الجزور بضم الغين والصواب فتحها وفى ص ١٠٠ قال اذا اصابت الظباء الماء فلاعباب واذا لم تصبه فلا اباب بكسر العين من عباب والهمزة من اباب والصواب الفتح فيهما كما فى القاموس وفى ص ١٠١ صنـاع اليدين بكسر الصـاد والصواب بالفتح وفى ص ١٠٦ الرفاء الاتفاق والالفة بفتح الراء من الرفاء وكسر الهمزة من الالفة والصواب الرفاء بالكسر والمد والالفة بالضم وفى ص ١٠٨ ان الخلة تدعو الى السلة بضم الخاء والسين والصواب الفتح فيهما وهكـذا الى آخر الكتاب ولو انه ترك الشكل من اصله لكان اولى * ومن اغلاطه ايضا فى مبانى الالفـاظ قوله فى ص ١٤ خوفا من اصطكاك الهواجر فسر الاصطكاك باشتداد الحر وصوابه صكة قال فى القاموس والصكة شدة الهاجرة وقال فى الصحاح والصكة اشد الهاجرة حرا يقال لقيته صكة عمى وهو اسم رجل ويقـال هو تصغير اعمى مرخمـا وقوله ايضا وركب الاهوال واحتشد الاموال والذى فى كتب اللغة ان احتشد لازم غير متعد وقوله فى ص ١٦ فانضاها فسرها باهزلها والصواب هزلهـا ومثل هـذه الزيادة قوله فى ص ١٧ واكنت له كالضـاغب والصواب كنت له وبعكس ذلك تفسيره للفظة اماط بزاح والصواب ازاح وقوله فى ص ٢٩ مرتاحـة من كل ذى ازعاج صوابه مراحة وقوله وقترة الكباش والنعـاج فسر القترة برائحة الشواء وهو القتار بالضم اما القترة فمعناهـا ناموس الصياد وقوله فى الشرح نوع من الحلوى حقـه الحلواء وقوله فى ص ٣٧ كما انجـل الشيخ والصواب نجـل وقوله فى ص ٤٠ واحرجت اليمينـا والمعروف حرج بالتشديد اى ضيق وتفسيره لاحرجت بعظمت مخالف لما فى كتب اللغة

قال

قال فى القاموس احرجت الصلوة حرمتها وفلانا آثمته واليه الجأته واحرجت فلانا صيرته الى الحرج وهو الضيق وقوله فى الصفحة التى بعدها يقال تنافد الخصمان الى القاضى بالدال المهملة اى ذهبا اليه فاذا اوضحا حجتهما يقال تنافذا بالمعجمة وهو عكس عبارة القاموس ونصها وتنافذوا الى القاضى خلصوا اليه فاذا ادلى كل منهم بحجته فيقال تنافدوا بالدال المهملة وقوله فى ص ٤٢ لذمامة والصواب دمامة بالمهملة ومثله قوله فى ص ٦٤ وكان بخيلا ذميما والصواب دميما وقوله فى ص ٤٢ فرخصت له فى النسيئة فسرها بتاخير الاجرة وهى تعم الدين وغيره وقس على ذلك سائر المقامات فانها مشحونة باللحن والتحريف وليس من وظيفتى الآن استيعاب ما فيها من الخطأ وانما اوردت هذا القدر شاهدا على ان محرر الجوائب عند ايراده لفظة الفحطل لم يكن متعمدا تخطئة ابى ابراهيم اذ لا يمكن لعاقل ان يتصور هذا التعمد حالة كون الكتاب كله مشحونا بالغلط وانما التعمد وقع من قبل ابراهيم وصاحب الجنان فى تخطئة صاحب الجوائب وهنا اسأل كل عاقل منصف لم لم يتعمد هذان المعتديان تصحيح هذا الكتاب وكتاب محيط المحيط من قبل ان يخطئا كلام صاحب الجوائب وكيف قضى الشيخ ناصيف عدة سنين من حياته فى تاليف هذه المقامات ثم جاء بها مشحونة بالتحريف والتصحيف وكيف يصح لقارئيها ان يعتمدوا على النقل منها وكف غرب عن فهم ابراهيم ان ايراد لفظة الفحطل ليس بسبب لان يكند فضل صاحب الجوائب فى رثائه اباه بما لم يرثه به احد غيره افليس هذا الرثاء بدليل قاطع على اخلاص قصد الراثى وعلى حسن طويته افلم يكن ممكنا له ان يورد اغلاط المقامات وينسبها الى غيره اذا شاء اقناع الناس بانه لم يزل مراعيا لحرمة مولفها واغرب من ذلك كله قول ابراهيم وابى الله ان اجرى الا على ما ادبت عليه والحال انه خال من الادب اصلا فانه قد ارتكب فى اعتراضاته على صاحب الجوائب من فحش الكلام والمقاذعة والمشاتمة والاهجار ما لم يرتكبه احد من امثاله من ابناء الازقة والشوارع فيالبته كان سكت فان السكوت اولى للجاهل واستر لعيوبه كما قال الشاعر

من لزم الصمت اكتسى هيبة * تخفى عن الناس مساويه
لسان من يعقل فى قلبه * وقلب من يجهل فى فيه

وقال آخر

مت بداء الصمت خيـــر لك من داء الكلام

والمراد بالكلام هنا كلام هـذا المفترى المبنى على السفسطة والمغالطة ولكن اقول كما قال الآخر

ولكن فطام النفس اثقل محملا * من الصخرة الصماء حين ترومها

وقال آخر

ظلمت امرءا كلفته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

ومع ذلك فانه نسب المهاترة الى صاحب الجوائب وزعم انه الم بابه لقـد كبر ذلك افتراء غير بجير بجره نسى بجير خبره فياايها الغوى العمى المستهتر فى الفحش والخنى اتنظر القذى الذى فى عين اخيك ولا تفطن للخشـبة التى فى عينـك فانظر ايهـا المرائى الخشبة التى فى عينك اولا لتقـدر على ان تنظر القذى الذى فى عين اخيك اما سكوت صاحب الجوائب عن المهاترة فبنى على قول الشاعر

شاتمنى عبـد بنى مسمع * فصنت عنه النفس والعرضـا
ولم اجبه لا حتقارى له * من ذا يعض الكلب ان عضا

وحيث رايت السكوت من طرف صـاحب الجوائب حركتنى يد الغيرة على مقـامه الكريم وعلى الانتصار للحق الى ان انصدى للرد عـلى ابراهيم المذكور وابين ما فى كلامه من الخلل والفساد وان كانت كثرة اشغـالى لاتسمح لى بذلك مع علمى بان هذا المماحك امهر الناس فى السب واقدرهم على المقاذعة فانه اتخـذه له دأبا وافتخر به بين اقرانه من السـفهاء فان لم يقنع بمـا اوردته فبينى وبينـه العلماء يحكمون بيننا والله خير الحاكمين وقد وسمت رسالتى هذه * بسلوان الشجى فى رد ابراهيم اليـازجى * غير قاصد فى ذلك سوى رضى الرحمن * الذى امر بقول الحق لصدع اهل الزيغ والبهتان * وهـذا وقت الشروع فى المقول * وهو تعالى خير مسئول

قد رايت من ادلة عديدة ان الخواجه ابراهيم اليازجى يتعمد المواربة والمغالطـة فى كلامه فانه قال اولا ان القصيدة التى كان ارسـلها ابوه الى صاحب الجوائب كانت متضمنة مواعظ وحكما فلم تكن تقتضى ذكر اسم الممدوح و كان كلامه هذا جوابا عما قاله صاحب الجوائب من ان الشيخ ناصيف لم يصرح باسمه فى عنوان القصائد الثلاث التى ارسـلها اليه كما صرح باسم غـيره فانه لما مدح المرحوم المعلم بطرس

كرامه

كرامه كتب فى عنوان قصيدته قال يمدح المعلم بطرس كرامه الشاعر المشهور فاتخذ الخواجه ابراهيم كلام صاحب الجوائب ذريعـة للرد والتخطئة مع التهكم الذى هو دابه وليس بعد قول صاحب الجوائب وضوح و بيان لمناقضته فى ذلك من الفضول وساعود الى هذا الموضوع

اما قوله ان صاحب الجوائب لا يجوز مقابلة الفحطل بالمطل او نحو ذلك فلا وجه له وانما قال ان مما يثبت كونها غلطا وجودها فى المتن والشرح على الخطأ وانا اقول ان الشيخ ناصيف كثيرا ما كان يلتزم نوع لزوم ما لا يلزم ويسمى ايضا الاعنات. لان فيه عنتا اى مشقة ولا يقدم عليه الا الراسخون فى اللغة والمتضلعون منها ومما يثبت كونه اراد الفحطل ليقـابل بهـا المطل تسجيعه اغلب هذه المقامة على هـذا النسق كقوله النوادر والبوادر والميمون والامون واقباله واستقباله وعلندى وجلندى ووقير ونقير والبيت والميت والفحطل والمطل فورودها بعد هذه الفقر يدل على انه اراد بهـا من الاعنات ما اراده بغيرها ولا سيما انه اثبتها فى الشرح كذلك ومن ذلك قوله الصبـاء والهباء والمـال والجمال والمتاح والمتاح والمجنون والعشنون والعنوق والنوق والديباج والسكباج والموائد والثرائد والغدير والسدير والخورنق والخـدرنق وكبده ولبـده والكور والحور والغيض والفيض وشرار وغرار والغيث وحيث والخرج والفرج والجندل والسمندل وامرهما وعذرهما وقس على ذلك سائر فقر هذه المقامة وهذا دليل كاف على وقوعها غلط طبع وبالاختصار اقول ان الانسان محل للنسيان وان اول ناس اول الناس فاذا كان الخواجه ابراهيم يدعى لابيه العصمة ويجرده عن كل وصمة فلا يجوز له ذلك العـقل ولا النقل ومما يفيـد التنبيه عليه هنـا ان لزوم ما لا يلزم قد يكون با كثر من حرف كقول المعرى يعذبون ومقابلته لها يكذبون

اما مغالطته التى توصـل بها الى تخطئة صاحب الجوائب فى قوله صوابه فى المقامات لا فى الواقع فان الواقع هو تقديم الطاء على الحاء فغاية ما اقول ان صاحب الجوائب قد اوقع الامر فى نصابه واصاب غاية الاصابه وانه كان يجب على الخواجه ابراهيم ان يقول فى المقامات وان يعدل عن هذا التلبس وعن هذه العبارات المبهمة التى هى من التعقيد مفعمة ثم قال بعد ذلك متهكما على عادته وحسبك بهذا دليلا على امعانه فى اللغة لله دره اقول لا حرج على من تجاسر على ارتكاب هذه الوقاحة واشتهر

بهذه القباحة مع قلة بضاعته وعدم صناعته فان هذه اللفظة هي من قبيل السماء فوقنا والواحد نصف الاثنين اعنى من البديهيات التى تفهم من اول وهلة فاذا كان الخواجه المذكور لا يدرى البديهيات فما باله يتهكم على من لا يساوى طعنة فى نعالهم اما تعنته على صاحب الجوائب فى ضبط القحطل وقول صاحب الجوائب ان الرباعى المفتوح الفاء ليس له الا هذا الوزن فالذى فى كتب العربية يؤيد هذا القول ولنورد بعض ما جاء فيها فنقول قال الاشمونى على قول ابن مالك لاسم مجرد رباع فعلل وفعلل وفعلل وفعلل ومع فعل فعلل اى للرباعى المجرد ستة ابنية فعلل بفتح الاول والثالث نحو جعفر الثانى فعلل بكسر الاول والثالث نحو زبرج الثالث فعلل بكسر الاول وفتح الثالث نحو درهم الرابع فعلل بضم الاول والثالث نحو برثن الخامس فعل بكسر الاول وفتح الثانى نحو قطر وفطحل السادس فعلل بضم الاول وفتح الثالث نحو جخدب الى ان قال وزاد قوم من النحويين فى ابنية الرباعى ثلاثة اوزان وهى فعلل بكسر الاول وضم الثالث نحو خرفع وفعلل بضم الاول وفتح الثانى نحو خبعث ودلمز وفعلل بفتح الاول وكسر الثالث نحو طحرب ولم يثبت الجمهور هذه الاوزان وما صح نقله منها فهو عندهم من الشذوذ انتهى ملخصا ولنورد ما قاله السيوطى فى هذا الصدد لزيادة التقرير فانه قد زاد بعض اوزان على اوزان الصبان فنقول قال السيوطى فى المزهر جزء ٢ صفحه ١٦ سطر ٩ الرباعى مجرد ومزيد المجرد على فعلل اسما جعفر وصفة سجم وسلهب هكذا مثلوا وقيل الميم فى سجم والهاء فى سلهب زائدتان وجاء بالهاء شهربة وفعلل اسما زبرج وصفة خرمل وفعلل اسما برثن وصفة جرشع وفعلل اسما درهم وصفة هجرع وقيل الهاء زائدة وفعل اسما صقعل وصفة سبطر وفعل خبعث ودلمز خلافا لمن نفاه وفعلل وفاقا للاخفش والكوفيين اسما جخدب وصفة جرشع لوجود سودد وعوطط وعندد وفعلل زعبر وخرفع وفعلل طحربة خلافا لمن نفاهما ولا يثبت فعلل بحرمى وفعلل بعرتن وفعلل بعرتن ودهنج وفعلل بجلط وفعلل بجندل خلافا لزاعمى ذلك وفرع البصريون فعللا على فعالل والفراء والفارسى على فعليل انتهى بحروفه فان اعترض معترض وقال ان مفتوح الفاء يأتى على غير جعفر ككرفس وكرنب فالجواب ان لفظة كرفس هى كما ورد فى الصحاح على وزن جعفر وقال فى المصباح الكرفس بقلة معروفة وهو مكتوب فى نسخ من الصحاح وزان جعفر ومكتوب فى البارع والتهذيب بفتح الراء

وسكون

وسكون الفاء قال الازهرى واحسبه دخيلا اه وقال الليث ايضا انها دخيلة اى دخلت في اللغة العربية وهي ليست منها ولم توافق ابنيتها بل هي شاذة فانه اذا شذ بعض العربي القح فما بالك بالدخيل افاده بعضهم وذلك ان اقسام الدخيل اربعة منه ما لم يغير ولم يلحق بابنيتهم ومنه ما غير والحق ومنه ما غير ولم يلحق كما في شفاء الغليل والدليل على ان الكرفس من الدخيل هي انها بلغة اهل غزنة كرفج كما افاده بعض المحققين واما كرنب فالافصح فيه ان يكون على وزن قنفذ كما يفهم من ضبطه في القاموس وقد قيده الصاغاني كذلك وقال ابن الاعرابي هو كسمند على ان اصحاب العلم بالنبات قالوا انه نبطي عربوه وقال ابو حيان وغيره من ائمة العربية ان نون كرنب زائدة وذكروه كالمتفق عليه وظاهر كلام صاحب القاموس والتهذيب واللسان وغيرها اصالتها وقد اهملها الجوهري لانها لم تصح عنده فاذا كان الامر كذلك اى ان كرفس على وزن جعفر وانها لم توافق الابنية العربية فهي دخيلة والدخيل لا يحتج به وان الافصح في كرنب ان تكون على وزن قنفذ وان نونها زائدة وانها من الدخيل ايضا فكيف يسوغ الاعتراض بالضعيف الدخيل على هذه القاعدة الكلية على انا لو اطلقنا العنان وسلمنا بانهما ليسا دخيلين ولا ضعيفين فهما شاذان فاذا لا وجه لهذا الاعتراض السخيف فنتج من ذلك كله انه متى اطلق الرباعي المفتوح العين فلا ينصرف الا الى وزن جعفر وانه يجب تقييد ما خرج عن هذه القاعدة الكلية لغرابته كلفظة الكرفس مثلا فانه اذا كان احد في سياق الكلام على مثل هذه اللفظة لزمه تقييدها على انا قدمنا ان الافصح فيها ان تكون على وزن جعفر فلله در هذا المعترض المتهافت على الثرثرة لعمرى ان السكوت ستر للغبي والكلام فضيحة له واى فضيحة

ولنزده بيانا على كون المفتوح الفاء لا ينصرف الا الى وزن جعفر فنقول ان ائمة اللغة كثيرا ما يوردون الفعل الرباعي ولا يضبطونه على وزن لعلمهم انه ينصرف الى وزن جعفر لانه الاكثر الاشهر وذلك كقول صاحب القاموس الجرعب الجافي الجسرب الطويل الجعشب الطويل الغليظ الحترب القصير الحردب حب العشرق الخرعب الغصن الغض الزغرب الماء الكثير السلهب الطويل الشرعب الطويل الصقعب الطويل الصلهب الرجل الطويل العبرب السماق العشزب الشديد من الاسود العلهب التيس الطويل القرهب الثور المسن القعضب الضخم الجرى القلهب

الرجل القدم الضخم الكعب القصير والاسد وقس على ذلك فكون التقييد بالفتح بقصره على وزن جعفر من باب اولى فقد تبين للقارى المنصف ان راس مال الخواجه ابراهيم هو المماحكة والتدليس والتشبث باعتراضات سخيفة ترويجا لبضاعته المزجاة فى بيروت ومن كان هذا دابه فمحاورته ضرب من العبث لان من كان قصده المماحكة والمعاكسة لن يحيك فيه الكلام ولا يرده الى الحق دليل ولا برهان وهو داب المعاندين المتصلفين بل هو عين الدليل على الجهل والغرور فبئس الخصلتان وبئس من تلبس بهما ومن هذه المماحكات قوله ثم خطأنى (اى صاحب الجوائب) فى اعتراضى على قوله الوجه القبيح المبرقع قال فان القبيح قد يكون مبرقعا كما ان المبرقع قد يكون قبيحا فلا تضاد بين هاتين الحالتين فن اين جاء الالتواء وقد قال ابو الطيب

قبحا لوجهك يازمان فانه * وجه له من كل قبح برقع

فما الفرق بين الكلامين قلت (اى الخواجه ابراهيم) اما قوله ان القبيح قد يكون مبرقعا والمبرقع قد يكون قبيحا فلا تضاد بين هاتين الحالتين فهو تمويه باطل الخ اقول من اين جاء التمويه وهو الخمك غاية الافحام ورد قولك هباء كما لا يخفى على ذوى الاحلام لكنك ابيت الا التمادى فى العناد والزيغ عن سبيل الرشاد بل انت الذى ارتكبت التمويه وبه تلبست وقد حصحص الدليل القويم وبه كذبت وفى الجواب عنه مخرقت ودلست وما جزاء من يفعل ذلك الا خزى فى الحياة الدنيا ولنقرر كلامك لانه ربما صار لديك نسيا منسيا او ربما التبست عليك عباراته المبهمة فرحت به غويا فنقول ان اصل اعتراضك هو ان صاحب الجوائب قصد المبالغة بقوله مثل الثوب المرقع والوجه القبيح المبرقع فالتوى عليه المعنى وجاء عكس المقصود هذا هو اعتراضك ويوخذ منه انه لا يجوز ان يقال الوجه القبيح المبرقع لكى يستوفى ذم اللغات الاجنبية والتشنيع عليها وان من قال هذا التوى عليه المعنى وجاء عكس المقصود اى عوضا عن ان يكون ذما يصير مدحا لانه لا يجوز ان يكون القبيح مبرقعا هذا هو المعنى الذى لما التبس على قائله تبرأ منه وذهب انه لم يدخل فى الامكان واخذ يموه بكثرة الاقوال الفارغة واقول ثانيا زيادة تاكيد وتاييد انه يفهم من نفس اعتراضه ان صاحب الجوائب جمع بين الضدين لانه قال التوى عليه المعنى وجاء عكس المراد اى بدلا من الذم اتى بالمدح الذى هو ضد المراد وهو الذم فاجابه فارس الجوائب بجواب يشفى العلة ويروى الغلة حيث قال ان القبيح قد يكون مبرقعا كما ان المبرقع قد يكون

قبيحا

قبحا فلا تضاد بين هاتين الحالتين فن اين جاء الالتواء وقد قال ابو الطيب قبحا لوجهك البيت ومعنى قول ابى الطيب هو قبح الله وجهك قبحا يازمان فانه وجه له برقع ساتر من كل قبح فان الظرف هنا لغو متعلقه خاص لان اللغو هو ما كان متعلقه خاصا ذكر اوحذف لدليل وهنا متعلقه محذوف لدليل ان البرقع يستر من القبح وغيره وليس البرقع هو ذات القبح كما زعم هذا المعترض مكابرة وهذا هو الاليق بالبيت والا فما معنى كون البرقع هو كل قبح فلا ريب انه يضيع الذم والتشنيع على وجه الزمان فانه يكون القبح كله مجموعا فى البرقع دون الوجه والمراد هنا ذم الوجه خاصة ولعل المعترض يعود الى الاعتراض ثانيا فيقول اذا يكون البرقع ساترا من القبح فلا يتم المراد والجواب انه وان كان البرقع ساترا من القبح فلا ينافى ذلك كون الوجه قبيحا بل يقوى ويزيد فى ذمه وتشنيعه وينبه الغافل عن ذلك لينظر ويبحث بعين الفكر الصحيح والتأمل المصيب فيعدل عن الشبهات الذميمه ويميل الى الخصال الكريمه ولك ان تقول ايضا ان معنى قول صاحب الجوائب الوجه القبيح المبرقع اى الوجه القبيح المبرقع بضروب القبح كما قال العكبرى على شرح كلام المتنبي ونصه يقول هذا منبها على جور الزمان اى قبح الله وجهك واهانه ولا اكرمه لانه وجه مبرقع بضروب القبح

اما قول الخواجه ابراهيم ثم ما لبث ان انكر على اعتراضى على خلله فى احكام الفاصلة الخ فجوابه ان احكام فواصل السجع ليست كاحكام فواصل النظم وانه يغتفر فى السجع مالا يغتفر فى النظم ومما يدل على ذلك قول الشيخ الامير فى حاشيته على ابن تركى صفحه ٣ عند قول المصنف الحمدلله على نعمه المتواتره واشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له شهادة اعدها للنجاة من اهوال الآخره واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ذوالمعجزات الباهره صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن عاونه وناصره ونصه قوله المتواتره احتراس يدفع توهم ان الحمد وفى بالنعم فكيف وهى لاتنحصر ولاتقف عند حد بل الاقدار على الحمد نعمة وفيه من المحسنات لزوم مالا يلزم حيث التزم راء قبل حرف السجع فى جميع الفقر كما التزمت الهاء فى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان قلت ان الهاء لاتكون رويا فى الشعر فلا تكون فاصلا فى السجع فانما يتم السجع بالراء قلت يشدد فى الشعر ما لايشدد فى السجع الاترى ضبطه بالموازين والعروض والقوافى

(اه) فانت ترى ان المصنف التزم ما لايلزم فى خطبته فخرج عن احكام القوافى واجاب عنه الشيخ الامير بما اجاب وربما يعترض معترض فيقول انه ورد فى التلخيص مايدل على انه لابد من ان يراعى فى فواصل السجع مايراعى فى قوافى الشعر فان صاحب التلخيص قال ومنه اى من البديع اللفظى السجع وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد فى الآخر وهو معنى قول السكاكى هواى السجع فى النثر كالقافية فى الشعر فقال السعد على هذه العبارة يعنى ان هذا مقصود كلام السكاكى ومحصوله والا فالسجع على التفسير المذكور بمعنى المصدر اعنى توافق الفاصلتين فى الحرف الآخر فالجواب انه لايفهم من هذه الاقوال انه يجب ان يشدد فى احكام قوافى السجع كما فى الشعر بل المفهوم منها انه يلزم فى السجع تواطؤ الفاصلتين من حرف واحد فى الآخر فما بال الخواجه ابراهيم حذف هذه العبارات واتى باذيالها واستنتج من هذه الاذيال استنتاجات عقيمة فزعم انه يجب ان يشدد فى السجع ما يشدد فى الشعر خلافا لقول الشيخ الامير فاذا كان لايعى معنى مانسقله او يقوله فليصمت فالصمت خير له * ومما يويد هذا الحكم اى انه لايشدد فى السجع ما يشدد فى الشعر ما سنورده من الشواهد البينة التى نقلناها عن بعض الائمة فنقول قد ورد فى خطبة صاحب القاموس فاتحفت مجلسه العالى الذى سما الى السماء لما تسامى وفيه سناد التاسيس * وقال الحريرى فى المقامة الثانية فاويت لمفاقره ولويت الى استنباط فقره وقال فى المقامة السادسة والعشرين ورغبته فى ان ينظرنى بمياسره او ينظرنى الى ميسره وفيها ايضا حتى اذا غمرتنى مواهبه واطال ذيلى ذهبه وفى المقامة السابعة والعشرين فلم اطب نفسا بالغاء طلبها والقاء حبلها على غاربها فقد وقع هنا فى هذه الفقر سناد التاسيس الذى انكره الخواجه ابراهيم على صاحب الجوائب من شدة ما به من الكمد والتلبيس * وورد فى ريحانة الالباء قوله احاديث يستشفى بها الغليل ويصح مزاج النسيم العليل تفتح منها فى رياض المسامره من اجفان الكمائم عيون انوارها الزاهره وفيه سناد الاشباع الذى زعمه الخصم من اقبح عيوب القوافى حتى توهم انه منكر بالاجماع * وقال محمد بن الجبار المدعو بابى نصر العتبى فى صحيفة ١٨ و ١٩ من خطبته والقلوب ان تمرض والشكوك ان تعترض وقال ايضا الدين اس والملك حارس صفحة ٢١ وقال فى الصفحة التى بعدها وشمل الهرج والمرج وعم الاضطراب والهيج قال الشارح الهيج ساكن والظاهر

ان

ان المصنف استعمله هنا محركا لازدواجه مع المرج الذى الاصل فيه التحريك وقال ايضا فى الصفحة المذكورة حتى يشغلهم بذلك عما يشغلهم معاشا ومعادا ويقيم اودهم يوما وغدا وفيها ايضا مدبر ومسخر بغيره ومودب ومهذب بنور ربه وقال فى صفحة ٧٧ ويقرب تلك المعارك مما يلى الكفار عقبة تعرف بعقبة غوزك وقال فى صفحة ٨٨ وامها فى الارواح والنفوس فى نصرته والقيام بفرض طاعته وفى صفحة ٩٠ جلالة قدره ونباهة ذكره ومناعة جانبه وخشونة حده وفى صفحة ١٠٤ بالنزول للحسين بن طاهر عن تحصنه والانتقال الى غيره من معاقله وهذا يصلح ايضا لان يكون شاهدا على ان الساجع لايلزمه السجع دائما كما سياتى وكذا ماقبله * وقال الشيخ عبد الغنى النابلسى شارح ديوان ابن الفارض فى افتتاح خطبته الحمد لله الذى رفع الادب واهله وسواهم بدورا كامله وسواهم اهله (بتشديد اللام) وقد وقع مثل ذلك لكثير من العلماء والادباء مما لو استوفيناه لملأ مجلدات عديدة وكذلك وقع للشيخ ناصيف الذى ينزهه ابنه عن كل ما يعيب به غيره فلا تكاد تخلو عنه مقامة من مقاماته ولنورد بعضها لعل ابنه يقتنع بذلك ويرتدع عن غيه وعناده فنقول قد ورد فى المقامة الاولى فى الصفحة السابعة منها قوله ثم عمدت الى عقال ناقتى المجفله (بضم الميم وكسر الفاء) واذا طرس قد عقل به مكتوبا فيه بعد البسمله وفيه عيب السناد لان البسملة مصدر لبسمل كدحرج دحرجة فهو مفتوح ماقبل الآخر وقال فى المقامة الثانية صفحة ٨ سمعنا زفرة متنهد يليها صوت كئيب ينشد وقال فى المقامة الثالثة صفحة ١٤ فانظر اين ماجمع وهل اتى بشئ منه الى هذا المضجع وقال فى المقامة الثامنة صفحة ٥٠ واذا لقيت الاستاذ فقل له المعذره (ضبطها بضم الذال) وان غدا لناظره قريب فن يعش يره على ان الكسر فى المعذره افصح من الضم وعليها اقتصر صاحب الصحاح وقال فى المقامة العاشرة صفحة ٦٣ ابن براعى مايقدر ولا يبالى بما يذكر وقال فى المقامة الثانية عشرة والشيخ يعجب منها ويعجب (بتشديد الجيم وكسرها) ويعظم امرها ويطنب وفيها وما الفرق بين ما تم من الابيات وما وفى وبين المصرع منها والمقفى وفيها ايضا فلما صرنا بمعزل قال قد حلت رقعة المسئلة واستفدت حل المعضله وقال فى المقامة الثالثة عشرة صفحة ٩٨ وهل تعرف ما لهذه الاطعمه من الآنية المفعمه (بفتح العين) الى ما لانهاية له فلو كان ابنه مطلعا على الكتب حق الاطلاع لما اعترض بمثل تداعيه ومركبه فانها وقعت

فى كلام الحريرى وغيره ولما كان اعترض بغيرها ايضا على صاحب الجوائب مما وقع لغيره من الائمة الذين يهتدى بآثارهم المتاخرون ويقتدى بهم العلماء الراسخون ولا ينكر فضلهم الا كل جاهل قد اعمى الله بصره وبصيرته وافسد الصلف سيرته وسريرته فصار دابه التطلع الى ما يظنه عوره ويبنى عليه سفاهته وهتره فرحم الله ابا الطيب حيث قال

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

لاجرم ان ما اعترض به على صاحب الجوائب انما هو اعتراض على صاحب القاموس والحريرى والعتبى والخفاجى وغيرهم من العلماء الاعلام بل هو اعتراض على نفس مقامات ابيه فان فيها من الخلاف فى السجع ما يطول عده وما قذف به فى حق صاحب الجوائب بقوله انه جمدت بادرته فياتى باللفظ متكلفا باردا ان هو الا قذف فى العلماء وفى ابيه ايضا فانه وقع فى كلامهم ما وقع فى كلام صاحب الجوائب وحسبك بما اوردناه هنا دليلا كافيا وبرهانا شافيا وقياسا وافيا على سفاهة هذا المعترض وقلة حيائه وجهله المركب

اما قوله ان سناد الاشباع منكر بالاجماع فيكذبه ماقرره الشيخ الدمنهورى فى المختصر الشافى على متن الكافى فى علم العروض والقوافى قال اعلم ان الاكفاء والاقواء والاجازة والاسراف لايجوز للمولدين استعمالها وان الايطاء والتضمين والسناد باقسامه يجوز للمولدين استعمالها كما يوخذ ذلك من شرح شيخ الاسلام على الخزرجية ولا يخفى ان هذا الكلام هو فى قوافى الشعر فاذا كان ذلك جائزا فى الشعر فجوازه فى النثر اولى فانه لا يشدد فيه كما يشدد فى الشعر كما قال الشيخ الامير ولو استوفينا الكلام على كل ماهذى به ابراهيم فى هذا الموضوع لضاق بنا الوقت فغاية مانقول ان عباراته كلها ركيكة معقدة مبنية على التمويه والتلبيس والافتراء والوقاحة ولنزد ذلك كشفا وظهورا عند انتهاز فرصة اخرى

واما قوله ( اى قول صاحب الجوائب ) فمن اين علم انى مقيد بالسجع فى جميع الفقر فما ادرى امراده بهذا الانكار انه لم يقصد السجع فى شى منها اصلا ام سجع بعضها دون بعض فوقع اعتراضى على غير المسجع منها الى ان قال لابد من ان اثقل على القارى بايراد جانب كبير من الصفحة التى اخذت منها تلك الفقرات يكفى للدلالة على وجود السجع هنا ثم اورد الفقر المذكورة الى ان قال ان من الادلة القاطعة على انه قصد

اى

اى السجع الفصل بين كل فقرة واخرى بان ترك هناك فسحة تشعر بالوقف اه. قلت ان
هذا دليل سخيف وبرهان ضعيف ومقال كثيف يكذبه ما فى سجع الاوائل والاواخر
ولنورد اولا نبذة من كلام الصابى الذى كان علما فى الانشاء لايبارى واماما فى
السجع لايجارى وذلك من تقليد كتبه عن امر امير المؤمنين الى محمد بن الحسين بن
موسى العلوى الموسوى على مافى المثل السائر قال وامره بتقوى الله التى هى شعار
المؤمنين وسناء الصالحين وعصمة عباد الله اجمعين وان يعتقدها سرا وجهرا ويعتمدها
قولا وفعلا وياخذ بها ويعطى ويسر بها وينوى وامره بتلاوة كتاب الله مواظبا
وتصفحه مداوما ملازما وبين هذه الفقر فسحة تشبه شدق ابن اليازجى اذا
تشدق وتلمظ وتمطق وتقعر وتلهوق وتنطع وتعمق وتمدح وتفيهق وبالباطل تعلق
والى الاراذل تملق كذا هى فى النسخة المطبوعة بمصر وفى نسخ الخط ايضا (الى
ان قال) ويجعل عقله سلطانا عليها وتمييزه آمرا ناهيا لها ولايجعل لها عذرا
الى صبوة ولاهفوة ولايطلق منها عنانا عند ثوره ولافوره فانها امارة بالسوء منصبة
الى الغى فمن رفضها نجا ومن اتبعها هوى فالحازم متهم عند تحرك وطره واربه
واهتياج غيظه وهنا ايضا فسحة بين الفقر لو رآها ابن اليازجى لتمنى ان يكون له
ندحة فى الارض مثلها (الى ان قال) كيما يعز بتذليلها وتاديبها ويجل برياضها
وتقويمها فذلك الذى تتضاعف به المآثر ان آثرها والمثالب ان اسف اليها
(الى ان قال) وامره ان يتصفح احوال من ولى عليهم من استقراء مذاهبهم
والبحث عن بواطنهم ودخائلهم (الى ان قال) ومجرين الى ما يزرى بانسابهم
ويغض من احسابهم عذلهم وانبهم ونهاهم ووعظهم وبين هذه الفقر فسحة تكاد
تكون وسادا لقفا ابن اليازجى (الى ان قال) وما كان من طريقة الغشم والظلم
والتغلب والغصب قبض عليه عند اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة (الى ان
قال) ويحميهم فى بدأتهم ودعوتهم ويرتبهم فى مسيرهم ومسلكهم ويرعاهم فى ليلهم
ونهارهم حتى لاتنالهم شدة ولاتصل اليهم مضرة مجتهدا فى الصيانة لهم ومعذرا
فى الذب عنهم ومتلوما على متاخرهم ومتخلفهم ومنهضا لضعيفهم ومهيضهم وهنا
ايضا فسحة بين الفقر اوسع من عين ابن اليازجى حين يفتحها للنظر فى عيوب الناس
وقس على ذلك سائر التقليد مع كونه مبنيا على السجع * ومن جملة سجعه
فيه وهو مما يعجب العلماء ولايعجب السفيهين العيابين ابن اليازجى وصاحبه

صاحب الجنان جمع جنة بالكسر لكونهما وجدا مثله فى كلام صاحب الجوائب قوله وان اصروا وتتابعوا انالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فان نفع والا تجاوزه الى ما يلذع ويوجع * وقوله فان عادة الحكام وصاحب المظالم واحدة وهى اقامة الحق ونصرته وابانته واثارته والجانب الاعز والملجا الاحرز معتقدين خشية الله وخيفته مدرعين تقواه ومراقبته الى غير ذلك * وفى كتاب الصناعتين للعسكرى قال المامون ليحيى بن اكثم صف لى حالى عند الناس فقال يا امير المومنين قد انقادت اليك الدنيا بازمتها وملكت الامة فضل اعنتها بالرغبة اليك والمحبة لك والرفق منك والعياذ بك لعدلك فيهم ومنك عليهم حتى لقد انسيتهم سلفك وآيستهم خلفك فالحمد لله الذى جمعنا بك بعد التقطع ورفعنا فى دولتك بعد التواضع * وفيه قال بعض الكتاب اذا كنت لا اوتى من نقص كرم وكنت لا اوتى من ضعف سبب فكيف اخاف منك خيبة امل او عدولا عن اغتفار زلل اوفتورا عن لم شعث اوقصورا عن اصلاح خلل قال العسكرى فلو بدل ضعف سبب بكلمة آخرها ميم ليكون مضاهيا لقوله نقص كرم لكان اجود فقوله اجود يدل على ان ترك السجع جيد * وقال ايضا دعا اعرابى فقال اعوذ بك من الفقر الا اليك ومن الذل الا لك وقال آخر وقد ذهب السيل بابنه اللهم ان كنت ابليت فانك طالما عافيت فقال الرسول ( كذا فى الاصل ) ما يدريك انه شهيد لعله كان يتكلم بما يعنيه او يبخل بما لا ينفعه قال ولو قال بما لا يغنيه لكان سجعا

ولنزد هذا الغوى امثلة اخرى رادعة له عن غيه الذميم وضلاله القديم فمن ذلك المقامة الرابعة والثلاثون من مقامات بديع الزمان قال

لما قفلت من الحج فى من قفل ونزلت حلوان مع من نزل قلت لغلامى اجد شعرى طويلا وقد اتسخ بدنى قليلا فاختر لنا حماما ندخله وحجاما نستعمله وليكن الحمام واسع الرقعه نظيف البقعه طيب الهوآء معتدل المآء وليكن الحجام خفيف اليد حديد الموسى نظيف الثياب قليل الفضول فخرج مليا وعاد بطيا وقال قد اخترته كما رسمت فاخذنا السمت الى الحمام واتيناه فلم ار قوامه لكنى دخلته ودخل على اثرى رجل عمد الى قطعة طين فلطخ بها جبينى ووضعها على راسى ثم خرج ودخل آخر فجعل يدلكنى دلكا يكد العظام ويغمزنى غمزا يهد الاوصال ويصفر صفيرا يرش البزاق ومالبث ان دخل الاول فحيا خد الثانى بمضمومه وقال يالكع مالك ولهذا

الراس

الراس وهو لى ثم عطف الثانى على الاول بمجموعه فقعقعت انيابه وقال بل هـذا الراس حق وملكى وفى يدى ثم تلا كما حتى عييا وتحاكما لما بغيا فاتيا صاحب الحمام فقال الاول انا صاحب هـذا الراس لانى لطخت جبينه ووضعت عليه طينه وقال الثانى بل انا مالكه لانى دلكت كاهله وغمزت مفاصله فقال صاحب الحمام ائتونى بصاحب هـذا الراس اسأله الك هذا الراس ام له فاتيانى وقالا لنا عندك شهادة فتجشم اداآها فقمت فاتيت شئت ام ابيت فقال الحمامى يارجل لاتقل غير الحق ولاتشهد بغير الصدق قل لى لايهما هـذا الراس فقلت يا عافاك الله قد صحبنى فى الطريق وطاف معى بالبيت العتيق وماشككت انه لى قال لى اسكت يافضولى ثم مال الى احد الخصمين فقال ياهـذا كم هذه المنافسة مع الناس بهذا الراس سل عن قلبك خطره الى لعنة الله وحر سقره وهب ان هذا الراس ليس ولاتفكر فى هـذا التيس قال عيسى بن هشام فقمت من هـذا المقام خجلا ولبست ثيابى وجلا وانسلات من الحمام عجلا وسببت الغلام بالعض والمص ودققته دق الجص وقلت لآخر اذهب فائتنى بحجام يذهب عنى الثقل فجاءنى برجل لطيف البنيه مليح الحليه فى صورة الدميه فارتحت اليه ودخل وقال السلام عليك ومن اى بلد انت فقلت من قم فقال حياك الله من بلد النعمة والرفاهه واهل السنة والجماعه ولقد حضرت فى شهر رمضان جامعها وقد اشتعلت المصابيح واقتربت التراويح فما شعرنا الا بمد النيل ولقد اتى علـى تلك القناديل لكن صنع الله لى بخف قد كنت لبسته رطبا فلم يحصل طرازه على كمه وعاد الصبي الى امه بعد ان صليت العتمة واعتدل الظل ولكن كيف كان حجك هل قضيت مناسكه كما وجب والى متى هذا الضجر واليوم والغد والسبت والاحد ولم اظنك وماهذا القال والقيل لكن احببت ان تعلم ان المبرد فى النحو حديد الموسى فلا تشتغل بقول العامة فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكنت حلقت راسك فهل ترى ان نبتدى قال عيسى بن هشام فبقيت متحيرا من بيانه وهذيانه وخشيت ان يطول مجلسه فقلت الى غد ان شاء الله ثم سألت عنه من حضر فقالوا هـذا رجل من بلاد الاسكندرية لم يوافقه هـذا الماء فغلبت عليه السوداء فهو طول النهار يهذى كما ترى ووراءه فضل كبير فقلت سمعت به وعز على حياته وانشأت اقول

انا معطى الله عهـدا * محكما فى النذر عقدا

لا حلقت الراس ما عشت ولو لاقيت جهدا

وقال فى المقامة الثانية

حدثنى عيسى بن هشام قال كنت فى بغداذ وقت الازاذ فخرجت اعتام من انواعه لابتياعه فسرت غير بعيد الى رجل قد اخذ اصناف الفواكه وصفها وجمع انواع الرطب وصنفها فقبضت من كل شى احسنه وفرضت من كل نوع اجوده فحين جمعت حوشى الازار على تلك الازرار اخذت عيناى رجلا قد لف راسه ببرقع حياء ونصب جسده وبسط يده واحتضن عياله وتابط اطفاله وهو يقول بصوت يدفع الضعف فى صدره والحرص فى ظهره

ويلى على كفين من سويق * او شحمة تضرب بالدقيق
او قصعة تملأ من حرديق * تفثأ عنى سطوات الريق
تقيمنا عن منهج الطريق * يارازق الثروة بعد الضيق
سهل على كف فتى لبيق * ذى نسب فى مجده عريق
يهدى الينا قدم التوفيق * ينقذ عيشى من يد الترنيق

قال عيسى بن هشام فاخذت من فاضل الكيس اخذة وانلته اياها فقال

يامن حبانا بجميل بره * افضى الى الله بحسن سره
واستحفظ الله جميل ستره * ان كان لا طاقة لى بشكره
فالله كاف عبده باجره

قال عيسى بن هشام فقلت ان فى الكيس فضلا فابرزلى عن باطنك اخرج اليك عن آخره فاماط لثامه فاذا هو والله شيخنا ابو الفتح الاسكندرى فقلت ويحك اى داهية انت فقال

نفضى العمر تشبيها * على الناس وتمويها
ارى الايام لا تبقى * على حال فاحكيها
فيوم شرها فى * ويوم شرتى فيها

وهكذا سائر مقاماته حتى انه لم يتقيد بالسجع فى المقامة الاولى مع انها من براعة الاستهلال * وقال الحريرى فى خطبة مقاماته كما نستغفرك من نقل الخطوات الى خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة زائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى

النفس

النفس وبصيرة تدرك بها عرفان القدر وقد وقع له فى مقاماته كثير من هذا القبيل مع انه كان ملتزما للسجع وبين هذه الفقر فواصل قدر ما راى ابن اليازجي من فواصل سر الليال مما اتخذه برهانا لتايد دعواه فان يكن قد عمى فليئب من يراها له* وورد فى خطبة العتبي والسلطان ظل الله فى ارضه وخليفته فى خلقه وامينه على رعاية حقه به تتم السياسة وعليه تستقيم الخاصة والعامة وقال ايضا حتى اعملت التفكر وانعمت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرائض ويرتهن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود قد حظر فيه التعادى والتظالم ورفض التباغى والتخاصم الى غير ذلك مما لا ينحصر حتى لو جمعنا من كتابه الموسوم باليميني مثل هذه الشواهد لكان ذلك داعيا الى املال المطالع مع غزارة فضله حتى انه لجلالة قدره ذكره نور الدين على بن موسى فى عنوان المرقصات والمطربات فقال فيه ما نصه ابو نصر العتبي توفى سنة ٤٣١ كاتب السلطان محمود هو عندى ارفع الجميع طبقة الى ان قال وانا اقسم على ذلك باجل ما يقسم به وبرآنى من يمنى وقوف المطالب بالتحقيق على كتابه الموسوم باليميني (هو الذى اتينا بالشواهد منه) فقد ضمنه من ذلك العجائب وحط بمراقبه مراتب الكواكب (اه) ومن هذا القبيل الرسالة التى كتبها ابو الفضل الذى كان فى المائة الثالثة الى بلكا عن ركن الدولة اعنى ان بعضها مسجع وبعضها غير مسجع والاكثر الاول فارجع اليها ان شئت وقد اضربنا عنها هنا لضيق المقام وامثال هؤلاء كثير من مشاهير العلماء الاعلام فلو كان ابن اليازجي قد طالع بعض كتب الادب او كان ذا وقوف على كلام العرب لما اعترض على محرر الجوائب محيي مآثر اللغة العربية كما قال فيه العلم الشهير صاحب التآليف العديدة والتحرير رفاعه بك فان هذا الاعتراض لا وجه له اصلا فانه كما يجوز للكاتب ان يسجع من خطبته فقرا يجوز له ايضا ان يعدل عن السجع لان الواجب مراعاة المعانى والتسجيع تابع المعانى والمتبوع له التقدم وله المراعاة ايضا ومما يويد ذلك ما قاله السعد التفتازانى على التلخيص واصل الحسن فى ذلك كله ان تكون الالفاظ تابعة للمعانى دون العكس اى لا تكون المعانى توابع للالفاظ كما توهمه ابراهيم اليازجي الشيخ الجديد الذى شيخه بطرس البستانى على حد محاكة الحمير بعضها لبعض فيؤتى بالالفاظ متكلفة مصنوعة ليتبعها المعنى كيفما كانت كما يفعله بعض المتأخرين الذين لهم شغف بايراد المحسنات

اللفظية فيجعلون الكلام كأنه غير مسوق لافادة المعنى ولا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعانى فيصير كسيف من خشب فى غمد من ذهب بل الوجه ان تترك المعانى على سجيتها فتطلب لانفسها معانى تليق بها وعندها تظهر البلاغة والبراعة ويتميز الكامل من القاصر انتهى مع تصرف الى ان قال وما احسن ماقيل فى الترجيح بين الصاحب بن عباد والصابى ان الصاحب كان يكتب كما يريد والصابى كان يكتب كما يؤمر وبين الحالين بون بعيد اى ان الحالة الثانية ابلغ من الاولى الا ترى ان الصاحب لما طلب ان يجانس بين قم الذى هو فعل امر و بين قم الذى هو اسم مدينة من دون ان يتيسر له معنى مطابق لمقتضى الحال واقع فى نفس الامر كتب الى قاضى تلك البلدة ايها القاضى بقم قد عزلناك فقم ففطن القاضى الى ان الصاحب لم يكن له غرض فى المعنى وانه لا يناسب حاله وحال الملك فصار الكلام فيه كالهزل فقال والله ما عزلنى الا هذه السجعة ومن هذا يفهم انه يجب على الكاتب اولا تشخيص المعانى وتحريرها سواء ابرزها فى قالب السجع اولا اذ المقصود انما هو المعنى لاغير كما يستفاد من كلام اهل الادب فان كان الشيخ الجديد والبستانى الذى شيخه فى ريب من ذلك اتينا لهم بشواهد جمة غيرما اوردناه فيالهما من احمقين معاندين ومتطفلين متعاقدين فتلخص اذا مما قدمناه على وجه الاختصار ستة امور

﴿ احدها ﴾ ان الشيخ ناصيف مدح صاحب الجوائب واعترف له بالفضل ولا سيما فى قوله

انا الوادى اذا ناديت لبي * صداه فكان منك لك النداء

خلعت على فضلا ادعيه * وحسبي ان مثلك لى جلاء

فكأنه يقول خلعت على يا ايها النبيه فضلا يحق لى ان ادعيه وكفانى ذلك فانك كبدر انما حل بدد شمل الظلام فكان من الواجب اذا ان يذكر اسم الممدوح فى عنوان القصيدة لان المدح من افعال العاقل الاختيارية وعدم التصريح باسم الممدوح فى القصيدة او فى عنوانها من العبث المحض وافعال العاقل الاختيارية تصان وجوبا عن العبث اذ لا يتصور عقلا مدح مجهول اومدح بدون ممدوح ومع ان هذا المعنى ظاهر كالشمس فقد خفى على الشيخ الجديد فاطال لسانه فيه وهذى وهذر وفتح فاه بالسفاهة وشحر ونخر وشخر وزحر وزفر كانما هو فى حر سقر فما لنا الا ان نقول نعم السلف وبئس الخلف

( الثانى )

﴿ الثاني ﴾ ان الفحطل في مقامات الشيخ ناصيف غلط صريح ناشئ من عدم تحقيق اللفظة ويؤيد ذلك تكرارها في المتن والشرح والانسان محل النسيان

﴿ الثالث ﴾ ان قول صاحب الجوائب في الواقع هو الصواب وهو من البديهيات التي لا تحتاج الى زيادة ايضاح

﴿ الرابع ﴾ ان الرباعي المفتوح الفاء ليس له الا وزن جعفر وان كرنب من الثلاثي لان نونها زائدة وان الاجود فيها ان تكون على وزن قنفذ فاما كرفس فدخيل ولا يعتد به مطلقا

﴿ الخامس ﴾ انه يجوز ان يقال الوجه القبيح المبرقع ولا ينكر ذلك الا من تبرقع بقباحة الجهل اومن كان على بصره غشاوة ولم يميز صحيح الكلام من سقيمه

﴿ السادس ﴾ انه لا يشدد في قوافي السجع ما يشدد في قوافي الشعر وانه يجوز ترك التسجيع والاستغناء عنه بالنثر لان المدار انما هو على المعاني لا على الالفاظ

اما قوله ثم اخذ فعارضني في قولي ان اهل بيروت لا يستعملون مفرد الفطاحل واستشهد بما اورده له سليم افندي نوفل الخ فالجواب ان صاحب الجوائب قد انفذ بهذا الاستشهاد سهما واصاب به مرمى فان المعترض لما ادعى الانكار ذاهبا الى ان هذه اللفظة غير مستعملة عند اهل بيروت استشهد من نفس كلامهم واستعمالهم كما شهد بذلك سليم افندي المومااليه وهذه القضية هي ثابتة فان كل قضية انما تثبت على يد شاهدين او ثلاثة واما قوله فحكاية الافندي المشار اليه اولى ان تكون تخطئة له من ان تؤيد كلامه فاقول له من اين اتى وجه الاولوية لا بل هي اولى ان تكون دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا دالا على وقوع لفظة الفحطل خطأ في المقامات لامحالة فان ابا المعترض اخذها عن عامة بيروت برمتها على ما هي عليه من الخطأ ولم يتأمل فيها لشيوعها وهي اقوى ايضا في تزييف كلام ابراهيم الذي انكر استعمالها مفردة بين اهل بيروت اما قوله ويكون مراد صاحبنا بايرادها مجرد الاستشهاد بكلام عامة بيروت تأييدا لما استشهد به من كلام الائمة وتلك عادته غالبا اقول انه لما كان لكل مقام مقال ولكل احتجاج مجال وانه يجب وضع كل شئ في محله ورد الفرع الى اصله استشهد صاحب الجوائب بما يناسب الحال لعل ابراهيم يرتدع ويعدل عما سقط فيه من الخطأ والضلال فاورد الدليل على ان مفرد هذه اللفظة متواتر عند اهل بيروت فيكون استشهادا بالمتواتر

الذى لا ينكره الاكل مكابر لانه علم ضرورى اى ليس بينه وبين مدلوله ارتباط معقول واما قوله انى رأيت له فى سر الليال من كلام العامة فى مقام الاستشهاد شيئا كثيرا حتى انه قلما يخلو منه مادة اقول انه لا يتفوه بهذا المقال الا غمر مكابر وجاهل مماحك اذ كيف ينكر على محرر الجوائب التنبيه على الفاظ العامة واكثر اهل اللغة نبهوا على ذلك وهذا البستانى استاذ هذا المعترض قد اورد فى كتابه محيط المحيط كثيرا من غير كلام العرب بل ربما اورد من الالفاظ العجمية ما يوهم انه من كلام العرب الفصيح كقوله فى بنك البنك المصطبة وراس مال يوضع فى محل مخصوص لاجل اعمال مخصوصة وتحت ادارة وشرائع معينة فانظر كيف جاء بالمصطبة هنا مجازفة من دون تحرج ولا محاشاة على ان تفسيره البنك براس المال وقوله بعد ذلك فى محل مخصوص فاسد فان البنك هو المحل المخصوص لا راس المال وامثال ذلك كثيرة فكيف ارتضى ابراهيم لاستاذه هذه الخطة وانكرها على محرر الجوائب واشهد لو ان البستانى عرف ان بعض علماء اللغة قال ان البنك بمعنى الاصل فارسى معرب لتشبث به كما هى عادته على ان صاحب الجوائب لم يذكر فى كتابه لفظة عامية او عجمية الا لنكتة مثال الاول قوله بعد مادة لبس ثم ان اهل الشام يقولون لبش ( بالتشديد ) بمعنى حزم وتهيأ ولبص بمعنى لصق قال ولا وجود لهاتين المادتين فى كتب اللغة وذلك انه وجد بعد لب لبأ ولبت ولبث ولبج ولبح ولبخ ولبد ولبز ولبس ولبط ولبك ولبم ولبن ولبى ولم يجد لبش فنبه عليها لنكتة لا تخفى * ومن الثانى قوله فى صت وقد قدمت فى المقدمة ان نفس الصوت من حكاية الصوت وهو بالانكليزية صوند وجاء فيها ايضا شوط بمعنى الصراخ وقس على ذلك سائر ما يذكره خلافا لما يورده البستانى فانه انما يقذف به قذفا من دون نكتة ولا علاقة ولنورد هنا نبذة من اقوال العلماء فى هذا الباب لعل المعترض يعدل عن الثرثرة والهراء والتهكم والازدراء فنقول قال البطليوسى فى شرح الفصيح المشهور فى كلام العرب ماء ملح ولكن قول العامة مالح لا يعد خطأ وانما هو لغة قليلة وقال ابن درستويه قول العامة حرصت بالكسر احرص لغة معروفة صحيحة الا انها فى كلام العرب الفصحاء قليلة والفصحاء يقولون بالفتح فى الماضى والكسر فى المستقبل وقال ايضا العامة تقول اعن بحاجتى على لغة من يقول عنيت بالحاجة وهى

لغة

لغة ضعيفة * وفى الجمهرة العين فى بعض اللغات تسمى البصاصة * وقال الموفق البغدادى فى ذيل الفصيح قول العامة هم فعلت مكان ايضا وبس مكان حسب وكريح مكان حط كله مولد ليس من كلام العرب * وقال محمد بن المعلى الازدى العامة تقول لحديث يستطال بس والبس الخلط وعن ابن مالك البس القطع ولو قالوا لمحدثه بسا كان جيدا بالغا بمعنى المصدر أى بس كلامك بسا اى اقطعه قطعا وانشد * يحدثنا عبيد ما لقينا * فبسك يا عبيد من الكلام * وقال ابن دريد فى الجمهرة شنطف كلمة عامية ليست بعربية محضة * وقال صاحب القاموس الفشار الذى تستعمله العامة بمعنى الهذيان ليس من كلام العرب وقد ورد فى القاموس كثير مما يشاكل هذا وذلك لانه يجب على المؤلف البارع ان ينبه على كلام العامة كما ينبه على ماير تكبونه من الغلط وكذا فعل ابن قتيبة اذ قال ان من الافعال التى تهمز والعامة تدع همزها طأطأت راسى وابطأت واستبطأت وتوضأت وهيأت وتقرأت وترأست وطرأت وتجشأت وفقأت الخ مما لا يحصى وقال ايضا ومما يهمز من الاسماء والافعال والعامة تبدل الهمز فيه او تسقطه آكلت فلانا اذا اكلت معه ولا تقل واكلته وكذا آزيته اى حاذيته وآخذته بذنبه وآمرته فى امرى وآخيته وآسيته وآزرته اى اعنته وآتيته على ماير يد قال والعامة تجعل الهمز فى هذا كله واوا الى آخره * وقال ايضا ومما لا يهمز والعامة تهمزه رجل عزب والكرة وخير الناس وشر الناس وعسر ويسر ورعبت الرجل ووتدت الوتد وشغلته عنك وما نجع فيه القول الى آخره * وقال ايضا ومما يشدد والعامة تخففه الغلو والاترج والاجاص والاجانة والقبرة والشعى والعارية والقوصرة وفى خلقه دعارة وفوهة النهر والبازى ومراق البطن * وقال ايضا ومما يخفف والعامة تشدده الرباعية للسن والكراهية والرفاهية والطواعية ورجل يمان وامرأة يمانية وشام وشامية والطماعية الى آخره * وقال ايضا ومما جاء ساكنا والعامة تحركه فى اسنانه حفر وفى بطنه مغس ومغص الى آخره * وقال ايضا ومما جاء متحركا والعامة تسكنه تحفة وتخمة ولقطة ونخبة وزهرة للنجم * وقال ايضا ومما تبدل فيه العامة حرفا بحرف الزمرد وهو بالذال المعجمة الى آخره فانت ترى ان اغلب الائمة قد نبه على الفاظ العامة وكثيرا ما فعل ذلك صاحب القاموس مما لا يخفى على من نزع عن نفسه التعامى فما بال صاحب الجنان قد عميت بصيرته

فاصبح لا يميز النور من الظلمة ولا يفرق بين الهدى والضلال ولما ذا يستشرف عيب غيره مع ان عيوب نفسه اكثر من ان تحصى ولو رآها لاغمى عليه منها اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون الم يدر صاحب الجنان بان غلطاته لو تجسمت لاخافت الغيلان وسدت الطرق وجففت الغدران فكيف ساغ له ولتلميذه الطعن فى الافاضل والتهافت على الباطل وفيما تقدم رد ايضا لقول ابراهيم ويجرى هذا المجرى استشهاده بكلام الاعاجم فقد رأيت الفاظا كثيرة من اللغة الفرنساوية والانكليزية اثابه الله اه فان من شروط المؤلف البارع فى اللغة ان ينبه على اصولها وفروعها ويتروى فى ذلك وينعم النظر فى اصل مأخذها واشتقاقها وفى ذكر ما يجانسها من اللغات كما فعل ذلك مؤلفوا الافرنج قاطبة فانهم فى كل لفظة نبهوا عليها فى كتبهم اللغوية وبينوا اصل اشتقاقها الى اخره ولا عيب مطلقا على من حذا هذا الحذو لما فيه من الفوائد الجمة ولا ينكر ذلك الا الغافلون الجاهلون وحسبك ما اورده الامام الخفاجى فى شفاء الغليل بقوله اعلم انى اذكر فى كتابى هذا تتميما للفائدة ما قد يذكره بعض اهل اللغة اما لتركهم التنبيه على انه مولد وصاحب القاموس يفعله كثيرا حتى تراه يعتمد فى بعض اللغات على كتب الطب وهو من سقطاته الفاضحة واما لانهم لم يحققوا معناه واما لكونه غريبا نادر الاستعمال ( اه ) ومن هنا يعلم انه كان الواجب على صاحب القاموس ان ينبه على اصل اشتقاق الالفاظ كما فعل صاحب الجوائب وكيف لا يفعل ذلك صاحب الجوائب وهو بارع فى اللغات الافرنجية كما نوه بذكره بعض من الجرائد الانكليزية ولنضرب مثلا واحدا يؤيد صحة ما قررناه من ان صاحب الجوائب قد اصاب فى هذا العمل غاية الاصابة فنقول قد ورد فى شفاء الغليل الذى اعترض فيه الخفاجى على صاحب القاموس غير مرة لتركه التنبيه على اصل اشتقاق الالفاظ ما نصه اذريون نور اصفر معرب آذركون اى لون النار والفرس كانت تجعله خلف آذانها تيمنا واصله ان ازدشير بن بابك كان يوما بقصره فرآه فأعجبه ونزل لاخذه فسقط قصره فتيمن به وهو نور خريفى يمد ويقصر قال يحيى بن على النديم

اذا ما امتطى الاذان من بعد شربنا * جنى آذريون تروى من القطر
حسبت سوادا وسطه فى اصفراره * بقايا غوال فى مداهن من تبر

وقال

وقال ابن المعتز

واردف آذريونة فوق اذنه * ككاس عقيق فى قرار تها تبر

وقال ابن الرومى

كان آذريونها * والشمس فيه كاليه

مداهن من ذهب * فيها بقايا غاليه

واذا اراد ان نزيده فنحن بحوله تعالى مستعدون لما يشاء

واما قوله ولولا خوفى ان يسقط شان هذا المولف ويضيع افتخار صاحبه زاده الله فخرا لصرحت لك بانه احيانا يورد الفاظا من لغة اهل مالطة فهل كل ذلك الا دليل فضل واسع وعلم لجوابه مما تقدم وهو ان مولف سر الليال لم يذكر شيا من هذه الالفاظ الا لنكتة ومعلوم ان لغة اهل مالطة هى فى الاصل عربية كما يعلم من كتاب كشف المخبأ فكما يصح ايراد الفاظ من كلام اهل مصر والشام والعراق والغرب كذلك يصح ايراد الفاظ من كلام اهل مالطة على مايقتضيه المقام تتميما للفائدة كما اشار اليه العلامة الخفاجى فهلا يميز ابراهيم واستاذه صاحب الجنان الغث من السمين وكيف انقلب فى اعينهما النور ظلاما ومن العجب العجاب ان من لفق قاموسا وسماه بمحيط المحيط مع انه انتن من بحيرة لوط كما افاده بعض الادباء تلتبس عليه هذه المسئلة لاجرم ان فى ذكر هذه الالفاظ التى اوردها مولف سر الليال لفائدة عظيمة يعرفها المشتغلون بعلم اللغات لا المولعون بالمماحكات وانما لم تقع لدى ابراهيم واستاذه موقعا حسنا لانهما تلبسا بالحسد والتعنت قال الشاعر

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

وهنا اسأل كل مولف فاضل واديب عاقل ومنصف عادل كيف صح ان علماء مصر والشام والحجاز والعراق والغرب قرظوا سر الليال نثرا ونظما لغرابة اسلوبه وكثرة فوائده وتكفله بتفسير جميع الالفاظ وابراهيم اليازجى واستاذه بطرس البستانى يعيبانه ويزيفانه لعمرى ان من استقبح ما استحسنته العلماء والفضلاء لجدير بالصفع على قذاله وبسد فه عن التمادى فى محاله فرحم الله ابا العلاء المعرى حيث قال

اذا وصف الطائى بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس انت ضئيلة * وقال الدجى للصبح لونك حائل

وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زر ان الحياة ذميمة * ويانفس جدى ان دهرك هازل

وقوله واما احتجاجه بان ذلك القس البيروتى اوردها بلفظ المفرد خلافا لما رويته فلا تمسك له به اقول هذا الجواب هو عين المكابرة والتعنت والتعسف فاذا كان هذا المماحك لايقنع بهذه الشهادة المحسوسة الظاهرة كظهور الشمس فى رابعة النهار فلايقنع ولايذعن للحق ولو نزل اليه ملك من السماء وبلغه ذلك كيف لا وان سليم افندى نوفل صدق على ورودها مفردة عند اهل بيروت فمثل ابراهيم فى ذلك مثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون صم بكم عمى فهم لايرجعون واما استناده الى انه يحتمل ان يكون قد تصرف بها فردها الى المفرد فهو مبنى على التعنت المحض اذ من اين اتى له هذا الاحتمال مع ان سليم افندى نوفل قد نفاه وقوله ان تورد هذه الحجة فى ما اذا قيل ان بناء مفردها غير ممكن الى آخره اقول لا يجوز ان يكون هذا حجة فيما اذا انكر مفردها انما اذا وقع ذلك فيتعين والحالة هذه ان يقيم الحجة من القواعد الصرفية ومن كلام العرب واغرب من هذا تجويزه هنا الاستشهاد بكلام العامة مع انه قد انكره سابقا على محرر الجوائب حيث اخذ يعترض على سرالليال فى ايراده بعضا من الفاظ العامة وهنا جوز ايرادها حجة وهو ترجيح من غير مرجح فيالها من غفلة حجبت أنوار بصيرته وبصيرة استاذه صاحب الجنان ولكن ربما يعتذر عنه بانه قد نسى كلامه وما اعترض به سابقا ففرط منه هنا ما فرط فلا لوم اذا ولا عتاب فقد أغلقنا الباب

اما مسئلة المرابض التى لم يزل مصرأ على رأيه فيها فغاية فى الغرابة فان محرر الجوائب بعد ان اورد كلام أئمة اللغة فى هذا قال فان اصر على المكابرة والعناد بعد هذا النص الصريح فان ائمة اللغة فى هذا العصر يحكمون بيننا انظر الجوائب عدد ٥٣٨ فكان من الواجب اذا ترك الكلام فى هذه المسألة للعلماء لا التمادى فى المماحكة وبقول صاحب الجوائب اقول وبما اقامه من الدليل اتمسك واقول ايضا بقول عبد اللطيف البغدادى فى شرح الخطب النباتية ان اللغوى شانه ان ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه وقال امام الحرمين فى البرهان ذهب بعض اصحابنا فى طوائف من الفرق الى ان اللغات لايمتنع اثباتها قياسا وانما قالوا ذلك فى الأسماء المشتقة

المشتقة كالخمر فانها من التخمير والمخامرة فقال هؤلاء ان خصصت العرب فى الوضع اسم الخمر بالخمر النيئة العتيقة يجوز تسمية النبيذ المشتد خمرا لمشاركة الخمر النيئة فيما منه اشتقاق الاسم والذى نرتضيه ان ذلك باطل لعلمنا ان العرب لا تلتزم طرد الاشتقاق (وهذا حجة على قول المعترض ان المرابض يجوز أن تكون لغير الغنم كالثور مثلا لان الثور يربض فتامله) قال واقرب مما ال اليه ان الخمر ليس فى معناها الاطراب وانما هى من المخامرة او التخمير فلو ساغ الاستمساك بالاشتقاق لكان كل ما يخمر العقل او يخامره ولا يطرب خمرا وليس الامر كذلك والقول الضابط فيه ان الذى يدعى ذلك ان كان يزعم ان العرب ارادته ولم تبح به فهو متحكم من غير تثبت وتوقيف فان اللغات على خلاف ذلك ولم يصح فيها ادعاء نقل وان كان يزعم ان العرب لم تعن ذلك فيلحق فالحاق شي بلسانها وهى لم ترده محال والقياس فى حكم من يبتدى وضع صيغة وقد اطبقوا على ان البنج لا يسمى خمرا وان كان يخامر العقل والدار لا تسمى قارورة وان كانت الاشياء تستقر فيها والغراب لا يسمى ابلق وان اجتمع فيه السواد والبياض اه وقس عليه المرابض فانها خاصة بالغنم وان كان غيرها من الحيوانات يربض وهذا ليس بغريب الا على من لم يطلع على اقوال العلماء

(قوله ولعمرى لم نر احدا من علماء الصرف واللغة نبه على ان اسم المكان يبنى من الفعل فى أحد معانيه دون سائرها) اقول قد قصر فهمه عن ادراك ما قاله محرر الجوائب فلنورده هنا بحروفه لكى ينجلى الغطاء وهذا نصه ان العرب كثيرا ما تفرد اسم المكان بمعنى مخصوص من معانى الفعل المتعددة وذلك لكثرة استعمالها له فمن ذلك لفظة المحافل فانها لا تستعمل عند الاطلاق الا بمعنى المجالس التى يحفل فيها القوم اى يجتمعون مع انه يقال حفل الماء واللبن كما يقال حفل القوم فان اراد الشاعر الرجوع الى اصل الفعل كان لابد له من التقييد كان يقول مثلا محافل الماء فاما عند الاطلاق فينصرف المعنى الى المجالس (اه) فمن هنا يعلم ان محرر الجوائب لم يقل ان اسم المكان يبنى من الفعل فى احد معانيه دون سائرها بل قال ان اسم المكان كثيرا ما تفرده العرب بمعنى مخصوص من معانى الفعل المتعددة وذلك لكثرة استعمالها له واستشهد لذلك بقوله اولا محافل الناس ثم قوله بعد محافل الماء فلو قال فى احد معانيه لا غير لم يسغ ان يقول محافل الناس ومحافل الماء بل يقتصر على احد المعانى

ويؤيده ما قاله ابن فارس من ان المعنى يتحول بالتصريف قال لانا نقول وجد وهى كلمة مبهمة فاذا صرفت افصحت فقلت فى المال وجدا وفى الضالة وجدانا وفى الغضب موجدة وفى الحزن وجدا ويقال القاسط للجائر والمقسط للعادل فتحول المعنى بالتصريف من الجور الى العدل الى ان قال ويقولون للعاشق عميد وللبعير المتأكل السنام عمد الى غير ذلك من الكلام الذى لا يحصى وهو على حد كلمة المرابض التى نحن فيها * وكثيرا ما نبهت العلماء على انه توجد الفاظ اصلها عام ثم خصت اى انها وضعت فى الاصل عمومية ثم خصت فى الاستعمال ببعض افرادها وهو كقول صاحب الجوائب المتقدم غير ان هذه العبارة اعم من اسم المكان مثاله الحج فقد ذكر ابن دريد ان الحج اصله قصدك الشئ وتجريدك له ثم خص بقصد البيت فان كان هذا التخصيص من اللغة صلح لان يكون مثالا فيه وان كان من الشرع لم يصلح لان الكلام فيما خصته اللغة لا الشرع فالاحسن التمثيل بلفظ السبت فانه فى اللغة الدهر ثم خص فى الاستعمال لغة بآخر ايام الاسبوع وهو جزء من اجزاء الدهر ورث كل شئ خسيسه واكثر ما يستعمل فيما يلبس ويفترش وهذا مثال صحيح ويقال بارض بنى فلان طمة من الكلا واكثر ما يوصف بذلك اليبس والرضراض الحصى واكثر ما يستعمل فى الحصى الذى يجرى عليه الماء وقال ابو عمرو السبت كل جلد مدبوغ وقال الاصمعى هو المدبوغ بالقرظ خاصة وهذه العبارة التى نقلناها من اقوال بعض الائمة مع تصرف هى كعبارة الجوائب * اما قول المعترض وما ادرى من الذى قال له ذلك واى الائمة نص عليه وما اكتفى بما زعمه حتى حاول ان يثبته من كلام العرب فكان غلطا مركبا اقول ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا من مماحك يتعمد ستر الحق بكثرة الكلام الم ينتبه لقول العلماء انه توجد الفاظ وضعت فى الاصل عمومية ثم خصت فى الاستعمال ببعض افرادها كما مر من الامثلة التى اوردناها

اما قوله ان المرابض يفهم بها عند الاطلاق مواضع ربوض الدابة دون الانسان لان الربوض فى الدابة اشهر اقول اى العلماء قال له ان الربوض فى الدابة اشهر ومن نص على ذلك من الائمة وانما يقال ان الربوض فى الدابة اصل واطلاقه على الرجل مجاز قال فى اللسان الربضة من الناس الجماعة والاصل للغنم واما قوله صلى الله عليه وسلم للضحاك اذا اتيتهم فاربض فى دارهم

ظبيا

ظبيا فهو مجاز ايضا والمعنى انم فى ديارهم آمنا كالظبى الآمن فى كناسه ورجل ربض عن الحاجات لا ينهض فيها وهو ايضا من المجاز وقولهم رجل رابض مثله وقال الليث فانبعث له واحد من الرابضة هو من المجاز * واما قوله والعجب هنا انه اجاز فى كلامه محفل الماء ولم يجز مربض الرجل وما ادرى ما الفرق بينهما اقول يالها من غباوة نفخت هذا المعترض واستاذه صاحب الجنان كيف يساوى مربض الغنم بمربض الرجل مع انه مجاز فى الثانى وحقيقة فى الاول اى كلمة مستعملة فيما وضعت له واستعمالها فى الانسان مجاز اى كلمة مستعملة فى غير ما وضعت له اما محفل الناس والماء فهو بعكس ما ذكر فهذا هو الفرق بينهما ويا ليت هذا المماحك يعترض بمجرد اعتراض ويقتصر على ذلك بل يعترض ويتهكم ويشنع على اقوال العلماء ومثله غرابة تصديق صاحب الجنان المنفوخ على خطائه وعناده فيالها من شناعة وفظاعة عبقت ذفرتها الكريهة فى العالم ومن هنا تعلم ان المعترض الذى شجعه استاذه لا يعرف الفرق بين الحقيقة والمجاز

وقوله واما النصوص التى اوردها دلائل على صحة دعواه فلا تغنى عنه شيا بل انما تؤذن بصحة كلامى اقول النصوص التى اوردها صاحب الجوائب هى ما اورده من كتب اللغة منها قول صاحب العباب المرابض للغنم كالمعاطن للابل وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم صلوا فى مرابض الغنم ولا تصلوا فى اعطان الابل وقال فى لسان العرب والمرابض للغنم كالمعاطن للابل واحدها مربض مثل مجلس وقال صاحب الصحاح والمرابض للغنم كالمعاطن للابل وقال صاحب المصباح فى اول المادة والمربض وزان مجلس للغنم مأواها ليلا فقول هولاء الائمة هنا هو كقول صاحب فقه اللغة الاقيال لحمير كالبطاريق للروم وكقوله ايضا الحجير من الخيل كالسريس من الابل والعنين من الرجال وربوض الغنم مثل بروك الابل والشادن من الظباء كالناهض من الفراخ وكقول صاحب القاموس الثندأة لك كالثدى لها والمشفر للبعير كالشفة لك وقول صاحب الصحاح والمشفر من البعير كالجحفلة من الفرس فقد تبين اذا لذى النظر الصحيح ان هذه النصوص دالة على صحة ما قاله صاحب الجوائب فان اللام فى قولهم والمرابض للغنم للتخصيص وهو على حد قولهم الثغاء للضان الزئير للاسد النهيق للحمار النباح للكلب الضباح للثعلب التشدق لابراهيم الاحنبطاء لاستاذه ومن تأمل فى حقيقة معنى الربوض وهو اللصوق بالارض

استشعر ان اطلاقه على الفرس مجاز فان الفرس لا تربض فى الارض كالغنم ولعل ملاحظة هذا المعنى خطرت ببال صاحب القاموس ولذلك خص الربوض بالغنم وعبارته وربضت الشاة تربض ربضا وربضا وربوضا وربضة حسنة بالكسر كبركت فى الابل ومواضعها مرابض فتامله * ومثل ذلك قول الثعالبي فى فقه اللغة فى تقسيم الجلوس جلس الانسان برك البعير ربضت الشاة والمراد بالشاة هنا الواحدة من الغنم قال الازهرى الغنم الشاء الواحدة شاة وتقول العرب راح على فلان غنمان اى قطيعان من الغنم كل قطيع منفرد بمرعى وراع * وقال صاحب فقه اللغة فصل فى اوصاف الغنم اذا كانت الشاة سمينة ولها سحفة وهى الشحمة التى على ظهرها فهى سحوف الى ان قال فاذا تركت سنة لا يجز صوفها فهى معبرة * وقال ايضا قبله فصل فى تقسيم الشعر الشعر للانسان وغيره المرعزى والمرعزاء للمعز الوبر للابل والسباع الصوف للغنم * وقال ايضا فصل فى الوان الضان والمعز وشياتها اذا كان فى الشاة او العنز سواد وبياض فهى رقطاء ومنه تعلم ان معنى الشاة والغنم فى كتب اللغة هو ما جرى عليه عرفنا وعلى فرض التوسع فى هذه اللفظة عند قيام القرينة فقد اطبقت علماء اللغة على ان المرابض للغنم فلا يصح ان نتكلف ونحمل عبارة القاموس على معنى ينافى كلامهم

اما قوله وان كان كل هذا لا يقنعه اوردت له شيا من سر الليال فعبارة سر الليال هى عبارة القاموس بعينها ولا يفهم من عبارة القاموس غير ما افادته عبارة العباب وغيره فليس لقول ابراهيم انه كان ينبغى لصاحب الجوائب ان يستدرك عليه معنى واقول ايضا زيادة على ما قلته فى المرابض ان الربض ماوى الغنم نقله الجوهرى وانشد للعجاج يصف الثور الوحشى

واعتاد ارباضا لها ارى * من معدن الصيران عذملى

قال بعضهم العذملى القديم واراد بالارباض جمع ربض شبه كناس الثور بماوى الغنم وفى الحديث مثل المنافق كالشاة بين الربضين اذا اتت هذه نطحتها واذا اتت هذه نطحتها قال بعضهم ويروى بين الربضتين والربض الغنم نفسها فالمعنى على هذا انه مذبذب كالشاة الواحدة بين قطيعين من الغنم وانما سمى ماوى الغنم ربضا لانها تربض فيه * وقال صاحب اللسان واصل الربض والربضة للغنم وقال الازهرى الرويبضة هو الذى يرعى الغنم وفى القاموس والربض كامير الغنم برعاتها

برحاتها المجتمعة فى مرابضها قال امرؤ القيس

ذعرت به سربا نقيا جلوده * كما ذعر السرحان جنب الربض

وقال ابن عباد والزمخشرى يقال للغنم اذا افضت وحملت قد ربض عنها الخ وهذا ليس فى المرابض فقط بل من ابنية الكلمة ايضا وذكر هذه الاستشهادات هنا تايد لكون المرابض هى للغنم فمن هنا تعلم ان ما استشهد به محرر الجوائب يؤذن بصحة كلامه بل يويده كما لا يخفى

واما قول ابراهيم ان الاعطان لا تختص بالابل كما صرحت كتب اللغة واستشهاده بالقاموس والمصباح وهذان الكتابان هما المرادان بقوله كتب اللغة فجوابه ان صاحب القاموس كثيرا ما يطلق بعض الفاظ خصصها غيره مثال ذلك قال الثعالبى فصل فى تقسيم الاشارات اشار بيده اومأ براسه غمز بحاجبه رمز بشفته لمع بثوبه وصاحب القاموس لم يقيد هذه الافعال كما قيدها الثعالبى هنا فانه قال وما اليه كوضع اشار كأومأ ووبأ وتقدم فى وب ا وقال وغمزه بيده بغمزه شبه نخسه وبالعين والجفن والحاجب اشار وقال الرمز الاشاره او الايماء بالشفتين او العينين او الحاجبين او الفم او اليد او اللسان وقال لمع بيده اشار والطائر بجناحه خفق فنرى من هذا ان صاحب القاموس لم يخصص كما فعل غيره وهذا لا ينفى كون هذه الالفاظ كانت عامة اولا ثم خصت بموجب القاعدة * اما قوله وكذلك ما فى العباب ولسان العرب والصحاح من قولهم المرابض للغنم كالمعاطن للابل فانه جار مجرى عبارة الحديث فلا ينتج منه ما اراده اقول قد تقدم الكلام على المرابض بما يغنى عن مزيد المماحكة وانا تارك فيها الكلام للعلماء كما تركه محرر الجوائب ولكن كان من الواجب على المعترض ان يبين لنا عدم الانتاج

اما قوله واما اتفاق النصوص على صورة واحدة حيث قيل فى الكل مرابض الغنم وكثيرا ما وقع لهم ذلك وتابع بعضهم بعضا فهو طعن صريح فى السلف وخروج عن حد الادب الى غاية الصلف اذ مقتضاه ان هذه المتابعة وقعت من هولاء الائمة من دون ترو بل مجازفة واذا صح هذا من ائمة اللغة التى هى مدار جميع العلوم صح ايضا من علماء النحو والحديث والتفسير فيفضى الامر الى القول بانه لا يجب الاخذ بكلام العلماء لانهم لا يتحرون ما يقولونه بل يتابع بعضهم بعضا من دون روية فيجب التوقف فى كل ما قالوه ورووه حتى يقيض الله عز وجل متبلتعا مثل

ابراهيم اليازجي واستاذه صاحب الجنان فيوضحا للناس ما التبس من اقوال المتقدمين فانظروا ايها العلماء والادباء والمعلمون والمتعلمون ويا ايها الافندية والخوجات واستفتوا من ابراهيم واستاذه عما يخفى عليكم علمه من علوم العربية واياكم من ان تعتمدوا على فهمكم فى عبارة العلماء فان كل ما قالوه له تاويل عند هذين الشيخين الفحطلين فيالها من سفاهة تخبث النفوس وتحمل الوباء الى جميع البلدان فى الطروس والعجب ان لا يقام حد على هذا القذف الشنيع والافتراء الفظيع

* اما قوله جار مجرى الحديث فاقول بالايجاب انه يجب الاخذ بالحديث لانه عربى فصيح فيعمل به ويرفض ما ينافيه على انه لا يوجد ما ينافيه فى نصوص الائمة كما هو واضح للعيان فانظر بعينك ايها المكابر المعاند واقلع عن هذه المحاولة والاعتساف

وقوله ان من اصطلاحاتهم فى كتب اللغة ان يقصدوا الهرب من التطويل غالبا بذكر التعريف بتمامه فاقول اذا كان ذلك صحيحا فما بال صاحب القاموس لم يتابعهم حتى يفر من الطويل والايجاز غاية مرامه بل هو غير تطويل وانما هو تقصير فانه يوهم خلاف المراد وزاد على ان قال تاكيدا لدعواه انهم اقتصروا على ذكر واحد من الامثال كقولهم المرابض للغنم وهى تتناول غيرها (اه) اقول ان هذا التعريف حسب كلامه يكون فاسدا ومخلا وغير جامع فانه نقل ان من شروط الحدود وما يجرى مجراها ان تستوفى جميع جهاتها ولو كانت معلومة بحيث ينبغى ان تكون مستقلة بمفهومها مع صرف النظر عن كل جهة خارجية الا ما جرى عليه الاصطلاح فلا مشاحة فكيف نسى هذا المعترض ما قاله سابقا ويمكن ان يتمحل له بانه انما نسيه لانه نقله وانتحله بدون ترو ولا فهم فسقط فى ما سقط فيه

واما تمثيله بكرنب من انها كسمند فهى ليست من هذا القبيل وعلى فرض انها منه فهى كاملة فاذا كانت ناقصة كما زعم فليكملها ويبق له الفضل على صاحب القاموس وقد قدمنا سابقا ان هذه اللفظة ثلاثية فليراجع

اما استشهاده بغلت القدر فهو استشهاد بعيد فان قول القاموس جاش البحر هو من قبيل المجاز وكذلك الغليان كما نبه على ذلك الامام اللغوى مجد الدين ابو الفيض السيد محمد المرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى شارح القاموس اذ قال جاشت القدر تجيش جيشا

جيشا غلت حقيقة واما قول بعضهم جاش البحر بالامواج فلم يستطع ركوبه فهو مجاز ولا ينكر المجاز فى اللغة الا الجاحد للضرورة والمبطل محاسن لغة العرب قال امرؤ القيس

فقلت لها لما تمطى بصلبه * واردف اعجازا وناء بكلكل

وليس لليل صلب ولا ارداف وكذلك سموا الرجل الشجاع أسدا والكريم والعالم بحرا والبليد حمارا للمقابلة مابينه وبين الحمار فى معنى البلادة والحمار حقيقة فى البهيمة المعلومة وكذلك الاسد حقيقة فى البهيمة ولكنه نقل الى الرجل تجوزا وكذلك قولنا جاش البحر وغلى قال فى الصحاح جاشت القدر تجيش اى غلت وجاشت نفسى اى غثت ويقال دارت للغثيان فان اردت انها ارتفعت من حزن او فزع قلت جشأت وجاش الوادى زخر وامتد جدا فذكر الحقيقة اولا وذكر غير الجوهرى ان الصحيح جاشت القدر اذا بدات ان تغلى ولم تغل بعد اما المصباح فانه اقتصر على الحقيقة فانه قال جاشت القدر تجيش جيشا اذا غلت

اما قوله وبقى هنا ما استشهد به بعبارة القاموس وهى تصرح ببطلان دعواه اقول قال الثعالبى فصل فى تقسيم النسج نسج الثوب رمل الحصير وعبارة القاموس رمل الطعام جعل فيه الرمل والثوب لطخه بالدم والنسج رققه كارمله ورمله والسرير والحصير زينه بالجوهر ونحوه وقال ايضا فصل فى تقسيم الرعدة الرعدة للخائف والمحموم الرعشة للشيخ الكبير والمدمن للخمر القرقفة لمن يجد البرد الشديد وعبارة القاموس ارعده فارتعد أى اضطرب والاسم الرعدة بالكسر ويفتح وهى النافض يكون من الفزع وقال ايضا رعش كفرح ومنع رعشا اخذته الرعدة وارتعش الرجل ارتعد وقال ايضا القرقف الخمر يرعد عنها صاحبها وقرقف ارعد الى آخره فهل للمعترض ان يقول ان الثعالبى اخطأ فى تقييده بعضا من الالفاظ لان صاحب القاموس ذكرها بدون تقييد على ان ما قاله الثعالبى لا يوجد له ادلة قوية وبراهين جلية كالادلة التى اقامها صاحب الجوائب على المرابض فانه استشهد من الحديث ومن كتب الائمة * اما قوله انكر على صاحب المصباح الاطلاق فى الاول والتقييد فى الثانى يعنى اطلاق الفعل وتقييد الظرف فالمنكر انما هو الذى جاء بهذه الدعوى لا صاحب الجوائب لان صاحب الجوائب قال اذا سلمنا باشتراك الفعل لم ينتج منه اشتراك اسم المكان فان العرب كثيرا ما تفرد اسم المكان بمعنى مخصوص وغير اسم المكان ايضا ولعمرى انها عين عبارة المصباح فان اطلاق المصباح فى الاول هو معنى

قول الجوائب اذا سلمنا باشتراك الفعل وتقيده فى الثانى هو عين قول صاحب الجوائب لم ينتج منه اشتراك اسم المكان فكيف ينكره وهو عين قوله ومن هنا تعلم ان تقرير صاحب الجوائب فى محله وانه تبع الائمة فى اقوالهم

اما قول المعترض ان صاحب فقه اللغة لم يذكر المربض فى تقسيم الاماكن فمن قال له انها خاصة بالغنم اقول اولا ان صاحب فقه اللغة قد خصص الربوض بالغنم كما تقدم وثانيا ان ما استشهد به بقول الحديث وهو صلوا فى مرابض الغنم وبقول ائمة اللغة مغن عن الاستشهاد بغيره والتخصيص مفهوم من عباراتهم فان قولهم المرابض للغنم كالمعاطن للابل هو كقول صاحب فقه اللغة الاقيال لحمير كالبطاريق للروم كما مر فليس بين التعبيرين فرق

اما استشهاده بقول النابغة الذبيانى

اذا استنزلوا للطعن عنهن أرقلوا * الى الموت ارقال الجمال المصاحب

وقوله اطلق الارقال على الرجال وفى فقه اللغة انه للجمال اقول قف قليلا وابعد عد هذا الزيغ والعناد واعلم ان الارقال فى الاصل هى للجمال انما اطلقها الشاعر هنا على الرجال ذوى النبالة والشجاعة تجوزا فان الشاعر وصفهم بانهم لعدم مبالاتهم بالموت ولفرط شهامتهم ولنبالتهم يرقلون كارقال الجمال فهى لا تنافى اختصاص الارقال بالجمال فلماذا يحرف المعترض الكلم عن مواضعه ويتشبث بادنى قول لتاييد دعواه مكابرة وعنادا والاظهر انه لايعرف الفرق بين الحقيقة والمجاز كما تقدم فلا تغفل ويويد ذلك استشهاده بما فى فقه اللغة فيا للعجب

واما قوله ان هذه المسئلة اشبه بما وقع لبعضهم قال لا يقال الراكب الا لراكب البعير خاصة فرد بقول امرىء القيس

كانى لم اركب جوادا ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

اقول نعم انها مثلها وان الراكب لا يقال الا لراكب البعير خاصة قال بعضهم ومن الخصائص فى الافعال قولهم ظنتنى وحسبتنى وخلتنى لا يقال الا فيما فيه ادنى شك والتابين لا يكون الا مدح الرجل ميتا ويقال غضبت به اذا كان ميتا والمساعاة الزنا بالاماء خاصة والراكب راكب البعير خاصة والح الجمل وخلات الناقة وحرن الفرس ونفشت الغنم ليلا وهملت نهارا الى آخره قال فى الصحاح عن ابن السكيت تقول مر بنا راكب اذا كان على بعير خاصة فاذا كان الراكب

على

على فرس او حمار او بغل قلت مر بنا فارس على حمار ومر بنا فارس على بغل وقال عمارة لا اقول لصاحب الحمار فارس ولكن اقول حمار قال ابن برى قول ابن السكيت مر بنا راكب اذا كان على بعير خاصة انما يريد اذا لم تضفه فان اضفته جاز ان يكون للبعير والحمار والفرس والبغل ونحو ذلك فتقول هذا راكب جمل وراكب فرس وراكب حمار فان اتيت بالجمع يختص بالابل ما لم تضفه كقولك ركب وركبان فلا تقول ركب ابل ولا ركبان ابل لان الركب والركبان لا يكون الا لركاب الابل وقال غيره واما الركاب فيجوز اضافته الى الخيل والابل وغيرهما كقولك هولاء ركاب خيل وركاب ابل بخلاف الركب والركبان واما قول عمارة انى لا اقول لراكب الحمار فارس فهو الظاهر لان الفارس فاعل ماخوذ من الفرس ومعناه صاحب فرس وراكب فرس مثل قولهم لابن وتامر ودارع وسائف ورامح اذا كان صاحب هذه الاشياء وعلى هذا قال العنبرى

فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

فجعل الفرسان اصحاب الخيل والركبان اصحاب الابل وهذه المسألة كمسألة المرابض والمحافل فان المرابض متى اطلقت انصرفت الى الغنم والمحافل عند الاطلاق لايفهم منها الا المجالس التى يحفل فيها القوم اى يجتمعون مع انه يقال حفل الماء واللبن والقوم كما قال صاحب الجوائب فان اراد الشاعر الرجوع الى اصل الفعل كان لابد له من التقييد كان يقول مثلا محافل الماء فاما عند الاطلاق فينصرف المعنى الى المجالس وهو مثل راكب سواء ومن هنا تعلم ان المعترض لم يعرف الفرق بين اسم الفاعل والفعل المضارع وان ما ابداه من قلة الادب فى حق صاحب الجوائب هو مثل ما ابداه فى حق العلماء الاعلام الذين قالوا ان الراكب لايستعمل الا للبعير خاصة

وقوله لو وقعت اى كلمة الراكب لصاحبنا لم يسلم بها ولما حك ما شاء الله اقول ورد فى المثل الساير عويل واسان طويل * انسيت عيبك ياجبر فصرت تنظر عيب غيرك * ام خلت ادراك المعالى بالسفاهة من وكبرك * الست انت الذى ماحك فى الفحطل وقد ثبت وقوعها غلطا وفى المرابض وقد اوضحت لك ولكل من كابر معك فيها انها خاصة بالغنم وفى لم اكن اليوم مذ اليوم وفى المظنة وفى الذمة والذمم وغير ذلك مما ساقرع انفك بالجواب عنه قرعا يبين لك الورد من الجعل

والصواب من الخطل فكيف تروم من صاحب الجوائب ان يسلم بالخطا المبين ويروح مثلك غويا مع الغاوين فان يكن لديك برهان على صحة ما تزعمه فاتنا به وقل لنا اى الأئمة قال ان الراكب غير مختص بالبعير اذا اطلق اى اذا لم يضف فهذه مسالة الراكب اوردتها برمتها من كلام علماء اللغة

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس راوه بالابصار

( عود الى الربض ) اما قوله ثم انكر على ( اى صاحب الجوائب ) توجيه ماخذ الربوض من الربض للامعاء فالجواب ان اقوال صاحب الجوائب لما كانت مبنية على القواعد الكلية والادلة العلية انكر على ابراهيم ما خبط فيه في هذه اللفظة عكسا للقاعدة المقررة اذ كيف يصح ان يكون المجاز اصلا للحقيقة فقد قال العلامة المرتضى شارح القاموس الربض محركة الامعاء كما في الصحاح اوهو كل ما في البطن من المصارين وغيرها سوى القلب والرئة ويقال رمى الجزار بالحشو والربض ويقال اشتريت منه ربض شاته وهومجاز قال ومن المجاز ايضا الربض لسور المدينة وماحولها ومنه الحديث انا زعيم لمن امن بي واسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وقال ايضا ومن المجاز الربض حبل الرحل الذى يشد به او ما يلى الارض من حبل الرحل ومن المجاز الربض لما يكفيك من اللبن ولكل ما يووى اليه ويستراح لديه من اهل وقريب ومال ونحوه قال الشاعر * جاء الشتاء ولما اتخذ ربضا يا ويح كفى من حفر القراميص * ومن المجاز رجل ربض عن الحاجات والاسفار اذا كان لا ينهض فيها ومن المجاز قال الليث فابعث له واحد من الرابضة قال الرابضة ملائكة اهبطوا مع آدم عليه السلام فقد رايت ان الربض للامعاء مجاز عن ربض بالمكان وان انكار صاحب الجوائب لان يكون المجاز اصلا للحقيقة عين الصواب قال ابن جنى في الخصائص الحقيقة ما اقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك وانما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلثة وهى الاتساع والتوكيد والتشبيه فان عدمت الثلاثة تعينت الحقيقة ( اه ) وحجة صاحب الجوائب مبنية على هذه القاعدة الكلية وهى ان الاشياء الظاهرة تكون اصلا للاشياء الباطنة كما اخذ العقل من عقلت البعير والحكمة بالكسر من الحكمة بفتحتين والذكاء لتوقد الذهن من ذكت النار ومثله ثقوب الفكر والرجل المهذب من قولهم هذبت الشجرة كما افاده في سر الليال قال وهذا النوع موجود في جميع اللغات وكان المعترض

لم

لم يرض بقول صاحب الجوائب الاشياء الظاهرة فاراد ان يحيلها عن وجهها كما هو دابه في كل الامور فقال ان الاشياء الظاهرة هي الاشياء المحسوسة وهي التي تدرك بالحواس فاقول اذا كان المراد بالاشياء الظاهرة الاشياء التي تدرك بالحواس فلم لا يكون ربض بالمكان من هذا الباب فهل فقد هذا المعترض حواسه الم يدر ان الحواس الظاهرة خمس وهي البصر والسمع والشم والذوق واللمس وان الربوض بالمكان يدرك بالبصر واما قوله ان الاشياء الباطنة هي الاشياء المعقولة فالجواب انها تشمل المعقولة والمستترة كما يفهم من مقابلتها بالظاهرة كالامعاء وهذا هو عين ما اراده صاحب الجوائب اما الامور العقلية فهي الامور الغائبة التي يدركها العقل بالوسائط فانهم عرفوا العقل بانه جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة والمراد هنا الاول اي انه يدرك الغائبات بالوسائط وهي كقولنا آنفا ان الباطنة تشمل المعقولة والغائبة عن الحواس اي المستترة كالامعاء فما الفرق بين الكلامين الا ترى ان ربضت الغنم هو مثل عقلت البعير وان الربض اي الامعاء هو كالعقل اما قوله واقرب ما اراه في ما خذ الربض للامعاء انه من الربض لحبل الرحل على التشبيه اقول اراد المعترض ان يصلح غلطه الاول فوقع في خطأ ثان فمثله كمثل الجعل الذي لا يزال يتدحرج على الخباثات فينتقل من واحدة منها الى اخرى فقد اسلفنا ان الربض لحبل الرحل الذي يشد به من المجاز وما كفاه ذلك حتى حاول ان يقيم على هذا الوهم برهانا حيث قال وانت تدري ان العرب كانت كيفما تقلبت فالرحال بين ايديها ونصب اعينها في الحضر والسفر وفي جميع احوالها فالمظنون ان هذا التشبيه اقرب ما يخطرلها ( اه ) اقول ان الظن لا يغني عند الله شيأ وان هذا القول رجم بالغيب فينبغي الرجوع الى ما قاله صاحب الجوائب اما قوله انني في توجيهي المشار اليه انما اعتمدت على ما ورد في كتب اللغة فبنيت كلامي على ما رايته من كلامهم في مثل هذه اللفظة لاعتقادي انه يصح ان يقاس على ما قرروه فاقول له اي العلماء قال ان ربض بالمكان ماخوذ من ربض الامعاء فما قوله هذا الا افتراء على العلماء وتقول اولعله اراد بالعلماء استاذه البستاني وانه لاحنبطائه يصح ان يقسم منه علماء كثيرون

اما استشهاده على ان ربض بالمكان ماخوذ من ربض الامعاء بورك برك فاقول له اين الرقتان من وادي الغضا واين الورك الذي هو ظاهر من الربض

الذى هو باطن فلا مناسبة بينهما الا فى ان كلا منهما جزء من الجسم قال فى الارتشاف الاصل فى الاشتقاق ان يكون من المصادر واصدق ما يكون فى الافعال المزيدة والصفات منها واسماء المصادر والزمان والمكان ويغلب فى العلم ويقل فى اسماء الاجناس وقال غيره الاشتقاق من الجواهر قليل جدا والاكثر من المصادر ومن الاشتقاق من الجواهر قولهم استحجر الطين واستنوق الجمل على انى اقول فى الورك ما قالته الائمة فى الربض للامعاء اعنى انه وارد من ورك بالمكان برك وروكا اى اقام ومثله ارك بالمكان فان الرجل يمكنه الاقامة على وركه ولعل هذا المعنى ملوح فى لفظ الحبوة ولذا جاء ورك على الامر بمعنى قدر عليه ولو انا سلمنا بان حضن من الحضن لم ينف كون الربض للامعاء مجازا كما تقدم وما بعد مخالفة النصوص الصريحة الا الضلال والخزى والفضيحة

اما قوله ولقد خطر لى الآن مالو خطر له لما باشر تاليف هذا الكتاب ولا تجشم لاجله عناء السهر وكد القريحة فى غير شى فالجواب ان كل ما اتى به هذا المعترض من المماحكات مبنى على حسد صاحب الجوائب على تفرده بمنهاج سر الليال وعلى ان اباه لم يخطر بباله هذا الاسلوب البديع وكذا يقال فى البستانى الذى قضى خمس عشرة سنة من عمره فى تاليف محيط المحيط ثم جاء به مشحونا بالغلط والتحريف والتصحيف فكان مثله فى ذلك كمثل الجبل الذى تمخض عن جرذ واشهد لو انه خطر بباله هذا الاسلوب البديع لقال لاهل بيروت انا ربكم الاعلى ولاسيما انهما رايا علماء العصر قد قرظت سر الليال وشهدوا لمؤلفه بالفضل والاحسان فيه فما زال هذا التقريظ حازا فى كبدى هذين الحسودين حتى نفثا اليوم بما كان مكنونا فى صدورهما * ولنورد هنا نبذة من فوائد هذا الكتاب الغريبة وبعد ذلك نورد نبذة من تقاريظه فمن الفوائد ما قاله فى اول الكتاب قال المصنف رحمه الله الأب الكلا او المرعى او ما انبتت الارض واب للسير تهيأ كائتب والى وطنه اشتاق ويده الى سيفه ردها ليسله وهو فى أبابه فى جهازه واب ابه قصد قصده وابت ابابته استقامت طريقته والاباب الماء والسراب وبالضم معظم السيل والموج واب هزم بحملة والشى حركه واب صاح وتابب به تعجب وتبجح قلت كان عليه ان يجمع معانى الفعل كلها فى موضع واحد وعندى ان اول هذه المعانى اب الشى حركه وهو حكاية صوت ونحوه هب وهف لحركة الريح وخب لعدو الفرس وحف

لصوت

لصوت ركضه وقب لصوت ناب الفحل وعب لصوت جرع المـاء واب للسير اى تهيأ من معنى الحركة ونحوه عبأ المتاع والامر هيأه وجاء ايضا اهب للامر وتأهب اى استعد ومن هـذا المعنى قيل اب هزم بحملة والى وطنه اشتاق وجاء الوب التهيؤ للحملة فى الحرب كالوبوبة ونحو ابه ام امه وحم حمه وامتـه ويممه والأب للكلأ من معنى القصد ولك ان تقول انه من معنى الحركة المقرونة بالاشتياق اذ هو عند العرب من اعظم مايتشوق اليه ولهـذا قال تعـالى ثم شققنا الارض شقا فانبتنـا فيهـا حبا الى قوله تعالى وفاكهة وابا وقال ايضا وانزلنـا من المعصرات ماء ثجاجا فانبتنا فيهـا حبا ونباتا وجاء الم بمعنى العشب وجعل ابن فارس الاب من معنى التهيئة قال لانه يعد زادا للشتاء والسفر كما فى المصباح ومن معنى القصد والاشتياق ايضـا جاء الاباب بمعنى المـاء وهو بالفـارسية احد شطرى اللفظ العربى اعنى آب فاما اطلاقه عـلى السراب فمن تسمية المكروه بمـا يستحب كقولهم نام اى مات وله نظائر كثيرة ويظهر ممـا سيذكره المصنف فى عب ان الاباب ايضا مصدر اب اى تهيـا ونحو الاباب بالضم لمعظم السيل والموج العبـاب لمعظم السيل وماء عبام اى كـثير وابت ابابته بالفتح والكسر من معنى القصد والتهيئة اذ كان للقصد معنيان الام والاستقامة وهذا من اسرار العربية فتامله ومن معنى التهيئة اب يده الى سـيفه وهو فى ابابه وابب بمعـنى صاح حـكاية صوت ومثله هب بالتيس دعاه لينزو وهب التيس نب وجاء ايضـا اهـاب به اى دعا وقيدها المصنف بالابل والخيل وهو غيرمراد وتابب به تعجب وتبجح هو من معنى اب هزم بحملة وفى المصبـاح الابان بكسر الهمزة والتشديد الوقت وانمـا يستعمل مضافا فيقال ابان الفاكـهة اى اوانهـا ووقتهـا ونونه زائدة من وجه فوزنه فعلان واصلية من وجه فوزنه فعـال اه قلت ومثله افان الشى وعفـانه وغفانه وتفانه وقفانه وهذه وحدها بالفتح والمصـنف ذكـر الابان وحده فى باب النون والبـاقى فى باب الفـاء وعندى انهـا كلها من مورد واحد ومن الغريب ان يجتمع فى هذه المادة التى هى اول الكتاب المـاء والخضرة والشوق والغلبة والفرح

ومن ذلك ماذكره فى جب جب واجتب قطع وهو حكاية صوت ومثله مقلوبه بج ومشـابهه قب ومقلوبه بق وجب ايضا استأصل الخصية ولقح النخل يقـال جاء زمن الجباب وجب الطلعة ( بالضم ) داخلهـا وجب ايضا غلب ونظير هذا المعنى

الاخير خلب فانه فى الاصل بمعنى شق ثم استعمل بمعنى غلب وفس عليه بهر ( الى ان قال ) ومن هذا الماخذ ( اى ماخذ القطع ) قولهم الجبة لثوب م ج جبب وجباب وهو على حد قولهم السب للخمار والشقة ( الى ان قال ) والجباب كسحاب القحط الشديد وحاصله انقطاع المطر والجباب بالضم الهدر الساقط الذى لايطلب فكانه قيل المقطوع ثاره * وقال فى جبر ثم الجبر وله معنيان اصليان احدهما ضد الكسر وهو يرجع الى جب النخلة اذا لقحها فتامله والثانى بمعنى الاجبار على الشى وهو يرجع الى معنى جب اى غلب والاصل فى ذلك كله حكاية صوت جب بمعنى قطع فانظر كيف انتقل معنى القطع الى التلقيح ثم الى جبر العظم على صورة بديعة جعلت القطع وصلا فمن لا يتعجب من هذا اللسان فما هو بانسان الى آخر المادة * ومن ذلك قوله فى حب ومعنى احبه الرباعى جعله فى حبة قلبه على حد قولك اوعى المتاع اذا جعله فى الوعاء واحرزه اذا جعله فى الحرز واضمر الشى اذا جعله فى ضميره واكنه اذا جعله فى الكن واسره اذا جعله فى السر فاما اسره بمعنى اظهره فالهمزة فيه للقلب اى قلب المعنى وقد ذكرهما فى المقدمة * ومن ذلك قوله فى خبز وعندى ان الخبز من معنى الضرب اى من قولهم خبز البعير اى ضرب بيده الارض ومصدره الخبز بالفتح قال ويؤيده مجئ الملكة كعظمة للقرصة المضروبة باليد وجاء الرغيف من الرغف وهو جمع الطين والعجين وجاءت القرصة للخبزة من قرص والطلمة من التطليم وهو الضرب باليد وكانه مقلوب اللطيم وكلها متوقف على عمل اليد وزاد على ما قاله هنا فى بعض النسخ وجاء عجنت الناقة الارض ضربتها بيدها ومنه اشتقاق العجين وجاء خلج بمعنى ضرب ودور الخبزة * وقوله فى بيع باعه يبيعه بيعا ومبيعا والقياس مباعا اذا باعه واذا اشتراه ضد ومنشأ هذه الضدية ان اصله من مد اليد ومنه مبايعة الخليفة وهو مما فات المصنف ( اى صاحب القاموس ) وحقيقة المعنى ان كلا من البائع والشارى يمد يده الى صاحبه ايجابا للعقد ويؤيده مجئ الصفقة بمعنى البيعة وهو من صفق اى ضرب ضربا يسمع له صوت قال فى الصحاح وصفقت له بالبيع اى ضربت يدى على يده وقال فى المصباح كانت العرب اذا وجب البيع ضرب احدهما يده على يد صاحبه ثم استعملت الصفقة فى العقد فقيل بارك الله لك فى صفقة يمينك قال الازهرى وتكون الصفقة للبائع والمشترى فقد رايت ما تميز به سر الليال فى تبيين معنى هذه اللفظة المشكلة التى طالما شغلت خواطر الناس افليس

ذلك

ذلك بانفع من جناس عاطل العاطل الذى افتخر ابو المعترض بانه من مخترعاته * ومن ذلك قوله فى عبـد عبد كفرح غضب وقد تقدم مرادفه فى ابد وهو امد وحمد وعمد واضم واطم كلها على وزن فرح قال وعندى ان العبد ماخوذ من المعنى الاول وحقيقة معناه من يغضب لمالكه ويؤيده ما قاله المصنف فى ح ش م حشم كفرح غضب وحشمه كسمعه اغضبه وحشمة الرجل وحشمه محركتين واحشامه خاصته الذين يغضبون له من اهل وعبيد وجيرة * قال ويقرب من هذا الماخذ قولهم حمو المراة وحمو الرجل فانه ماخوذ من حمو الشمس وحقيقة معناه من به حمو للغيرة على المراة ومثله لفظة الصهر للقرابة ولزوج بنت الرجل وزوج اخته فان معناه فى الاصل من الحرارة يقال صهرته الشمس اى صحرته * ومن ذلك قوله فى ع ب ر وعبر المتاع والدراهم نظر كم وزنها وماهى فكانه قيل جازبها من حالة مجهولة الى حالة معلومة ومن هذا القبيل عبر الرويا عبرا وعبارة وعبرها بالتشديد اى فسرها واخبر بآخر ما يؤول اليه امرها الى ان قال لان حقيقة عبر عما فى نفسه اجاز المعنى من ضميره الى لسانه والعبرة العجب وحقيقة معناها ما يعبر بالانسان من حالة الذهول والغفلة الى حالة الذكر والتفكر الى ان قال فى آخر المادة والمصنف ابتدأ المادة بعبر الرويا والجوهرى بالعبرة من الاعتبار وصاحب الصحاح بعبرت النهر وهو الصواب لان احتياج العرب الى قطع النهر والوادى اشد من احتياجهم الى تفسير الاحلام * ومن ذلك قوله فى موت ونقلت من كتاب عن الامام البيهقى ان اصل مات من ماتت الريح اى سكنت وعندى ان اصله من معنى المت وهو النزع تشبيها للميت بنازع الدلو ويؤيده ان النزع جاء بمعنى قلع الحياة وجاء من جذب جذاب كقطام للمنية ومثله جباذ وقس على ذلك سائر الكتاب

فهذا النمط الغريب والاسلوب العجيب فى تنسيق الالفاظ واظهار معانيها هو الذى قطع كبدى ابراهيم اليازجى واستاذه البستانى صاحب التشابيه الحوشية * والتعابير الوحشية * وارقهما واباتهما على مضجع حشوه القتاد * وطال ليلهما به حتى كانه شد بامراس الى اطواد * فما زالا ينقران فى هذا الكتاب عن عيب ينشرانه * وغلط يشهرانه * حتى وسوس اليهما الخناس ان فى كل عبارة منه غلطا * وتحت كل جملة منه سقطا * فجعلا صوابه خطا * ونظرا غدقه خطا * لان الله تعالى اعمى بصائرهما عن الصواب * فضرب ما بينهما و بين الهدى حجابا واى حجاب *

وانساهما الشيطان ما فى محيط المحيط ومفتاح المصباح من الخطأ والتحريف * وما فى مجمع البحرين ونار القرى من اللحن والتصحيف * ولو كان لهما عقل يعقلهما عن المنكر * او نهى تنهاهما عن التهافت على الشر * او حجر يحجرهما عن اتباع الهوى * او عرض يعرض بهما عن الخنى لنظرا اولا فى عيوبهما * واستغفرا من ذنوبهما

يا ايها الرجل المعلم غيره * لم لا لنفسك كان ذا التعليم
لا تنه عن خلق وتاتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ودونك برهانا آخر على فضل سر الليال وهو ماشهره المولف فى احدى الجوائب قال من فوائد سر الليال انك اذا اتخذت الفعل المضاعف اصلا وفرعت عليه جميع الافعال وجدت بينها وبينه تناسبا وتجانسا بحيث تتامل فى حقيقة الاصل لتدرك معناه مثال ذلك لفظة فت فان معناه الدق والكسر بالاصابع ولازمه الفتح لان كل ما انكسر انفتح * ثم تقول فتأ كمنع كسر واطفأ وما فتأ مثلثة التاء اى ما زال وحقيقة معناه ما انكسر وما انقطع الا ان كسر العين فى فتأ افصح من فتحها وعليه اقتصر صاحب المصباح * ثم فتح ضد اغلق وهو ظاهر * ثم الفتخ اصل معناه اللين رجل افتخ الطرف فاتره فلم ينقطع عن معنى التكسر * ثم فتر من بابى نصر وضرب فتورا وفتارا سكن بعد حدة ولان بعد شدة وحقيقة معناه انكسر تقول فتر الحر كما تقول انكسر الحر * ثم الفتش وهو طلب عن بحث كذا تعريف صاحب القاموس له وحقيقة معناه طلب فتحه وكشفه وهو اكثر ظهورا فى فتشت الثوب بالتخفيف والتشديد * ثم فترصه بمعنى قطعه ومثله فرصه ولا يخفى ان القطع والكسر من مورد واحد * ثم فتغه كمنعه وطأه حتى ينشدخ وهو مبنى على الكسر والتليين * ثم فتقه شقه وهو جامع لمعنيى الكسر والفتح * ثم الفتك ان ياتى الرجل وهو غافل حتى يشد عليه فيقتله وهو غير منقطع عن معنى الكسر لكنه خصص بهيئة معلومة وحالة مخصوصة * ثم فتله اى لواه ولك فيه وجهان احدهما انه يرجع الى حركة اليد فى الفت والثانى انه مقلوب لفت ومثله لبت واليه ذهب الجوهرى حيث قال فتلت الحبل وغيره وفتله عن وجهه فانفتل اى صرفه فانصرف وهو قلب لفت * ثم فتن الذهب والفضة اذا بهما للاختبار هذا اصل المعنى وهو مبنى على التكسير والتفتيح واصل الفتنة الخبرة بمعنى المحنة ثم اطلقت على اختلاف الناس فى الآراء

وعلى

وعلى الضلال والاضلال والجنون والاثم والكفر والفضيحة والعذاب وغير ذلك وكله لايخلو عن المناسبة * ثم الفتى الشباب وحقيقة معناه تفتح الصبى فى سنه والفتوى بضم الفاء وفتحها ما افتى به الفقيه وحقيقة معناه ما فتحه وكشفه ويويد ذلك ان الفتح جاء بمعنى الحكم بين الخصمين وفاتحه بمعنى قاضاه ولم يذكر صاحب القاموس صيغة فاعل فى قنى وذكر فى مادة فتك فاتحه بمعنى ساومه * (مثال آخر) جم الماء يجم ويجم جموما اذا كثر واجتمع والفرس جما ما ترك الضراب فتجمع ماؤه والاولى ان يقال تجمع ماؤه لترك الضراب * ثم جئ عليه كفرح غضب وهو غير محرف عن حمئ عليه فان الغضب كثيرا ما ياتى من معنى الامتلاء نحو حبل عليه اى غضب واصله من حبل من الماء والشراب اى امتلأ وتجمأ فى ثيابه تجمع والجماء الشخص وهو غير منقطع عن التجمع * ثم جمح الفرس اعتز بفارسه وغلبه وهو يرجع الى جم ماؤه لترك الضراب * ثم الجمخ الكبر والفخر وهو من هيئة الفرس الجامح ومثله الزمخ والشمخ * ثم جمد الماء وكل سائل وحقيقة معناه تجمع ويويده مجئ اجمع بمعنى جفف وايبس * ثم الجمد الحجارة المجموعة * ثم الجمرة النار المتقدة ج جمر وعبارة الصحاح الجمر جمع جمرة من النار وهى عندى اولى حتى تكون مثل تمر وتمرة ولحم ولحمة وكيف كان فان حقيقة معنى الجمر النار المتجمعة بعد اشتعال الحطب متفرقا ومن هذا المعنى الجمرة وهى الف فارس وجمرت المرأة شعرها جمعته وعقدته فى قفاها وكل ضفيرة جميرة * ثم الجمثورة التراب المجموع ومثله الجرثومة * ثم الجمخور الاجوف * ثم جمز نكص وهرب وهو من معنى الجمز * ثم الجمهور الجمع العظيم ومثله الجمهور والجمرة الجمعرة وهو ان يجمع الحمار نفسه ويحمل على العانة * ثم جمهور الناس جلهم وجمهره جمعه * ثم جمز اى عدا وهو يرجع الى جمح الحصان * ثم جمس الودك جموسا من باب قعد جمد كما فى المصباح وهو اول ما ابتدا به المادة وصاحب القاموس ابتدأ بالجاموس مع جزمه بانه معرب وهو غريب منكر وعندى ان الجاموس غير معرب كما تشير اليه عبارة المصباح فانه قال الجاموس نوع من البقر كأنه مشتق من ذلك (اى من جمس الودك) لانه ليس فيه لين البقر فى استعماله فى الحرث والزرع والدياسة * ثم جمش راسه حلقه وهو ضد جمع ومثله جبش راسه * ثم جمع الشى ومعناه ظاهر * ثم جمل اى جمع وجملة من الكلام طائفة منه فكأنك قلت جماعة ومعنى الجمل عندى حيوان مجتمعة فيه الفوائد والمنافع

* ثم الجعليل من يجمع كل شى * ثم الجمان كغراب اللولو او هنوات اشكال اللولو من فضة وعندى انه غير منقطع عن معنى الجمع * ثم الجماء الشخص من الشى وجمه فكانك قلت جملته وتجمى القوم اجتمع بعضهم الى بعض

ولولا هذا الاسلوب لخفيت عليك اسرار اللغة بل كان ذلك حاملا على اساءة الظن بالواضع لان الجاهل اذا وجد السلاح بالكسر والسلاح بالضم من مادة واحدة تحير فى وجه المناسبة بينهما فيحمله التحير على نسبة الشين لكلام العرب فاذا رد المعنى الى سل ثم انتقل الى سلأ وسلب وسلت وسلج حتى وصل الى سلح علم ان الوجه الجامع بين السلاح المكسور والمضموم السل فتطمئن نفسه وهذا المثال وحده كاف فى لزوم اتخاذ الفعل والمضاعف اصلا فضلا عن باقى الادلة المذكورة فى مقدمة الكتاب فاذا علمت هذا علمت ايضا ان هذا الكتاب ليس موضوعا على الاشتقاق الاكبر كما ظن بعض من اطلع عليه فانهم مثلوا للاشتقاق الاكبر بقولهم شجرت فلانا بالرمح اى جعلته فيه كالغصن فى الشجرة وتشاجر القوم اى اختلفوا كاختلاف اغصان الشجرة مع ان شجر فلانا بالرمح يرجع الى شج البحر بمعنى شقه والمفازة قطعها ومعنى الشجر محركة من الشجر مسكنة وهو الاختلاف ومرجع هذا الى شج الشراب اى مزجه فان لازم المزج الاختلاف فقد رايت ان الشجر محركة ليس اصلا للشجر مسكنة خلافا لما زعموه هذا وانى قد اتبعت الفعل المضاعف بالفعل الاجوف لانى رايت انهما كثيرا ما ياتيان بمعنى واحد او بمعنيين متقاربين يعلم ذلك من امعن النظر فيهما ثم رايت فى كتاب الوشاح ما معناه ان بعض ائمة اللغة يجعلون المضاعف والاجوف من مورد واحد

اما التقاريظ التى حررتها العلماء والادباء والفضلاء الالباء على سر الليال فانها تكاد تكون كتابا مستقلا فاول ذلك ما قاله العلامة الفاضل الاديب عزتلو عبد الله بك فكرى من فصل طويل * وقد وفق الله فى كل عصر عظماء علمائه * ونبهاء نبلائه * لخدمة هذا العلم الشريف والقيام بازائه * فافادوا واجادوا * وبلغوا من احراز الثواب والصواب ما ارادوا * ولكن طالما تمنت الناس على عزة مامولها * كتابا يميز بين فروع هذه اللغة واصولها * ويعلل وضع كل كلمة بازاء مدلولها * فان كتب اللغة التى رايناها وان علت بعض كلماتها * وردت معانى بعض المواد الى اصل مدلولاتها * لكنها لم تلتزم ذلك فى جميع المواضع * بحيث يظهر فى كل لفظة

سر

سر حكمة الواضع * فلم توجد هذه البغية فيما وصلت اليد اليه * والله سبحانه وتعالى اعلم بما لم نطلع عليه * فلما اعوز الظفر بكتاب على ذلك الاسلوب * وكادت تعجز الليالى الحبالى عن انتاج هذا المطلوب * وفق الله لوذعى الفنون الادبية والمعيها * واباعبيدة هذه اللغة الكريمة واصمعيها * خير سابق فى مضمار الفخار * واجدفارس فى ميدان البيان * لا يجارى فى مضمار * ولا يصطلى له بنار * ورافع رايات الفضل المبين على ارفع منار * فخر هذا العصر على سوالف الاعصار * والمتباهية بماله من بدائع الآثار جميع الامصار * مفحم الاخصام بالقول الفصل * ومفعم الايام بماله من الفضل * آية الله فى فصاحة القول وبلاغته * وغاية الغايات فى صناعة البيان وصياغته * رب الصنائع الروائع * والبدائه والبدائع * والكلم النوابغ * والحكم البوالغ * واللطائف والطرائف * والعوارف والمعارف * صاحب الجوائب التى جابت الآفاق * واذعن بالتسليم لبراعتها جميع الفضلاء بالاتفاق * فاستنجد العزيمة العظيمة لهذا الشان * واجهد نفسه الكريمة فى خدمة هذا اللسان * لالتقاط دره المكنون من زواخر البحار * واستنباط سره المصون فى ضمائر الاستتار * واخلص لهذه اللغة البديعة هواها * ولم يجعل فى منزلتها الرفيعة سواها * فدان له عصيها * ودنا له قصيها * وفتحت له كنوزها * وشرحت له رموزها * واجتنته من بهى ازهارها الفائحة بطيب نشرها * وناجته بخفى اسرارها المضنون على غيره بنشرها * فاستوعب عجائبها المنعشة للفواد * وغرائبها المدهشة لعقول الحساد * واوعب ذلك فى كتابه سر الليال * البديع المثال * الذى هو نتيجة سهر الليالى الطوال * فى حب هذه اللغة الشريفة وخدمتها * فاودعه ما يكشف عن الافهام القوية غشاء غمتها * ويملك انحاء القلوب السليمة برمتها * ويقتاد اهواء النفوس الكريمة بازمتها * وقد اتحفنى بنسخة الجزء الاول منه ادام الله اتحافه * ووالى عليه الطافه * وواصل اسعاده واسعافه * فشاق ناظرى روضة دانية المجانى من زواهر مبانيه * وراق فكرى جنة زاهية المغانى من بواهر معانيه * فالفيت ما لم يحط به باع الاطلاع قبله فى كتاب * ولا تعلقت به اطماع الاسماع فى سالف الاحقاب * من الفرائد المجدده * والفوائد الممهده * والنكت المطربه * والتحقيقات المعجبه * والابتكارات الفائقه * والاشارات الشائقه * فانه كشف استار اسرار اللغة ومزاياها * واستخرج خفايا الخبايا من زواياها * ومن مزايا هذا الكتاب القاضية

بفضله * رد الفرع الى اصله * وايراد الشئ فى محله * وسرد المواد على اسلوب حكيم * وترتيب قويم * استدعاه ايضاح تناسبها * وابداء تجانسها * وبيان اصل مدلولاتها * ونسق معانى تلك المواد فى البق محلاتها * على وضع رائع * وصنع بارع * تبينت به وجوه ما آخذها * وعلاقاتها ومناسباتها * حتى انتظمت مواد اللغة على هذا المثال كقلائد الدر * وانسبكت فى قالب الجمال والكمال كسبائك الذهب الحر * مع اتباع كل دعوى ببيان بيناتها * وجمع فرائد الفوائد من مظناتها واستدراك ما فات صاحب القاموس على كثرة نفعه * وغزارة جمعه * من بيان يطلب * او مثل يضرب * او لفظة يرغب فى اثباتها * ومن مزايا هذا الكتاب الجليل * ومحاسن اسلوبه الجميل * تثبيت معانى اللغة فى ذهن قارئه بكثرة ما يمر به من التعليل * وايراد الدليل * فان المسئلة اذا ذكرت بتعليلها * واتبعت بذكر دليلها * كانت بالقلب اعلق * وبالقبول اخلق * مع تسهيل العباره * وتقريب الاشاره * وترك الطويل الممل * ومجانبة التقصير المخل * الى غير ذلك من الخصائص التى تبهر بحسنها ارباب الالباب * وتتقاصر دون اوصاف محاسنها اطناب الاطناب * تقبل الله من مولفه الفاضل الجليل هذا السعى المشكور * وضاعف له جزيل الاجور على هذا العمل الجميل المبرور * انه غنى شكور * ولا زال فخرا لارباب الادب * وذخرا لطلاب لسان العرب * على مدى الدهور * ما ازدهى فى الدجى هلال * وانتهى الى غاية كمال *

﴿ ومن ذلك ما حرره العلامة الاستاذ الشيخ عبد الهادى نجا الابيارى قال ﴾ والسابقون الاولون من احزابه وانصاره (اى اللسان العربى) والذين اتبعوهم باحسان فى قطف قطوف اسراره وان شيدوا مبانيه * ونضددوا مبانيه * ومهدوا قواعده * ومدوا فى مجامع جوامعهم موائده * وجلوا عرائسه الحسان * وحلوا نصوصه بفصوص البيان * لكن لم يات احد منهم بما به يروق مجتلاه ومجتناه * ويوصل به ما تقتطع من بين لفظه ومعناه * حتى تنبه لذلك فارس ميدان البراعة * ومالك زمام القرطاس والبراعه * الفذ الذى عقمت عن توامه فتاة الزمان * والبذ الذى اصبح ولبيانه وبنانه فى جنتى البلاغة والبراعة عينان نضاختان * فالف بين قلوبه وجمع فيه بين المحب ومحبوبه * بما الفه من كتابه السحر الحلال * المسمى بسر الليال * فلقد احسن به كل الاحسان * واقربه اعين الزمان * لاسيما بالطريقة التى

ابدعها

ابدعها * والشريعة التى شرعها * تقلدها تقصارا فى جيد لغة العرب * وخلدها نعمة سابغة على جميع اهل الادب * اورد الافكار من سلامة اختراعه بحورا من المعارف صافيه * والبس الاذهان من حسن تفصيله حللا من الفضل ضافيه * اذ اطلع طرسه المسطور من اسرار اللغة كواكب واقمارا * وانبع معناه البعيد ولفظه القريب من مكنون لطائفها حدائق وازهارا * ولعمرى لقد راقت فصوله اختراعا * وفاقت فروعه الاصول الجامعة اجماعا * واوضح سبيل اللغة العربية باوضح من فلق الصبح ووشح عرائسها بوشاح من التنقيح قد رصع بجواهر من النصح * فهو منة من الله ملأت الصدور انشراحا * وعمت الارجاء افراحا * كيف لا وقد كرم مفهوما ونصا وذهب فى مذاهب الفضل الى الامد الاقصى * رايته فرايت تحت كل ذرة منه دره * وفوق كل طلعة منه غره * وما ظنك بكتاب يلعب بعقول الكتاب عجبا * وينثر على وجوه وجهاء الادب لؤلؤا رطبا * لمعانيه من كل قلب نصيب * ولالفاظه فى مخامرة العقول سر عجيب * فصول نثر تعلو على النثره * وعقود فقر صب الفلك فى قوالبها زهره فقر تقول لفكر الزمان اسمع واجب * وطب نفسا بهذه المحاسن الباهرة ودار بحسن وصفها ووصف حسنها وطب * فقال الزمان ان فكرى قد قام بصوغ عقود المدح * على جميل هذه المنن وجليل هذه المنح * وقرظه من المهذب الكلامى بما يطرب الالباب * وهو فذلكة القياس * والعمدة فى ذلك الامر عند الاكياس وان هذا الكتاب لمدام المسرة الطف كاس * ولدوام المبرة اشرف نبراس * ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس * يجلس نديمه فوق السحاب المار * ويدور على قطبه فلك الفصاحة الدوار * يتضوع به من الادب ارجاؤه * ويحل به من عقد اللسان ما يتيسر به لكل آمل رجاؤه * قد تبلج فى بروج الادب بدره * فبهر عقل كل من امر فيه امره * وتبرج فى مروج البدو والحضر * فسلم له من اسلم وبهت الذى كفر * فلا اقسم بمواقع نجوم البراعة من سر هذا الكتاب * انه لهدى للناس ورحمة وبشرى لاولى الالباب * اخرج الناس من ظلمات العى والغى * والحق مشايخ الادب باولاد الحى * ما فيه فصل الا وقد اوضح من اللسان مشكله * ولا اصل الا وعاد الى رحم الاشباه والنظائر باصله * فمن بنى المتشوفين الى معانقة مخدرات اللغة * المتشوقين الى طلوع شموسها البازغة * ان قد تبرجت عرائسها الغوانى وتيسرت من مطالبها مسرات الامانى * وصفا شرابها فحل بعد التحريم * وعفى

حجابها فلا حرج على طلاب مكنونها ولا لغو فيها ولا تأثيم * بإزاء ذلك الكتاب المزهر الالفاظ والمعانى * المسفر لكل عاشق عن وجه ليس له فى الجمال ثانى

يقول للبدر فى الظلماء طلعته * باى وجه اذا اقبلت تلقانى

ما فيه عندى مجال لقادح * ولا يقدح فيه الا قلب آثر ابدان الاتباع بالابتداع الفاضح * فلله ما غنمه المولف من الثناء الذى تتوج به على ممر الاعصار * رؤوس المنابر * وتودج به ارجاء الاقطار * وتورخ به صحف المفاخر * لا زال سحابا وانواء الفضائل ماؤه * وبدرا وانواع المحامد سماؤه * وعلما منه مبدأ الفضل واليه انتهاؤه

﴿ ومما حرره العلامة الاجل سعادتلو السيد اباظه باشا من اعضاء مجلس الاحكام المصريه ﴾

وبعد فلى اطلعت على كتاب سر الليال * فاذا هو عزيز المثال * وعلى غير مصنفه بعيد المنال * لاسيما فى نوعى القلب والابدال * فهو جدير بقول القائل * هذا المصنف لو يباع بوزنه * ذهبا لكان البائع المغبونا * كيف لا وهو تاليف نادرة دهرة * ووحيد عصره * احد من جال فى مضمار البراعه * وفارس من اشارت اليهم بالبنان البراعه * سلطان العاشقين لحسان هاتيك الاسرار * التى لاتكاد تخاطب غيره الاخلف استار * ومن وراء جدار * السابق فلا يلحق له غبار * السارى على مصباحه ذووا الآداب * السائر على شاطئ شريعة آدابه كل جواب * من باصالة الراى شهرته * وبحلية الفضل زينته * الذى تتحلى بعقود ذكره عطل اجياد المجالس * حضرة محرر الجوائب احمد افندى فارس

متى تطلب الآداب احمد فارس * ذكاء اتيناها باحمد فارس

مربى المعانى فى بحور ذكائه * وما نحها الاقوات يسر المناقس

فسر الليالى فيض بحر امده * نهاه فما ياتى بغير النفائس

شؤون افادتها حنادس ظلمة * ولكن بها ابيضت وجوه المدارس

ولما وقفت على عجيب اختراعه * واطربنى بديع ابتداعه * سجدت لله شكرا * وحمدته حمد من احاط علمه بجميع آلائه قدرا * حيث قيض مثل هذا الهمام لهذا التصنيف * الذى نبا عن علم من تقدم من الفحول اهل التاليف * فمشى فى هذا الفج العميق الشقة والالتباس * مستضيئا بمصباح لولا المشقة ساد الناس * فياله من بليغ فى سماء اللغة بدا بدره * فقلنا اذ ذاك لله دره * وياليت شعرى كيف المكافاة لهذا الفاضل * وكيف يقرظ حسان معانيه مثلى وجيدى من حلى العلوم عاطل

عاطل * ولكن لما التمس منى ذلك من فى سويداء القلب محبته * ولم يسعنى الا اجابته * طفقت اقدم رجلا واوخر اخرى * كما قيل لا ادرى ايهما احرى * وما ذاك الا لقصر الباع وقلة البضاعه * وعدم الممارسة لاسباب هذه الصناعه * فهل انا فى ذلك الا كمهد الى البحر قطره * اوجالب الى غياض المشان تمره * لكن كلما تذكرت فكرى * تحيرت فى امرى * فقلت واثقا بمقابلتى بالسماح * التشبه باهل الفلاح فلاح

لاستسهلن الصعب او ادرك المنى * فما انقادت الآمال الا لصابر

وما زالت القريحة تتردد بين اقدام واحجام * وتقول مالى والولوج فى مضايق هذا الزحام

اذا لم تستطع شيا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

فقلت لها ان اخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

فاستسلمت بعض استسلام * وسالت باعناق مطيها اباطح الكلام * فقلت اللهم انه لم يلتقط الفلك عرائس الامانى * بمثل هذه اللآلى * التى ازدرت بالقاموس والصحاح * وجرت ذيل التيه على المزهر والمصباح * وكان قبلها لسان العرب * قاصرا عن نيل الارب * فعلا مقامها على المقامات * واميط عن وجه الجمهرة تشتت وجوه الدلالات والافادات * ولعمرى لو شامها ابن الاثير لم يقتدى بالنهايه * ولعهد نهايته بالاضافة اليها بدايه * ولو برزت مخدراتها لشارح القاموس * لما وضع التاج على رأس العروس * فيالله ما حواه هذا المؤلف الجليل من النكات الغريبه * والاساليب العجيبه * فتح بها بابا كان مرتجا دهرا طويلا * فسهل بها الى التقاط مثلها سبيلا * فهى فى الحقيقة ما بين الهام رحمانى * او وارد روحانى * لم ينسج فيها على منوال حائك * بل جاء منفردا فى تلك المسالك * فبلغت ركاب افكاره عند النهاية دار السلام وقابله من القبول حسن الختام

احسن بمضمار علم قال فارسه * اصالة الراى صانتنى عن الخطل

ابدى من اللغة الغراء ما خفيت * اعلام مظهره عن اعين الاول

حتى بدا بدره نادى مؤرخه * سر الليالى اتى عن فارس بطل

سنة ١٢٨٥

﴿ ومما كتبه العالم الفاضل الاديب الشيخ مصطفى العدوى الازهرى ﴾

بينما الناس متشوقة فى كل عصر لرؤية الاعاجيب * متشوقة لما يتجدد من البدائع فى كل غريب * اذ لاحت عليهم لوائح انوار سنيه * وفاحت لديهم فوائح انوار زهريه * فعطرت الآفاق من نشرها الاريج * وسطرت الاوراق من بشرها البهيج

اطلعت فى سمائنا كوكب الكشف * فاغشت ابصارنا بالضياء

فرمقت العيون الناظره * الى تلك المحاسن الناضره * واذا هى نور سرى سره السارى فاشرقت منه دهم الليال * ونور زاهر تكللت تيجانه الباهرة باللآل * فاشتاقت النفوس التى على طرف الثمام * الى الاطلاع على مطالع السعود وكشف اللثام * فصدح صادح التهانى معلنا باظهار هذا السر المصون * مطربا بسجعات المثالث والمثانى فوق هاتيك الغصون * مخبرا بان هذه اشراق انوار سطعت من سماء المعارف * لمن هو فى مضمار الرهان واسرار العرفان احمد فارس واوحد عارف * مشتملا ذلك الكتاب المستطاب على القلب والابدال * وهو بهذا العجب العجاب على سمو شان مؤلفه دال

طربت عند سماعى ذكر معناه * فكيف لو كان هذا عند مغناه

فهزتنى اريحية الصبابه * ان اقتفى آثار من مدحه من اهل الاصابه * فقلت فى الحال * على سبيل الارتجال * ممثلا قول من قال * وكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

انسيم فاح من عرف الشمال * يتهادى عن يمين وشمال
ام عبيق نشر مطوياته * عطر الارجاء من طيب الغوال
ام بدور لانحات مذ بدا * نورها السامى ضياء الشمس حال
ام معان سافرات اسفرت * بمبان تتجلى كالهلال
ام رياض زاهيات ازهرت * بضواحى ودواحى وظلال
ضحك الزهر بها لما راى * همع دمع المزن اضحى فى انهمال
صحت الارواح فيها مذ غدت * نسمة الارواح تسرى فى اعتلال
والهوا صاف لارباب الهوى * وزمان الانس امسى فى اعتدال
يانديمى شنف الاسماع من * سجع ورقاء الحمى ذات الحجال
واحس راح الروح فى دوح المنى * من حلال السحر والبحر الزلال

واحى

واحی لیل الانس فی حان الصفا ❊ حیث جهرا سرنا سترالیالی
عقد در یزدری اذ یزدهی ❊ بصحاح جوهریات اللآل
هو بحر لیس یحوی دره ❊ غیر غواص الحجا رب الجلال
هو مرآة لارباب النهی ❊ تظهر الاشیاء من غیر صقال
غاض قاموس المعانی وانزوی ❊ منه مذ سیاله السلسال سال
لیس للمصباح نور مبصر ❊ مع ظهور الشمس فی برج الكمال
فهو حق ظاهر دون خفا ❊ وسواه ان بدا طیف خیال
اذ لغات العرب طرا قبله ❊ قلبها خاو عن الابدال خال
فاتاها فارس الهیجا علی ❊ فترة فی كرة یبغی النزال
فاقتفی آثارها مقتصا ❊ غرر الالفاظ من در المقال
وكساها ثوب عز وبها ❊ تجتلی فی حلاه بالجمال
ببیان مبدع تبیانه ❊ شأوه السامی بعید فی المنال
جاء بالآیات مذ جاب الحمی ❊ فارس كم فی مجال العلم جال
عضد السعد عصام سید ❊ هو للتحقیق غوث وثمال
كم فروع جمحت عن اصلها ❊ ردها بالطوع فی ابهی مثال
كل فن باسمه یبری وله ❊ دولة فی كل عصر ورجال
ان حقا للاولی راموا العلی ❊ ان یشدوا صوب مغناه الرحال
اعط قوس الفضل باریها ولا ❊ تولها من شانه قیل وقال
یا امام العصر یامن قد غدا ❊ قدره العالی علی علیاه دال
هاك منی بنت فكر زینت ❊ لحماكم تتهادی بالدلال
تبتغی منكم قبولا ورضی ❊ فعسی تحظی ویا نعم النوال
دمت فی عز علی رغم العدی ❊ راقیا اوج المعالی والكمال

❊ وقال الادیب اللوذعی متنبی زمانه محمود صفوت افندی ❊

وكتاب تناسق اللفظ فیه ❊ فهو عقد مفصل من لآلی
فی كلام جماله فی كمال ❊ ومعان بدیعة فی معال
صرف النطق والبلاغة فیه ❊ ببیان فی القلب والابدال
عارض الدر بالصحاح من الجو ❊ هر والبدر طالعا فی كمال

بلغات من الفصيح بليغا ٭ ت بيان اتى بسحر حلال
ابدل القلب سرها فى المعانى ٭ فأرانا تصرف الابدال
احرز السبق فارس بالمعلى ٭ وراى ابن السكيت دون المجال
احمد الذات والصفات جميعا ٭ احمد القول احمد الافعال
علم البحر لافظا بفريد ٭ لفظه بالفريد والامثال
انما البحر قلبه البحر علما ٭ ويرى العلم صالح الاعمال
كان مما اسره الدهر دهرا ٭ ثم تم التقليب بالاحوال
فهو كالبدر فى سراه فارخ ٭ المعى اذاع سر الليال
سنة ١٢٨٥

﴿ وكتب فى الوقائع المصرية عدد ٢٩٧ بتاريخ الثانى ﴾
﴿ عشر من صفر من سنه ١٢٨٦ﻫ ما نصه ﴾

﴿ استحسان وتنبيه من مطلع عارف حضرة الباشا المفخم وكيل جمعية المعارف ﴾
قد متعنا النظر فى بعض نسخ الجوائب ٭ على عادتنا من استقصاء ما فيها من المطالب ٭ فاذا فيها فى مادة اقتوى تحقيق رائق ٭ وتدقيق حرى بالاستحسان فائق ٭ قد جمع من النقول ما يدرأ الظنون ٭ وتقر به الانفس والعيون ٭ وبالاطلاع على اصولها رايناها فى غاية التحرير ٭ الذى لا يعزب عنه فتيل ولا نقير ٭ ولم يسبق سواه اليه ٭ ولم ينبه غيره عليه فحمدنا الله تعالى على وجود مثل هذا المحرر ٭ الذى يشهد بفضله كل فاضل ويقر ٭ وتيقظنا لقدر سر الليال ٭ وانه بمكان من التحقيق جال ٭ يتحتم على كل انسان ٭ ان ينظر اليه بعين القبول والاستحسان ٭ ويجد فى تحصيله ٭ لان ذلك المحرر من قبيله ٭ (انتهى) اما التنبيه فتعلق برواية حديث وهى ليست من هذا الباب

﴿ وجاء فى تقريظ سر الليال من علماء العراق ما كتبه ﴾
﴿ العلامة الاستاذ الشيخ عبد الباقى افندى الوسى زاده قال ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن وفقنى فاوقفنى فى فروق ٭ على سر الليال ٭ فى القلب والابدال ٭ الذى بينه وبين سائر المصنفات فروق ٭ كيف لا وهو تصنيف فارس ميدان البلاغه ٭ ومن لم يبلغ احد فى حلبات السبق بلاغه ٭ مجمع البحرين ٭ وملتقى النيرين ٭ جمع جوامع المحامد والمواهب مشكوة شوارق الادب ٭ مصباح مصابيح

مصابيح اسرار البلاغة للعرب ❋ خلاصة اهل التنقيح والتوضيح ❋ ومغنى اللبيب عن التصريح بالتلويح ❋ القاموس العباب ❋ والحاوى لمنهج الصواب ❋ نزهة الالباب ❋ وروضة الاداب ❋ المثل السائر فى سائر البلاد ❋ والدرة الفاخرة لكل العباد ❋ من الفاظه الاكسيرية لاولى البصائر درياق ❋ حضرة احمد فارس افندى الشدياق ❋ لازالت رماح اقلامه تاسر كل معنى انيق ❋ فتحرر كل لفظ رفيق ❋ وعساكر افهامه تجول فى مهامه كل عويص ❋ وتبار كل غويص ❋ لنكس جيوش المشكلات ❋ وفتح حصون الخفيات ❋ ولا برحت الفاظه ومعانيه مصونة من عين الحسود ❋ فى صدف جمان لولؤ مكنون مختوم بختام من مسك عبيره ممدود ❋ فلله در انامل ذرت عنبر مداده على صفحات قرطاسه ❋ ودر فطنة اطلعت من مشكوة بلاغتها نور نبراسه ❋ ففى مختصره مطول المدح ❋ وفى تلخيصه ما يغنى عن الحاشية والشرح ❋ ولعمرى لقد ابدع فيه غاية الابداع ❋ واتى بما لم تستطعه الاوائل بلانزاع ❋

وليس على الله بمستنكر ❋ ان يجمع العالم فى واحد

وهو الحرى بان يقول فيه ذووا العرفان ❋ ليس فى الابداع ابدع مما كان ❋

❋ ومما كتبه اخوه الاستاذ العلامة الشيخ عبد الله بهاء الدين افندى قال ❋

لقد باحت الليالى بسرها المكتوم ❋ فابدت لنا ما استنارت منه ارجاء الفضائل ❋ واعلنت الايام بما اخفته فى صدرها من السر المعلوم ❋ فحققت لنا مقالة كم ترك الاول للآخر ❋ ولما انجلى ذلك السر للعيان ❋ وتجلى نجمه فى سماء البيان ❋ علمنا ان الامر فوق ما نعلم ونعهد ❋ ووراء طور العقول وابعد ❋ قد وعته اذن واعية ❋ فاودعته صدرا رحيبا بالعلوم ❋ وادركته مدركة حاويه ❋ فحواه فواد فسيح بدقائق المنطوق والمفهوم ❋ ومن لى بمثل فارس مضمار الكمالات ❋ الذى امتطى من الفضل صهوة كل محجل اغر قد استصعب على من سواه ❋ وغواص بحر المشكلات الذى استقصى اقصاه وادناه ❋ يساهر الليالى فيستملى منها اسرارها ❋ ويسامر الاقلام دون السمر العوالى فيستكشف بها من مخبئات الدقائق استارها ❋ فهو الفارس الذى ترجل فى ركابه كل فاضل ❋ واحجم عن مناضلته فى ميدان العلا كل مناضل ❋ المجلى بدقيق نظره وجلى فكره دقائق الاداب ❋ فكان المجلى فى حلبتها ومن تقدم باداء فرضها ونفلها فى مسجدها الجامع لكافة الطلاب ❋

والمصلى فى محراب قبلتها الذى جرى ملء العنان على جواد فكره المستقيم فادرك كل اعوجى من الشوارد ❊ وعدا على عاديات فضائله فتبين الضالع من الضليع غداة انقطع عن شأوه كل مسابق ومعاند ❊ ولعمرى لقد اعلن هذا السر بعلو كعبه فى المعالى ❊ وافشى خبرا طالما حدثتنا به الرواة عن بدره المتلالى ❊ ولولا ذلك الفاضل لما وقف على هذا السر المصون انسان ❊ ولبقى الى يوم النشر مطويا فى خزائن الكتمان ❊ ويقينا ان من وقف على هذا السر فقد وجد الكبريت الاحمر من الفصاحه ❊ ومن اطلع على دقائق هذا السفر ظفر بكيمياء السعادة من الرجاحه فبدائع حسن ترتيبه رشيقه ❊ ومبتكراته فى لطافة ترصيفه لخرد الابكار شقيقه ❊ لازال مولفه الفاضل الهمام ❊ مبرزا بقويم همته سر الليالى ❊ على مدى الايام ❊ ولا برح من صفه الفارس المقدام ❊ مظهرا عجائب الحقائق بسمر اقلامه العوالى ❊ من حقاب الاحقاب والاعوام ❊

❊ ومما كتبه الاستاذ العلامة حضرة فضيلتلو الشيخ محمد امين افندى الجندى ❊ من اعضاء شورى الدولة سابقا قال بعد البسملة والحمدلة وبعد فلما حضرت ثالث مرة الى دار الخلافة العليه ❊ والبلدة الطيبة قسطنطينيه ❊ لقيت بها العالم الفاضل ❊ والمدقق النحرير الكامل ❊ حريرى زمانه ❊ وسيبويه عصره واوانه ❊ صاحب التآليف المطبوعة النافعه ❊ والجوائب المفيدة الجامعه ❊ المشتهر بالفضل فى الآفاق ❊ احمد فارس افندى الشدياق ❊ بلغه الله تعالى آماله ❊ واحسن فى الدارين حالنا وحاله ❊ فاتحفنى بما وجد عنده اذ ذاك من الكتب التى حررها ❊ والرسائل التى الفها وحبرها ❊ فوجدت كلا منها غاية فى بابه ❊ ونهاية شاهدة بسعة اطلاعه ووفرة آدابه ❊ لاسيما هذه المجلة الموسومة بسر الليال ❊ والمرسومة على احسن طرز واعجب مثال ❊ فانى لما تصفحت صحائف اوراقها وسطورها ❊ واستطلعت بالمطالعة عرائس معانيها من خدور قصورها ❊ الفيتها السهل الممتنع ❊ وذروة الشاهق المرتفع ❊ لم يحلق حول حماها الى الآن طائر فكر ❊ ولا اقتطفت ثمار باسقاتها قبل قريحة زيد او عمرو ❊ بل المولف مخترع نظامها وتهذيبها ❊ ونسيج وحده فى امر تاليفها وترتيبها ❊ فهى البحر الزاخر ❊ والمصداق على قولهم كم ترك الاول للآخر ❊ ومن تامل تامل منصف ❊ والتزم الحق غير متعنت ولا متعسف ❊ جزم بان سوق المعارف فى عصرنا رائج غير كاسد ❊ والميل الى تحصيل العلوم والفنون متزايد ❊

الى

الى آخر ما قال ونعم المقال

﴿ ومما حرره الاستاذ العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب فى بيروت قال ﴾

وبعد فانى قد وقفت وقوف من تدبر الالفاظ لادراك معانيها * وامعن النظر فى خفايا اسرارها وكان ممن يعانيها * على الكتاب المرسوم بسمر الليال فى القلب والابدال المشحون بفرائد الدرر * المشرق فى طرر جباه الكتب غرة تزدان بها الغرر * فوجدته كتابا محكم البنيان * متقن المعانى والبيان * كشف لنا المخبا من اسرار لغة العرب * وابان منهج السلوك للدخول فى معرفة فنون الادب * ابدع بالقلب والابدال تصريف كلماتها * ونحا بحسن الاختراع نحو الاطلاع على دقائق آياتها * جاء بالمحكم من مختار فرئد قاموسها * وبنى خير اساس رصعه بصحاح الجوهرى لاظهار ناموسها * خبا نور المصباح عند اشراق نوره * واصبح صاحب فقه اللغة غير فقيه بظهوره * اثنى عليه بالاخلاص لسان العرب * وغدا ديوان الادب بآدابه مرغوب الطلب * وعطل جامع اللغة من ان يواظب خطيب البراعة فيه على الخمس * ولاح كتاب العين اثرا لايفديه الناظر فيه بعين ولا نفس * وضع بمجمل الفرائد فوائده على طرف الثمام للطلاب * ورفع راية العلم لمن وصل بيان معانيه بفصل الخطاب * كيف لا ومنشئه فارس الانشاء والانشاد * واحمد من اجاب فى كل مسالة واجاد * من رنت حصاة فخاره * ومنت بفوائد العلوم اخبار آثاره * معيد بديع الزمان ببديع مقاماته * ومبدى الصاحب بن عباد ببراعة عباراته * مرصع وجنات الطروس بلآلى نظامه * وموشع برود المعانى بازهار كلامه * يغوص رشاء ذهنه فى قليب الافكار * فيستخرج من ظلمات المداد درر البحار * سجعت ورق الفاظه بفنون الادب على افنان المعارف * واشرقت مطالع كلامه ببدور اللطائف * تباهت بمآثره دار السعاده * وغدت بفضائله لها الحسنى وزياده * تفنن فيها باساليب الانشاء حتى صار مثلا سائرا * واغرب بابداء درارى الاملاء حتى لاح فلكا دائرا * تحدى بانشاء الرسائل فكم صدقت له رساله * وتبدى لا يضاح المسائل فاتى بما يعجز كل مدع ظن الناقص مثاله * مازال يحامى عن العرب ويناضل * ويجر اليهم رفع راية الشرف فوق هام المجرة باعظم عامل * فكيف لا نخلص الثناء على شمائله الحسان * ونشكر مساعيه التى قلدت اجياد معالينا بقلائد العقيان * وقد وضع عدة كتب فى انحاء شتى من العلوم * وحمل الينا ضروبا من بدائع المنثور والمنظوم

من ذلك هـذا الكتاب الذى اظهر به المخبا من اسرار الليالى ٭ وسبك الفاظه بما يفوق عقود اللآلى ٭ فلذلك اثنيت عليه ببعض ما هو اهله ٭ وشفعت نثر كلامى بوصل نظم حسن به فصله ٭ فقلت فى براعة الاستهلال ٭ راجيا فضل من استاثر بغاية الكمال

قد اباحت صبها سر الليال ٭ بسناها رغم ذى قيل وقال
ووفت عهدى كما شاء الهوى ٭ وادارت بالصفا كاس الوصال
غادة ما الشمس الا وجهها ٭ فوق غصن فى رياض الحسن مال
من بنات الروم رمنا وصلها ٭ اذ علينا دلها حسن الدلال
ثغرها الحالى لناح نحوه ٭ بابتسام قد جلا تمييز حال
(الى ان قال) ظبية حلت بقلبى وحلت ٭ اذ اباحتنى جنى ثغر حلال
نظمت فيه الثنايا لؤلؤا ٭ قد اذاع الحسن عن سر الليال
عن كتاب علق القلب به ٭ اذ بابداع وقلب جاء حال
اعرب الدر بمبناه لنا ٭ مبدعا فى سلكه نظم اللآل
وعلى خير اساس نقله ٭ جاء مبنيا وان ابدى اعتلال
لغة العرب علت قدرا به ٭ واليه ردها بالصدق عال
قرب النازح من طالبه ٭ ورابحى العلم قد ادنى المنال
قد خبا المصباح منه اذ بدا ٭ ومن الدر غدا القاموس خال
وصحاح الجوهر اعتل اسى ٭ ولا ليه بدت ذات ابتذال
ولسان العرب استعلى به ٭ وانبرى يثنى عليه بابتهال
ما لمن عارض ابوابا له ٭ طاقة تدخله بيت الكمال
قال فيه انه روح المنى ٭ من بطل الحق والانصاف قال
ما عليه ان رآه ناقصا ٭ اجوف ليس له قط مثال
كيف والمنشى له احمد من ٭ فكره فى العلم قد جاب وجال
فارس الانشاء ذو الفضل الذى ٭ بالهدى قد ذاد عن طرق الضلال
قد كبا دون لحاق شاوه ٭ من بميدان الذكا صلى وصال
ابن فضل الفاضل القاضى الذى ٭ قد قضى من فضله السامى النوال
بالجواب الحق يلقى سائلا ٭ امه من قبل ابداء السوال

ذو قضايا

ذو قضايا انجت اشكالها ❊ بانفصال الجهل للعلم اتصال
اى علم لم يكن قدوته ❊ وله فيه معان ومعال
ذو يراع ان علا فى كفه ❊ فوق قرطاس خا السمر العوال
واسع الخطو اذا جال دعا ❊ شاكيا ذو السبق من ضيق المجال
بفنون العلم افنان له ❊ اورقت تدنى لجانيها الظلال
قد علا الشعرى بشعر نظمه ❊ ببيان ابدع السحر الحلال
وجلا المنثور من الفاظه ❊ فى رياض العلم ازهار المقال
وبحسن النطق سكيتا دعا ❊ من له ابدا ناطقا بين الرجال
يا اماما حل فى نادى العلى ❊ فغدا منا له شد الرحال
قد سرى سر حجاك المرتضى ❊ بثناء مرخص طيب الغوال
فتقبل غادة طلعتها ❊ فضحت بالحسن ربات الحجال
صعرت وجنتها عن غيركم ❊ اذ جلا رونقها حسن الصقال
وانثت تمشى على استحيائها ❊ نحوكم ليس لها عنكم دلال
وعليكم عقدت ايمانها ❊ بالمعانى حيثما مدت شمال
ترفع الكف وتدعو بالبقا ❊ لعلاكم ماذكا عرف الشمال
دمت بدرا من سنا تاريخه ❊ بسعود دائم سر الليال
سنة ١٢٨٥

❊ وقال الاستاذ العلامة الشيخ عبد القادر ابو السعود من علماء القدس الشريف ❊
لقد تقلد جيد فكرى بعقود اللآلى ❊ المستخرجة من بحر سر الليالى ❊ فيالها من جواهر نظمت فى سلوك الادب ❊ ولله در غواصها حيث اتى بفنون العجب ❊ تزينت بها جميع كتب الآداب ❊ وظهر بها اسرار معانى السنة والكتاب ❊ شمس بزغت فى افق سماء المفاخر والمآثر ❊ ولما استوت اذن مؤذنها الله اكبر كم ترك الاول للآخر ❊ اضاءت على كل المحافل والمواكب ❊ واختفى بظهورها جميع الكواكب ❊ ولما امتلأت الاكوان بضيائها ❊ طمعت فى ان احلى كلامى بثنائها ❊ اذ كلامى كلام ❊ ونظامى خال عن النظام ❊ غير انى اطمع من ناظر فى مقالى ❊ ان يقول هذا مادح سر الليالى ❊ فهو عندى من اعظم الافتخار واشهى والذ من منادمة الابكار ❊ وفى الحقيقة هى غنية عن الامتداح ❊ بل

ثمرة مدحها حلية المداح

بيان ختم المعالى اتى بسحر حلال
احيا فوادى حلاه ولطفه قد حلالى
وبدره تم فضلا لكن جميع الليالى
لله سر عجيب زها ببدر الكمال
وفارس الفكر فيه يصول بين الرجال
كم غادة فيه تبدو كالنجم او كالهلال
تتيه بين الغوانى بحسنها و الدلال
رقت قواما ومعنى كلطف سر الليالى
فى رونق وبهاء وبهجة وجمال
فالقلب حن اليها ومال عن ابدال
لانها بكر فضل توشحت بكمال
رضابها ولماها يغنى عن الجريال
هذا لعمرى جمال يصان عن امثالى
لله در همام تعزى له فى المقال
ينبوع علم وفضل يروى رياض المعالى
وبحر فهم وحبر والبحر يلق اللآلى
اجرى الثناء عليه لسان حال وقال
فى البر والبحر حتى على الجبال العوالى
وفى العروض جميعا وسائر الاطوال
والحمد لله احمد له جميل الفعال
فصل ربى وسلم على النبى والآل
مادام كاس المعانى فى حانة الافضال
واحمد الناس فضلا وفارس فى المجال
او اظهر السحر ارخ بيان ختم المعالى
سنة ١٢٨٥

ومما

﴿ ومما كتبه الفاضل النحرير امير الامراء المفخم حسين باشا التونسى ﴾

اما بعد فقد تشرف ودودك يا احمد الخلال ❊ وفارس ميادين الكلام والكمال ❊ بمطالعة تاليفك الاغر سر الليال ❊ فى القلب والابدال ❊ الذى لم تسمح قريحة بمثاله ❊ ولا نسج لغوى فيما علمت على منواله ❊ فلم ادر بعد التامل فيه ❊ واعتبار مزاياك التى تستاصل المدح وتستوفيه ❊ بماذا اهنيك واحليك ❊ ثم باى ثناء جميل اثنى عليك ابنصيحتك وارشادك ❊ فى صحائف ارسالك وانشادك ❊ واستكشافك مما خفى من مصالح الامة ❊ كشف الله عنها كل بلية وغمة ❊ مشيرا الى ما ينبغى ان تكون عليه سياسة ملكها ❊ وتاسيس انتظام سلكها ❊ ومناضلتك عنها دون اضدادها ❊ والطاعنين فى محاسن لغتها وشريعتها من حسادها ❊ ام بجمعك ما تفرق من اشتات العربيه ❊ وابدائك لما خفى من كنوز اسرارها الادبيه ❊ ومن لى بمدح من فاق اقرانه ❊ واستعمل فى مرضاة الله بيانه وبنانه ❊ وحبس ايامه على ايضاح اصول السياسة ❊ وتهذيب فروع واجبات الرئاسه ❊ ولياليه على بيان اسرار اللغات ومبانيها ❊ واستذكاء نباريس معانيها ❊ فوالذى لا تحيط بكمالاته الظنون ❊ ويحمد عاقبة صنعهم لديه المحسنون ❊ لقد اريتنا بهذا التاليف الجليل ❊ والدستور العديم المثيل ❊ ما يحقق لنا ان وراء المحيط محيطا آخر ❊ يقول لافظ جواهره كم ترك الاول للاخر ❊ مهنئا لك بالسر الذى اطلعك الله عليه ❊ والامل الذى بلغك اجتهادك اليه ❊ فسبحان المانح المفضال ❊ ومجزل النوال بلا سؤال ❊ ما انت الا فارس الزمان ❊ واحد من سابق فى ميادين البيان ❊ فكم ابرزت للعيان ❊ بسنانى القلم واللسان ❊ من مخدرة تسحر الالباب ❊ وتختال فى برود الجمال بلا احتجاب ❊ وتخال انها المعنية بقول من قال ❊ ومن هفوات التواه استقال ❊

عهدى بها فى الخدر يحجب دلها ❊ فعلى البروز لفتنتى من دلها

فالله سبحانه يجازى جميلك بالجميل ويحوطك بحفظه فى الغداة والاصيل ❊ والسلام عليك ❊ ماحن مشتاق اليك ❊ من مدينة بست قاعدة مملكة المجار ❊ فى اليوم الثالث والعشرين من الشهر المتشرف بمولد المختار ❊ سنة ١٢٨٦

﴿ وهذا نص ما كتبه العلامة الفاضل الشيخ محمد ﴾

﴿ الباجى المسعودى رئيس كتاب نظارة الداخلية بتونس ﴾

سبحان من اودع فى ضمير الايام وسر الليال ❊ بدائع من حكمته لا تخطر ببال ❊

واظهر ما شاء من مكنونها ما شاء فى كل قطر من الاقطار وجيل من الاجيال * سورا تتلى وعرائس تجلى على غير نمط سابق ولا امثال * كم ترك فيها الاول للاخر والمقدم للتال * فضلا منه ومنة لا ينقطع مردهما ولا ينقضى امرهما تبارك اسم ربك ذى الجلال * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالحنفية السمحا * والعربية الفصحى * المبين بها الحرام والحلال * وعلى آله وصحبه ائمة الاقتداء * وانجم الاهتداء * فى حنادس الضلال * صلاة وسلاما تامين لا يعتريهما القلب ولا الابدال * اما بعد فان علم اللغة العربية مسلكه غامض * ومنبعه غائض * كم اسهر الفحول اقتباس فوائده * واقتناص شوارده * وايضاح موارده * وتقييد نادره * وافترقت اغراضهم فى ذلك ايدى سبا * ودونوا ما سار فى المعمور مسير الصبا * وشغل اكثرهم فيما رأينا الجمع والحصر * والهصر عن ايضاح السر * وتمييز الحلو عن المر * واللباب عن القشر * الى ان قيض الله لهاته الخبية المدخره * والمكرمة المبتكره * همة فارس الاقران * وحامل لواء البلاغة والبراعة فى هذا القران * المبرز فى حلبتهما يوم السباق * ناصر العربية السيد احمد فارس الشدياق * فنمت باسرار ليل كان يخفيها * واوضحت سبلا يتلون الخريت تلون الحرباء فيها * وبين من مكنون اسرارها * ووفق بين عونها وابكارها * وما وهم فيه بعض احبارها * ونقلة اخبارها * بهذا التاليف الخطير المعنون بسر الليال * فى القلب والابدال * وما هو الا السحر الحلال * وسمط اللآل * وزبدة الحقب والاحوال * وغاية ما يملى ويقال وخبية فى زوايا العصور * وكرامة مدخرة كالتى اشار اليها الولى ابن خلدون عند ذكر فقه اللغة لابى منصور * فاى براع ينبرى لتقريظه ولا يقصر ويصغر ويتضاءل * واين السهى والثريا من يد المتناول * وبماذا احلى به لسان هذا الزمان * وقصاراى ان اقول قس وسحبان * ولا فضل لهما فى غير هذا اللسان * وهو اعزه الله من لو شاهده عالم فاراب لالقى العنان * بل لو سار فى ملاعب شعب بوان لما احتاج الى ترجمان * وهذه جوائب الصحف والرسائل والاوراق * تجول الافاق كخيل السباق وتتردد ما بين المشرق والمغرب ومصر والشام والروم والعراق * حاملة من ذوائع فضله ما طاب وراق * ووقع عليه الاجماع والاتفاق * لكن لما شرفنى جنابه باهداء جزء من التاليف المذكور * وظن انى ممن اقتبس جذوة من جانب الطور * حملنى على اهداء هاته الاسطر الزائفة الى يد النقاد * معتمدا فى الاغضاء على سالف

العهد

العهد وسابق الوداد * وراجيا ان يحصل لى بين نفيته لهم انتساب * وان اذكر معهم ولوفى صحيفة اوكتاب * وان لم اكن من اهل هذا الفن ولاهذا الباب * داعيا مبدع الكل ورب الارباب * ان يمتع ببقائه ولقائه ذوى الالباب * ويأتم بهديه افاضل العلماء والكتاب * فى غرة جمادى الثانية من عام ١٢٨٦

ومما قاله الاستاذ العلامة الشيخ سالم بوحاجب وهو ايضا من افاضل تونس

اما بعد فن الغنى عن البيان * ان نعمة البيان من اجل ما تشرف به نوع الانسان * كما يقتضيه تخصيصها بالقران * لنعمة الايجاد فى نظم القرآن * فكل من توفر حظه من هاته النعمه * اتسعت لديه دوائر الحكمه * واستحق التقدم على غيره ولو كان لهم فى الفضل اوفر قسمه * ولذلك امر الله ذوى المقام الاسمى * بالسجود لمن علمه الاسما وكل ذلك مما يشهد بشرف علم اللغه * وبلوغ المجتهد فيه من الكمال مبلغه * وحيث كان حفظ اصول الشريعة الاسلاميه * ومحاسن الاخلاق والاداب الاقدميه * لا يتم الا بحفظ اللغة العربيه * وصونها عما يقع فى غيرها من التبديلات الاصطلاحيه * فلا جرم ان يكون التاليف فى تحرير اصول هاته اللغة الشريفه * والبحث عما فى طى اوضاعها من الاسرار اللطيفه * من اهم ما تصرف اليه اعنة الاعتناء * ويجتنى نوجم فرائده من خلال شوك المشقة والعناء * وقد اعتنى بذلك فى كل عصر عصابه * هم كما قيل اهل الاصابه * غير ان منهم من كان مطمح نظره جمع الالفاظ المتداولة الفصاح * واثبات غالب معانيها بالشواهد كصاحب الصحاح * ومنهم من تعلقت همته بذكر موارد استعمالها للتمرن والاستئناس * وتمييز الحقيقة منها عن المجاز كصاحب الاساس * ومنهم من اضحى لقواعدها يحرر * ونحا فيها منحى الاصولى كصاحب المزهر * ومنهم من كان همه الاحاطة والاستيعاب * وايراد كل ما نقل استعماله عن الحواضر والاعراب * دون تمييز بين وحشى ومانوس * ولابين حقيقة ومجاز كصاحب القاموس * رحم الله جميعهم * وجازى بالجميل صنيعهم * وقد بقى مما يعتنى به فى هذا الفن * وان لم يقدره الاوائل حق قدره فيما يظن * معرفة ما يعترى مواد الالفاظ من القلب والابدال * وما ينشأ عنهما من تطورات معانيها المنسوجة على وحيد منوال * بتصرف يكون اوسع من تصرف الصرفى * وبمقاصد الاشتقاق الاكبر وفى * وقد وصل الينا فى هاته الايام * جزء من تاليف جليل فى هذا المرام * يسمى سر الليال * فى القلب والابدال * اتحفنا به مولفه فارس ميدان البيان *

ومبرز راية الدراية من يدى قس وسحبان * التحرير اللوذعى * والجهبذ اليلمعى * من لم يزل يوزع اوقاته بين املاء صحف الاعلام * المملوءة بنصائح الاسلام * وانشاء جفان حكمة عظام * تجرى بعيالم العلوم كالاعلام

صدقت فراسة من دعاه بفارس * لقبا بنم بما لدى الشدياق
من طول باع فى مجال براعة * قد نال منها اليوم خصل سباق
وفصاحة عربية وجزالة * ادبية وجميل ذكر باق
ومريد علم باللسانين اللذين هما ملاك مهذب الاخلاق
فله قد انكشف المخبا عن ذوى ال * عرفان كشف الساق فوق الساق
واطالما سر الليالى للورى * تبديه منه جوانب الافاق
وبراعه ان يجر فى رق ترى * حر الرقائق منه فى استرقاق
اوجال جول منه فى مستوعر * فورا يكر بفتح ذى استغلاق
اوغاص فى قاموس آداب ائى * بصحاح جوهرها على استنساق
فانظر لذا التاليف كم تاق على * اوراقه من رائق الاذواق
ناهيك من تعليق نفع لاح فى * جيد البيان من انفس الاعلاق
كم جاى فى خلد الليالى سره * فكتمته عن غير ذى استحقاق
فبما نشا من ذلك السر الذى * نشوى وللاتمام بالاشواق

فشكر الله لك ايها النحرير * ماطرزت لنا بصحة النصيحة من حلى التحقيق والتحرير * واعانك على اكماله * واراناً من خدر فكرك تدرج امثاله * فلقد غسلت به قوارير الالفاظ حتى شفت عن معانيها * وشفيت من آلام الاوهام افهام معانيها * ووسعت به مسالك الاشتقاق توسعة مقبوله * واقمت على ما استنبطته فى ذلك ادلة معقوله * ووصلت ارحام كثير من الكلمات العربية * كانت لولا تاليفك من التوحيد المادى متعاصية ابيه * واوريت حيث صلد زند المجد * وقد يكبو الجواد سيما المجد * وكنت مصداقا لما تمثل به من قول صاحب الكامل * ليس بقدم العهد يفضل القائل * ومستحقا فى عصرك لايثار القوس * ببيتى الطائى حبيب بن اوس * فوالذى لا يضيع اجر من احسن عملا * لقد حوى هذا المصنف الغريب من صنوف الحسن جملا * حيث سهل بجمع اشتات الالفاظ * طرقا استحضار فروع موادها العسيرة الضبط على الحفاظ * والحق انسابها

المتقاطعه

المتقاطعه ❊ وقرب مراداتها من مواردها الشاسعه ❊ وحذر عن مواقع الزلل ❊ الناشى عما طفا على القاموس من نفايات الخلل ❊ وان كانت بالنسبة الى ماله من الفضل المبين ❊ لاينبغى ان تنظم الا فى سلك سيئات المقربين ❊ على مافى بعضها للعبد الحقير من توقف ❊ سيعرض ان سنحت فرصة لتحريره على جناب المولف ❊ وودى ان يتمرى علينا ثانيا جنابه المحروس ❊ بنسخة من تاليفه الآخر المسمى بالجاسوس ❊ لعلنا نهتدى به الى ما يحيل الاوهام ويزيل الاحجام فتسميه ح بالحاسوس ❊ وبالجملة فمنونية اللغة العربية لبراعتكم وبراعتكم واضحة البرهان ❊ وقد اغنى فيها العيان عن البيان فى ٥ شوال سنة ١٢٨٦

❊ وهذا ما كتبه الفاضل النحرير الكامل السيد شهاب الموصلى الشاعر المشهور ❊

وبعد فان هذا المحب الاكبر ❊ والخادم الاصغر ❊ فى هذا العام ❊ لابل فى هذه الايام ❊ قدم بغداد ❊ دار السعد والسداد ❊ مستمدا لاصلاح حاله ❊ ونجاح قصده فى مآله ❊ رايا من اراء اهل شوراها ❊ وصار نزيل مترجم زوراها ❊ الفاضل السرى ❊ والمتصرف العبقرى ❊ مولاه على رضا افندى العمرى ❊ فكان ما اطلعه عليه ❊ واتحفه به مما لديه ❊ الكتاب الموسوم بسر الليال ❊ فى القلب والابدال ❊ فقرأ منه ما تيسر جهرا ❊ فوجده كما سماه ذلك العين سرا ❊ ثم لم يزل يتصفحه مرة بعد اخرى ❊ فحدثته نفسه بتقريظ على ذلك المولف ❊ الذى لم ينسج على منواله ولم يولف ❊ مع علمه بانه قد سبقه الى تقريظه فضلاء مصر والعراق ❊ فاحب ان يلحق بهم وان كان لم يدرك ابهم لحاق ❊ وها هو مقرظا عليه بقول ❊ وقد عرا فكره من قراع الزمان فلول ❊ راجيا من فارس هذا الميدان ان يقيل عثرته ويقبل منه مايقول فقبوله نعم المامول وغاية السول

ان هذا الكتاب سر الليال ❊ قدس الله سره ان يراما
فى صدور الزمان كان مصونا ❊ ثم ضاق الزمان عنه اكتتاما
فاذاعته فكرة تتلظى ❊ هى كالنار اضرمت اضراما
ان تشا تجعل الظلام ضياء ❊ او تشا تجعل الضياء ظلاما
اعجز الفاضلين من كل قوم ❊ اعجب المسلمين والاسلاما
كل من يدعى التقدم فضلا ❊ فليكن مثل فارس مقداما
انما فضله على من سواه ❊ كان كالعفو يفضل الانتقاما

واناس لم يقبلوا منه نصحا * فقريب ان يعبدوا الاصناما
هو اهدى قلبا ولبا وادهى * لذهاه الق الزمان الزماما
وهو مما حوى فضائل شتى * قد ظنناه نالها الهاما
ليت ذاك المليح من كل وجه * زار فى الطيف صبه الماما
يتمنى لقاه من كل مصر * كل طرف للامع البرق شاما
ليرى البحر منه فضلا وعلما * ويرى الغيث جوده والغماما
علم ليتنى حضرت لديه * لارانى انادم الاعلاما
تلك والله من اجل الامانى * لا اراها تصح الا مناما
راح يستغرق السنين علوما * كل حبر فى بحره اليوم عاما
روح الروح مدحه وثناه * مثلما روح الامان الاناما
يا نسيم الصبا سالتك بالله تعالى بلغه عنى السلاما
قل له فى العراق مخلص ود * لك قد ذاب فى هواك هياما
طيب النفس اولا واخيرا * مدحه طاب مبدأ وختاما

وقال الاديب الفاضل النحرير عبد الجليل افندى براده من اهل المدينة المنوره

ايها الفارس المجلى العالى * فزت بالخصل من كريم الخصال
بليال ادمت فكرك فيها * اسفرت عن بدائع الاشكال
بليال الفت فيها كتابا * عربى الالفاظ سهل المنال
لو رآه القاموس قام سويا * وحباه بدره واللآلى
اولو ان الصحاح يوما رآه * قال ذا الجوهر النفيس الغالى
هو فى الفضل للاساس اساس * محكم الوضع فائق الامثال
فلئن جئت بالبدائع فيه * ليس بدعا فذاك سر الليال

وقال الاديب الفقيه اللغوى الشيخ محمد محمود الشنجيطى من مجاورى المدينة المنوره

الا قل للمفاخر والمعالى * وارباب المفاخر والمعالى
ومن امسى سمير العلم دهرا * عليه عاكفا طول الليالى
هلموا ظافرين بما ابتغيتم * من الآمال فى سر الليال
كتاب فى اللغات غدا كفيلا * باشتات الجواهر واللآلى
تجلى فى الغياهب بدر تم * واحرز فى المدى قصب النضال

اقول

اقــول لدى المواسم والنوادي ❊ على رغم الحسود ولا ابالى
تقاصرت الافاضـل عن مداه ❊ ورقاه الاله ذرى الكمال

﴿ وقال الاستاذ العلامة النحرير الشيخ يوسف الاسير ﴾

يافارس الفضـل فى ميـدان حلبته ❊ ومحرز السبق الحاقى عن الاول
قد خضت بحر لغات العرب منتخلا ❊ مرجانه مع جمان غـير منتحـل
وصنت فى صـدف الاوراق جلتها ❊ وزنت تفصيلهـا فى اجل الجمـل
وباسم سر الليالى منك قـد وسمت ❊ تلك اللآلى التى كالزهر للسبل
فهو السلاف الذى ذا العصر مفتخر ❊ عـلى العصور به الخالى من الخلل
وهو اللبـاب اولو الالبـاب تعرفه ❊ وتغرف الفضـل منه وهو لم يزل
وكم عبـاب حوى فى طيـه وثوى ❊ به عجاب اليـه الغير لم يصـل
فيـه غنى عن سواه اذ نطالعـه ❊ وليس فيمـا سواه عنـه من بدل
وفيـه بان لنـا سر اللغـا وبدا ❊ لغو السوى وازيل الشك عن عضل
ويشرح الصدر شرح القلب فيه وكم ❊ يهـدى بابداله للقلب من جـذل
وكل فرع بفرق ضم فيه إلى ❊ مبدا اشتقاق وعنه الكتب فى عطل
وانه الشهـد يزهو فى شواهـده ❊ وانه كـزلال عادم الزلـل
يا احمد الفضل والافضال زدت علا ❊ ودام يزجى اليك الشكر من قبلى
ولا تزال بشـكر الخلق مغتبطا ❊ ولا برحت جميل الخلق والعمل
ودام نفـعك فى ذا الكون منتشرا ❊ حتى تدوم كبدر فيه مكتمـل

هـذا ما نشر فى الجوائب من تقريظ العلمـاء والوزراء والادباء والفضلاء فى مصر والعراق والحجاز والشـام والغرب على سر الليـال الذى عابه ابراهيم اليـازجى وهجنه وما ذاك الا لان اسلوبه البـديع لم يخطر ببـال ابيه فلله در مولانا الشيخ عبد الهادي الذى الهم ان يقول فيمـا حرره فسلم له من اسلم وبهت الذى كفر وقد بلغنى ان تقاريظ اخرى صيغت لهذا الكتاب ولم تنشر بعد

اما قول المعترض ان صاحب الجوائب ذكر اولا ان من خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضـاضة نحو البرخداة والخبنداة والرادة والرخودة والرهـادة والخود والعبرد والفرهد والاملود والفلهود والقرهد والقشدة والمـأد والمرد والمغد والملد وفى سر الليـال عول فى تناسب معانى الالفاظ عـلى الحرف الاخير دون اعتبار

ما قبله فكل طائفة منها ختمت بحرف من حروف المعجم كانت مختصة بمعنى وهاتان العبارتان متضادتان فالجواب عنه من اوجه (احدها) ان صاحب الجوائب كان ذكر في كتابه الفارياق الذى طبع فى باريس سنة ١٢٧٠ ان من خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو الابحاح والبداح والبراح والابطح والابلنداح والجح والرحرح والمرندح والروح (بفتح الراء) والتركح والتسطيح والمسفوح والمسح فى قولهم ان فيه لمسحا اى متسعا والساحة والشدحة والشرح والصفحة والصلدح والاصلنطاح والمصلفح والطح والمفرطح والفتح والفطح والفلطحة الى آخر الباب قال ويلحق به الفاظ كثيرة خفية الاتصال لا تدرك الا بامعان النظر نحو الاسجاح والتسريح والسماحة والسيح ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو ارم وازم وثرم وثلم وجذم وجرم وجرم وجلم وحذم وحذلم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخزم وخضم الى آخر الباب ويلحق به من الامور المعنوية حم الامر اى قضى وحرم وحتم وحزم فان معنى القطع ملحوظ فيها ويكثر فى هذا الحرف ايضا معنى الظلام والسواد ومن خصائص حرف الهاء الحمق والغفلة والرثء اى قلة الفطنة نحو اله وامه وبله والبوهة وتفه والتوه والدله والسبه وشده وعته وعله وعمه ونمه ووره وقس على ذلك سائر الحروف فهذه الطريقة لا تنافى طريقة سر الليال لاتفاق المضاعف وما زيد عليه فى معنى واحد الا ما ندر فيرجع حينئذ الى القلب والابدال اللذين هما موضوع الكتاب

واقول ثانيا هب يابغيض ان ما قاله صاحب الجوائب فى الفارياق مغاير لما قاله فى سر الليال مغايرة تامة افينكر لمولف ان يقول قولا فى مسألة ثم يعدل عنه ولاسيما اذا تقادم العهد الم يرد فى الاشمونى غير مرة ان الناظم خالف كلامه فى النظم كلامه فى التسهيل وغيره فمن ذلك ما قاله عند ذكر لكن ونص عبارته ووافق الناظم هنا الاكثرين ووافق فى التسهيل يونس فقال فيه وليس منها لكن وفاقا ليونس وقال فى مميز نعم ظاهر عبارته هنا يشير الى ترجيح القول الذى بدا به وهو ان ما تمييز وكذا عبارته فى الكافية وذهب فى التسهيل الى انها معرفة تامة وقال بعده بقليل عبارته هنا وفى الكافية توهم انه لا يجوز تقديم المخصوص وان المتقدم ليس هو المخصوص بل مشعر به وهو خلاف ما صرح به فى التسهيل وقال ايضا فى باب الجمع تردد كلام المصنف فى ان فعولا مقيس فى فعل او محفوظ فمشى

فى التسهيل على الاول وفى شرح الكافية على الثانى وقال بهاء الدين العاملى فى الكشكول صفحه ١٠٠ قال الفاضل البيضاوى عند قوله تعالى فى سورة هود ليبلوكم ايكم احسن عملا ان الفعل معلق عن العمل وقال فى سورة الملك نقيض ذلك وصرح فى سورة هود بان التوراة كانت قبل اغراق فرعون وقال فى سورة المومنين نقيض ذلك وقال عند قوله تعالى فى سورة مريم وكان رسولا نبيا ان الرسول لايلزم ان يكون صاحب شريعة وقال فى سورة الحج نقيض ذلك وصرح فى سورة النمل بان سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام توجه الى الحج بعد اتمام المقدس وقال فى سورة سبا نقيض ذلك * ومثله ماحكى عن الامام الرازى كما فى صفحة ٣٤١ وامثال ذلك لا تعد ولا تحصى فانظر الى تعنت هذا اللئيم كيف تعقب صاحب الجوائب بقول قاله منذ خمس عشرة سنة وهو ليس من الاحكام المنقولة بل مجرد راى فما ذلك الا بطر وطغيان واقول ثالثا ان الذى لحظه صاحب الجوائب فى الفارياق موافق لما ذهب اليه بعض علماء اللغة من قبل فقد نقل عن عباد بن سليمان الصميرى وكان من المعتزلة انه ذهب الى ان بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على الوضع قال والا لكان تخصيص الاسم المعين بالمعنى المعين ترجيحا من غير مرجح وكان بعض من يرى رايه يقول انه يعرف مناسبة الالفاظ لمعانيها فسئل ما مسمى اذغاغ وهو بالفارسية الحجر فقال اجد فيه يبسا شديدا واراه الحجر وانكر الجمهور هذه المقالة وقالوا لوثبت ما قاله لاهتدى كل انسان الى كل لغة ولما صح وضع اللفظ للضدين كالقرء للحيض والطهر والجون للابيض والاسود واجابوا عن دليله بان التخصيص بارادة الواضع المختار خصوصا اذا قلنا ان الواضع هو الله تعالى فان ذلك كتخصيصه وجود العالم بوقت دون وقت واما اهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الالفاظ والمعانى لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد ان عبادا يراها ذاتية موجبة بخلافهم وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الاصلح فى افعال الله تعالى وجوبا واهل السنة لا يقولون بذلك مع قولهم انه تعالى يفعل الاصلح لكن فضلا منه ومنا لاوجوبا ولوشاء لم يفعله * وقد عقد ابن جنى فى الخصائص بابا لمناسبة الالفاظ للمعانى وقال هذا موضع شريف نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول قال الخليل كانهم توهموا فى صوت الجندب استطالة فقالوا صر وفى صوت البازى تقطيعا فقالوا صرصر وقال سيبويه فى المصادر

التى جاءت على الفعلان انها تاتى للاضطراب والحركة نحو الغليان والغثيان فقابلوا بتوالى حركات الامثال توالى حركات الافعال * قال ابن جنى وقد وجدت اشياء كثيرة من هذا النمط من ذلك المصادر الرباعية المضعفة تاتى للتكرير والزعزعة نحو القلقلة والصلصلة والقعقعة والقرقرة والفعلى تاتى للسرعة نحو الجمزى والولقى * ومن ذلك باب استفعل جعلوه للطلب لما فيه من تقدم حروف زائدة على الاصول كما يتقدم الطلب الفعل وجعلوا الافعال الواقعة عن غير طلب انما تفجأ حروفها الاصول اوما ضارع الاصول نحو خرج واكرم وكذلك جعلوا تكرير العين نحو فرح وبشر فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى وخصوا بذلك العين لانها اقوى من الفاء واللام اذ هى واسطة لهما ومكفوفة بهما فصارا كانهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها ولذلك تجد الاعلال بالحذف فيهما دونها * ومن ذلك قولهم الخضم لاكل الرطب والقضم لاكل اليابس فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس والنضح للماء ونحوه والنضخ اقوى منه فجعلوا الحاء لرقتها للماء الخفيف والخاء لغلظها لما هو اقوى * ومن ذلك قولهم القد طولا والقط عرضا لان الطاء احصر للصوت واسرع قطعا له من الدال المستطيلة فجعلوها لقطع العرض لقربه وسرعته والدال المستطيلة لما طال من الامر وهو قطعه طولا قال وهذا الباب واسع جدا لا يمكن استقصاؤه قلت (اى الامام السيوطى) ومن ذلك ما فى الجمهرة الخنن فى الكلام اشد من الغنن والخنة اشد من الغنة والانيت اشد من الانين والرنين اشد من الحنين * وفى الابدال لابن السكيت يقال القبصة اصغر من القبضة قال فى الجمهرة القبص الاخذ باطراف الانامل والقبض الاخذ بالكف كلها * وفى الغريب المصنف عن ابى عمرو وهذا صوغ هذا اذا كان على قدره وهذا سوغ هذا اذا ولد بعد ذاك على اثره ويقال نقب على قومه ينقب نقابة من النقيب وهو العريف ونكب عليهم ينكب نكابة وهو المنكب وهو عون العريف وقال الكسائى القضم للفرس والخضم للانسان وقال غيره القضم باطراف الاسنان والخضم باقصى الاضراس وقال الاصمعى من اصوات الخيل النخير والنخير والكرير فالاول من الفم والثانى من المنخرين والثالث من الصدر وقال ايضا الهتل من المطر اصغر من الهطل وفى الجمهرة العطعطة باهمال العين تتابع الاصوات فى الحرب وغيرها والغطغطة بالاعجام صوت غليان القدر وما اشبه والجمجمة بالجيم ان يخفى الرجل فى صدره

فى صدره شيا ولا يبديه والحمحمة بالحاء ان يردد الفرس صوته ولا يصهل والدحداح بالدال الرجل القصير والرحراح بازاء الاناء القصير الواسع والجفجفة بالجيم هزيز الموكب وحفيفه فى السير والخفخفة بالخاء حفيف جناحى الطائر ورجل دحدح بفتح الدالين واهمال الحاء قصير ورجل دخدخ بضم الدالين واعجام الخائين قصير ضخم والجرجرة بالجيم صوت جرع الماء فى جوف الشارب والخرخرة بالخاء صوت تردد النفس فى الصدر وصوت جرى الماء فى مضيق والدردرة صوت الماء فى بطون الادوية وغيرها اذا تدافع وسمعت له صوتا والغرغرة صوت ترديد الماء فى الحلق من غير مج ولا اساغة والقرقرة صوت الشراب فى الحلق والهرهرة صوت ترديد الاسد زئيره (الى ان قال) فانظر الى بديع مناسبة الالفاظ لمعانيها فجعلت الحرف الاضعف فيها والالين والاخفى والاسهل والاهمس لما هو ادنى واقل واخف عملا اوصوتا وجعلت الحرف الاقوى والاشد والاظهر والاجهر لما هو اقوى عملا واعظم حسا * ومن ذلك المد والمط فان فعل المط اقوى لانه مد وزيادة جذب فناسب الطاء التى هى اعلى من الدال (انتهى من المزهر باختصار) فانت ترى ان العرب قد لحظت مناسبة الالفاظ للمعانى وائمة اللغة جعلت هذا النوع من خصائص اللغة ومحاسنها ومزاياها فمن ثم كان قول المعترض ان الحكم بالاطراد لا يكون الا من باب العبث محض مكابرة وهذيان انطقه به ناغض الحسد وناغض الكمد فالآن حصحص الحق وتبين لكل من تحرى الصدق واحق اى الفريقين تبع العلماء واستقرى اقوال الائمة العظماء لعمرى ما تفوه بانكار الاطراد الا من نشأ على المكابرة والعناد وتعمد المماحكة والجدال وقس فى الضلال وسقط فى حمأة الموبقات واحتظى بالترهات وان هو الا من القائلين بالصدفة والاتفاق الذين ليس لهم فى الآخرة من خلاق * وقال صاحب المثل السائر واما الاشتقاق الكبير فهو ان تاخذ اصلا من الاصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وان تباعد شئ من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتاويل اليها ولنضرب لذلك مثالا فنقول ان لفظة ق م ر من الثلاثى لها ست تراكيب وهى ق ر م ق م ر رق م رم ق م ق ر م رق فهذه التراكيب الست يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة فالقرم شدة شهوة اللحم وقمر الرجل اذا غلب من يقامره والرقم الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من دهره وعيش مرمق اى ضيق وذلك نوع من الشدة ايضا

والمقرشبه الصبر يقال امقر الشى اذا امر وفى ذلك شدة على الذائق وكراهة ومرق السهم اذا نفذ من الرمية وذلك لشدة مضائه وقوته واعلم انه اذا سقط من تراكيب الكلمة شى لم يجز ذلك فى الاشتقاق لان الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة بل من شرطه ان الكلمة كيف تقلبت بها حروفها من تقديم حروفها وتاخيرها ادت الى معنى واحد يجمعها فمثال ما سقط من تركيب الثلاثى لفظة وسق فان لها خمس تراكيب وهى و س ق وق س س و ق ق س و ق و س وسقط من جملة التراكيب قسم واحد وهو س ق و وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة ايضا فالوسق من قولهم استوسق الامر اى اجتمع وقوى والوقس ابتداء الحرب ( لعله الجرب ) وفى ذلك شدة على من يصيبه وبلاء والسوق متابعة السير وفى هذا عناء وشدة على السائق والمسوق والقسوة شدة القلب وغلظه والقوس معروفة وفيها نوع من الشدة والقوة لنزعها السهم واخراجه الى ذلك المرمى المتباعد اه * وقال حمزة بن الحسن الاصبهانى فى كتاب الموازنة كان الزجاج يزعم ان كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وان نقص حروف احداهما عن الاخرى فان احداهما مشتقة من الاخرى فتقول الرحل مشتق من الرحيل والثور انما سمى ثورا لانه يثير الارض والثوب انما سمى ثوبا لانه ثاب لباسا بعد ان كان غزلا وان القرنان انما سمى قرنانا لانه مطيق لفجور امرأته كالثور القرنان اى المطيق لحمل قرونه وفى القرآن ما كنا له مقرنين اى مطيقين قال وحكى يحيى بن على بن يحيى المنجم انه ساله بحضرة عبدالله بن احمد بن حمدون النديم من اى شى اشتق الجرجير فقال من الجر لان الريح تجرجره قال وما معنى تجرجره قال تجره كما ان ثادق اسم فرس اشتق من ثدق المطر اذا سال وانصب فهو ثادق * وقال ابن فارس فى فقه اللغة اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان للغة العرب قياسا وان العرب تشتق بعض الكلام من بعض وان اسم الجن من الاجتنان وان الجيم والنون ابدا تدلان على الستر تقول العرب للدرع جنة واجنه الليل وهذا جنين اى هو فى بطن امه وان الانس من الظهور يقولون آنست الشى ابصرته وعلى هذا سائر كلام العرب علم ذلك من علم وجهله من جهل وقد افرد الاشتقاق بالتاليف جماعة من المتقدمين منهم الاصمعى وقطرب وابو الحسن الاخفش وابو نصر الباهلى والمفضل بن سلمة والمبرد وابن دريد والزجاج وابن السراج والرمانى

والنحاس

والنحاس وابن خالويه انتهى من المزهر مع تصرف فلوكان ابراهيم اليازجى معاصرا لهولآء الائمة لقال لهم لو خطر لكم ما خطر لى الآن لما باشرتم تاليف كتبكم او انكم تاولتم للالفاظ تاويلا سخيفا كما قال فى حق مولف سر الليال كبر ذلك افترآء فالله حسيبه

اما اعتراضه على محرر الجوائب لقوله فى رده عليه انه كان يحرر سر الليال كما كان يحرر الجوائب اعنى صفحة صفحة وانه كان نبه قديما فى احدى الجوائب على فضل سر الليال بما يدل على ان هذا الكتاب كان مكتوبا من قبل ومن هنا اطال المعترض لسانه على عادته فقال ان صاحبنا اصبح شديد النسيان وقاتل الله الكبر فاقول له فى الجواب بل قاتل الله المتكبرين المتصلفين الذين بعد ان عرفوا ضرب زيد عمرا صاروا يظنون انهم احاطوا بجميع الامور خبرا فان المتواتر عند جميع اصحاب محرر الجوائب الذين طهر الله قلوبهم من الحسد والمعايب ان سر الليال الذى نوه به فى الجوائب كان مختصرا فلم يكن المراد منه سوى اظهار سر الاشتقاق ومناسبة بعضها لبعض فلما حصل على نفقته من مكارم الوزير الاكبر وزير تونس الافخم كما اشار اليه فى مقدمة الكتاب عدل عن الاسلوب الاول واخذ فى استيعاب كل ما فى القاموس فان شاء هذا السفيه السيء الظن المخاطرة على هذا خاطرناه على كل كتب ابيه وابرزنا له اصل سر الليال والا فليستغفر عن طعنه وسبه وليعلم ان المجازى العادل يواخذه بذنبه

اما اعتراضه على قول محرر سر الليال فى ح ب ب فمعنى حبه اصاب حبة قلبه وهو على حد قولهم شغفه حبا اى اصاب شغافه وهو غلاف القلب اوحبته الى ان قال وقالوا خلب نسآء للرجل الذى تحبه النسآء واصله من الخلب وهو الحجاب الذى بين القلب وسواد البطن الخ فقال المعترض، ان هذا التاويل يفسد المعنى فالجواب عن ذلك انه قد تقدم ان محرر سر الليال قال ومعنى احبه الرباعى جعله فى حبة قلبه على حد قولك اوعى المتاع اذا جعله فى الوعآء واحرزه اذا جعله فى الحرز واضمر الشى اذا جعله فى ضميره واكنه اذا جعله فى الكن واسره اذا جعله فى السر وهو قول جدير بالقبول ولازمه انه لابد من الارتباط والمناسبة بين احب الرباعى وحب الثلاثى والجامع بينهما حبة القلب وتحرير المعنى ان اصل الحب او المحبة من حبة القلب اعنى اصابة حب القلوب من ميل النفس الى شى

وبذلك صرحت عبارة صاحب تزيين الاسواق فاذا قلت عجبت من حب زيد كان اصل المعنى من اصابة حبة قلب زيد فهو هنا مقصور على زيد ومثله قول الشاعر

اذا كان حب الهائمين من الهوى * بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا

وكذلك اذا قلت عجبت من حب زيد لهند فان اللام هنا للتعليل ثم عدى الى مفعول حملا على جويه فان اصل الجوى الحزن الباطل وشدة الوجد ثم قيل منه جويه كرضيه اى كرهه فتغير المعنى عن اصله هذا ما ظهر لى فى تاويل عبارة المصنف وكيفما كان فلم يكن من اللائق بمن ادعى انه نشأ على الاداب وتزين بحلية الكتاب ان يتهافت على التخطئة ثم يهيم بعدها فى بحر الغرام ويدخل فى ابواب العشق والهيام ويبدى ما فطر عليه من الخلاعة والالتواء والخراعة فكانه تذكر عند ذلك ما لقنه اياه استاذه ومؤدبه صاحب الجنان فيما ذكره فى الهيام برياض الشام من الراقصات الحسان وهصر الذوائب ومغازلة الكواعب فمن ذا الذى لا يتعجب من هذا الاستاذ ومن خريجه الذى اخذ عنه فنون الادب فصار يحسب كاتبا فى من كتب ومتعقبا لمن شهدت بفضله أئمة العرب اما قوله انه لم ير فى آخر الجزء الاول من سر الليال تصحيح الغلط فالمفهوم من عبارة المصنف ان بيان الغلط يكون فى آخر الكتاب لا فى آخر جزء منه

اما انكاره على صاحب الجوائب انه يقيد فى تعاريفه ما هو مطلق كقوله بكأت الناقة قل لبنها اقول عبارة صاحب الجوائب هى عبارة القاموس بحروفها وقد زاد الشارح لفظة الشاة بعد الناقة وعلى كل فلا ملام على صاحب الجوائب وانما اللوم على من يتصدى للتخطئة

تراه معدا للخلاف كانه * برد على اهل الصواب موكل

وكذا يقال فى انكاره الاب فان عبارة سر الليال فيها كعبارة القاموس سواء وهى اولى من عبارة استاذ المعترض اعنى صاحب قطر المحيط حيث جعل جمع الابى للاسد بالواو والنون اما قوله بتع الفرس فاقول ان قول صاحب القاموس التبع بالتحريك طول العنق مع شدة مغرزها هو كالجنس ثم ان قوله بتع الفرس هو كالفصل وانشد الصاغانى لسلامة بن جندل يصف فرسا

يرقى الرسيع الى هاد له بتع * فى جؤجؤ كمداك الطيب مخضوب

على

على ان تقييد المادة بالفرس لا ينافى غيره فهو من قبيل الاكتفاء كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد وقوله والمسائل التى خطأه فيها اقول اذا كانت المسائل هى بكائت الناقة ومادة الاب فقد علمت ما فيها فلا يتفوه بهذا الكلام الا من تضلع فى المماحكات البستانيه

واما قوله ويجرى هذا المجرى قوله بحدل اسرع فى المشى ومثله بهدل وبحدل ايضا مالت كتفه وكأنه مسبب عن المشى وهو من التأويلات الغريبة اقول كان حق المعترض ان يقيم الدليل على قوله هذا فان المدعى يلزمه الدليل وهو لم يقمه فثبت من ذلك فساد ادعائه وبطلانه وثبوت صحة قول محرر الجوائب والذى يظهر لى فى هذه العبارة هو ان بحدل اصلها موضوعة للمشى ثم استعملت بمعنى مالت كتفه مجازا مرسلا علاقته السببية اعنى لما كان المشى سببا فى ميلان الكتف استعملوه فيه لهذه العلاقة وهو كثير فى كلامهم ولا يستغربه الا من لم يسمع بالمجاز وعلاقاته التى من ضمنها السببية والمسببية الى آخره فكيف يكون من التأويلات الغريبة وهو مبنى على القواعد العلمية

اما اعتراضه على قول سر الليال البهق محركة بياض رقيق ظاهر البشرة ومعنى البياض فى بهر لكنه قبح هنا بالحاق القاف قال المدعى وفيه نظر من اوجه احدها انه لم يذكر فى تعريف البهق انه يكون قبيحا اقول ما هذا الاعتراض السخيف الذى ينشف عن لؤم وحنق اظهر من البهق فان كون البهق قبيحا امر معلوم هو اشهر من قبح المعترض لانه بياض مخالف للون الجسد فهو شبيه بالبرص فالمؤلف ذكر اصل المعنى الذى تشترك فيه هاتان اللفظتان ثم بين ما تنفرد به احداهما اشارة الى ان بينهما العموم والخصوص المطلق وهو اجتماعهما فى مادة وانفراد احداهما فى مادة اخرى كالانسان والحيوان فيجتمعان فى الانسان وينفرد الحيوان فى الحمار وهو الحيوان الناهق وفى الكلب وهو الحيوان النابح فقول المعترض انه لم يذكر فى تعريف البهق انه يكون قبيحا تعنت منه بل هو سفسطة لزمها ولزمته فى جميع اعتراضاته وانما يتأتى هذا الاعتراض لو لم يقل المصنف لكنه قبح هنا بالحاق القاف وهنا قد قال ذلك فلا يتأتى وايضا فان المؤلف قال لكنه ولكن حرف استدراك والاستدراك هو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته او نفيه مثال الاول زيد شجاع فيتوهم انه كريم فيرفع بان يقال لكنه بخيل والبهق محركة

بياض رقيق ظاهر البشرة فيتوهم انه بياض مليح فيقال لكنه قبيح بالحاق القاف والثانى ما زيد شجاع فيتوهم ثبوت نفى الكرم عنه فيقال لكنه كريم وهذا لا يخفى على من له ادنى المام بكتب الادب فما بال ابراهيم يتطى للاعتراض ويتلظى من الامتعاض وما ادراك ما ابراهيم وهو الشيخ الذى قلده المشيخة استاذه صاحب الجنان لانه حذا حذوه فى الامتراء والبطلان

وقوله انه جعل الحاق القاف منشأ القبح وهو اظهر من ان يبين اقول السكوت عن هذا الاعتراض اولى وانما نقول

ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن غيه وخطاب من لا يفهم

اما قوله ومن الغريب عدوله هنا الى الالحاق مع ان كتابه مبنى على القلب والابدال اقول وهذا ايضا سفاهة لا تحتاج الى الجواب فحسبنا ان نقول

فقر الجهول الى قلب بلا ادب * فقر الحمار الى راس بلا رسن

وكذا يقال فى قوله ومقتضاه ان الحمرة نشأت من اللام هنا كما نشأ القبح من القاف فان ذلك كله هذيان محموم او تمعض مسموم

وقوله هذه المناقشة كشفت بيننا سرا طالما كان محجوبا بزخرفة المثال اقول بالايجاب نعم ان هذه المناقشة قد كشفت عن سفاهة المعترض وتهوره كما كشفت عن حقيقة استاذه وان كانت معروفة من الالفاظ الجنانية الدالة على جهله وتجاسره على افساد لغتنا العربية الشريفة الا فضح الله كل من تعمد افساد هذه اللغة بالالفاظ الانثوية والعبارات الركيكة الافرنجية وكيف لا تكشف هذه المناقشة سرا كان محجوبا وهى قد بينت ان ابراهيم ينكر الفصيح من كلام غيره ويبرى نفسه من الغلط الذى وقع فيه كتجهله لكسر الذم وتنصله من فتح المظنة وغير ذلك كما سيانى بيانه فى محله لاجرم ان من لم يعرف قدره لم يتعد طوره وان البغى يصرع اهله والظلم مرتعه وخيم فلله در الحماسى حيث قال

فانى ارى فى عينك الجذع معرضا * وتعجب ان ابصرت فى عينى القذى

اما قوله ان محرر الجوائب قد سطا على علماء اللغة وانه ذهب مذهبا لا يليق بالعلماء فجوابه انه اذا اراد بهولاء العلماء ابا المعترض لكون محرر الجوائب قد انتقد عليه لفظة الفحطل فابوه لا يحسب فى عداد العلماء كيف ومقاماته وقصائده مشحونة بالغلط الفاضح واللحن الفاحش اما كتابه الذى الفه فى النحو متطاولا به على ابن مالك

ابن مالك فقد جاء كله بهرجا وحسبك ما قاله صاحب ارشاد الورى الذي تصدى لتخطئته وهو من العلماء الاعلام الذين جاوروا في الجامع الازهر واشتهروا بالعلم بين الخاص والعام واني اريك بعض ما في شرح نار القرى كهذه الابيات من السقطات التي تدل على التمادي في الجهل بل هي اكبر دليل على عدم العقل وقال ايضا والحاصل ان النحو لو كان امرأة لطلقها المنصف من ناصيف الف طلاق وقال ايضا وزعم الفئة المتعصبة له ان كتب السلف معقدة معترضة منتنة وان صاحب نار القرى ومن نحا نحوه قد احسنوا كل الاحسان وهذبوا كتب الادب واخرجوها الى التمدن من التخشن وكسوها التحسن وهم لعمري من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومن الذين اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف اوكسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء اه وان كان المراد بالعلماء صاحب القاموس وغيره من ائمة اللغة فان محرر الجوائب قال في سر الليال صفحه ٢١ واعلم ايها القارى الصافي السريرة الصادق البصيرة اني لم اقصد فيما اوردته من نقد القاموس الازدراء بقدر مولفه او تزييف كلامه و بخس زخرفه معاذ الله تعالى اني اشهد الله وهو على كل شي شهيد اني لولا بركة القاموس وغوصي على جواهره لما تعلمت من اللغة ما اوصلني الى تحرير هذا الكتاب فانا مقر بما لصاحبه على من الفضل والمنة ولوكان حيا في عصرنا هذا لما قام بخدمته غيري فرحم الله روحه الطاهرة وارواح جميع من خدموا هذه اللغة الباهرة الخ واقر ايضا في موضع آخر بانه دون العلماء علما وفهما واعظم شاهد على انه لم يسيئ الى احد من العلماء كون علماء مصر والشام والعراق والحجاز والغرب قرظوا كتابه فهل يقال ان العلماء لم يفهموا كلامه حتى قرظوه لا جرم ان من يقول ان مولف سر الليال سطا على العلماء هو الذي سطا عليهم اذ نسبهم الى الجهل والتهاون بحقوقهم او ليس ان هذا المعترض افترى على علماء الشام وعلى حنا بك ابي صعب من دون سبب وكذلك ابوه طاول الحريري وابن مالك وكذلك استاذه صاحب الجنان افتخر على علماء اللغة وادعى ان مولفه المشحون بالغلط والتحريف يغني عن كتبهم واقبح من هذا انه خلط كلام العامة بالكلام الفصيح من دون تحرج افلا تخجلون

ثم ان هذا المعترض لم يكفه هذا القدر من الاعتراض على سر الليال بل اخذ ينقر في جميع ما الفه صاحب الجوائب من منثور ومنظوم فاعترض على قوله في كتاب

الساق على الساق ان الناقة تستبعر فقال ان البعير يستعمل للذكر والانثى فالتوى عليه الطباق وفسد المعنى

فالجواب انه لا يلتوى الطباق الا على من التوت نيته وفسدت طويته قال فى المصباح ووقع فى كلام الشافعى رضى الله عنه فى الوصية لو قال اعطوه بعيرا لم يكن له ان يعطوه ناقة لحمل البعير على الجمل ووجهه ان الوصية مبنية على عرف الناس لا على محتملات اللغة الى آخره ومما يؤيد ذلك قول صاحب القاموس وقد يكون للانثى وقد هنا حرف تقليل على انه قد قامت قرينة هنا تفهم بها ان المراد هنا الجمل لا غير اذ لا يعقل كون الناقة تصير ناقة لان هذا محال ولا يعترض مثل هذا الاعتراض الا من التوى فهمه وغاص فى السفاهة كل مغاص وهل نسى ما انتحله ونقله من كتب بعضهم على المشترك فانه قال قبل هذا الاعتراض بقليل ان الاشتراك عندهم ان يورد المتكلم لفظة تشترك بين معنيين يسبق ذهن السامع الى غير المراد منها فيأتى المتكلم بما يصرفها الى مراده الى اخر ما نقله وهى تؤيد صحة قول صاحب الجوائب الناقه تستبعر فان الذهن يسبق الى ان المراد بالبعير هنا الجمل كما اوردنا عن الامام الشافعى لان قوله الناقة صرفه الى مراده اى الجمل ولقد صدق هذا القول على صاحب الجنان وتلميذه فان كلا منهما ناقة استبعرت وما اجدرهما بان تطرب مسامعهما بقول الشاعر

لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بكل وجه * ويحبسه على الخسف الاجير

اما اعتراضه على قوله فاجمعا رايهما على ان يستبضعا اقول انها عبارة صحيحة لا ينكرها الا من قصر فهمه والتوى تصوره قال ابو هشيم الاجماع جعل الامر جميعا بعد تفرقه قال وتفرقه انه جعل يديره فيقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر محكم اجمعه اى جعله جميعا قال وكذلك يقال اجمعت النهب والنهب ابل القوم التى اغار عليها اللصوص فكانت متفرقة فى مراعيها فجمعوها من كل ناحية حتى اجتمعت لهم ثم طردوها وساقوها فاذا اجتمعت قيل اجمعوها وانشد لابى ذؤيب يصف حمرا

فكانها بالجزع بين نبائع * واولات ذى العرجاء نهب مجمع

فانت ترى ان الاجماع كما قال ابو هشيم هو جعل الامر جميعا بعد تفرقه وقال فى لسان

فى لسان العرب جمع الشئ عن تفرقة يجمعه جمعا وجمعه (بالتشديد) واجمعه فاجتمع واجدمع وجمع امره واجمعه واجمع عليه عزم عليه كأنه جمع نفسه له والامر مجمع ويقال ايضا اجمع امرك ولا تدعه منتشرا قال الفرآء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر واحكام النية وقيل الجمع ان تجمع شيا الى شئ والاجماع ان تجمع الشئ المتفرق جميعا واجمعت الابل سقتها جميعا واجمع المطر الارض اذا سال على رغامها وجهادها كله واجمع الناقة وبها صر اخلافها جمع فاقتصر المعترض على الاجماع بمعنى العزم والتصميم تمويها ومكابرة وهو لا يليق بمن ادعى انه نشا على الادب وطالع كلام العرب فتبين مما قررناه ان عبارة صاحب الجوائب فى محلها فان معناها هو انهما جعلا امرها جميعا بعد تفرقه على ان يستبضعا وهى صحيحة وفصيحة وصريحة وفى بعض كتب الادب قال ابو طالب يحكى ان هرا كان قد افنى الجرذان فاجتمعت بقيتهن وقلن تعالين نحتل بحيلة لهذا الهر فاجمعن رأيهن على تعليق جلجل فى عنقه حتى اذا رأينه سمعن الجلجل فهربن منه فجئن بجلجل وشددنه فى خيط ثم قلن من يعلقه فى عنقه فقال بعضهن هذا اشد ما بقى من الرأى

وبعض الدآء ملتمس شفاه * وداء النوك ليس له شفاء

اما اعتراضه على قوله الى ان تصيروا كهلا لان كهلا مفردة وحقها الجمع فالجواب عنه من عدة اوجه احدها ان كهلا اذا كانت غير مشكولة فهى جمع كاهل بوزن ركع قال فى المحكم الكهل الرجل اذا وخطه الشيب ورأيت له بجالة والجمع كهلون وكهول وكهال وكهلان قال ابن مياده

وكيف ترجيها وقد حال دونها * بنو اسد كهلانها وشبابها

وكهل وأراها على توهم كاهل الثانى ان محرر الجوائب لما الف كتاب الساق على الساق كان وقتئذ فى باريس وقبل اتمام طبعه سافر الى لندرة فكان ما يطبع من الكتاب يرسل اليه ليصححه فيها بل لم يكن ذلك مطردا فلا غرو اذا ان يكون قد وقع فى الكتاب بعض سهو وتحريف الثالث انه من سنن العرب ذكر الواحد والمراد الجمع كقولهم قررنا بها عينا اى عيونا وفى القرآن الشريف فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وقال تعالى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيا وتقديره وكم ملائكه فى السموات وقال فانهم عدو لى الا رب العالمين وقال هؤلاء ضيفى ولم يقل

اعدآئی ولا اضیافی وقال ایضا لانفرق بین احد منهم والتفریق لا یکون الابین اثنین والتقدیر لانفرق بینهم وقال یاایها النبی اذا طلقتم النساء وقال وان كنتم جنبا فاطهروا وقال والملائكة بعد ذلك ظهیر كما فی فقه اللغة للثعالبی وقال الشاعر

فلولا انهم سبقت الیهم * سوابق نبلنا وهم بعید

وقال آخر

اذا اخصبتم كنتم عدوا * وان اجدبتم كنتم عیالا

ومثل ذلك الصدیق والخصم

اما اعتراضه علی قول محرر الجوائب لابد وان یکون فان كان ذلك عن جهل زاده الله جهلا وان كان عن مكابرة سلط الله علیه من یكابره ویكاربه ویرابكه وان كان لعدم وجود الكتب العربیة عنده اتحفناه ببعضها لیری منها طغیانه وعجرفته قال ابو البقاء فی الكلیات وعن ابن السیرافی انه قال الواو تجیء بمعنی من ومنه قولهم لابد وان یکون اه وعلی ذلك جرت عبارة العلماء قدیما وحدیثا قال صاحب المثل السائر فی صفحة ٢٩٥ وان كل مایعدهم به لابد وان یصیبهم وقال فی ص ٣٠٠ لابد وان یقع فی زمن من الازمان ولو اردنا ایراد كل ما قاله العلماء من امثال هذا التركیب لضاق المجال فما تقول یا ابراهام فی هذا وما اعتذارك عن التشدق به فرحم الله من قال فیك وفی امثالك من تصدر قبل اوانه فقد تصدی لهوانه لا جرم ان تخطئتك فی هذا هوان لك وای هوان

تجللت عارا لایزال یشبه * سباب الرجال نثرهم والقصائد

اما اعتراضه علی حذف النون من قوله

الم تفقهوا لابن الحسین مقالة * تفیكم عنا غماء فیها تخاطروا

وقوله

فلم یبق الا من دری سوء رایكم * به وبدا من امركم ما تحاذروا

ومن قوله ایضا اتعنیهم ام تعنیهن فالجواب عن الاول ان القصیدة لما كانت رائیة تعذرت النون فیها فهو من قبیل الاكتفاء وقد استعمله الشعراء المتاخرون كثیرا وهو علی حد قول الشبلی هكذا شیمة الملوك بالممالك یرفقوا ونحوه قول الحاجری

قد كنت لما كنت فی نعمة * احب طول العمر حبا كثیر

ومثله

ومثله ما يكون فى الضرب كقول ابى فراس

وراء القافلين اذا يعدوا * واولى من يغير اذا اغاروا

وكقوله ايضا

فاذكرانى وكيف لا تذكرانى * كلما استخون الصديق الصديقا

قوله استخون جاء به على الاصل كما تقول العامة الآن وهو مما فات صاحب القاموس وهنا ملاحظة وهى ان هذه القصيدة الرائية قد نظمها المولف منذ اكثر من ثلثين سنة وذلك يدل على ان داء هذا المعترض فى اعتراضاته قديم ولعله ورثه عن ابيه ولعمرى ان حذف النون هنا اسوغ من اثبات الياء فى قول ابى المعترض

ايها العائف الكفاف تمنى * لو ادام الزمان خبزا وماء

والجواب عن الثانى من الكفراوى وهو شرح الاجرومية يقرأ فى مدرسة الاميريكان بمصر وفى سائر المدارس الوطنية لتعليم الصبيان الذين لم تتجاوز سنهم عشر سنين وذلك عند ذكر الجوازم حيث قال ما ملخصه العاشر ما يجزم فعلين وهو انى نحو قول الشاعر

فاصبحت انى تاتها تستجر بها * تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

ثم قال فى اعراب هذا البيت تاججا فعل ماض وغلط من قال اصله تتاججا ثم حذفت احدى التائين تخفيفا لان نون الرفع حينئذ تكون محذوفة لغير علة و يكون اصله تتاججان ان جعل صفة لكل من الحطب والنار فان جعل صفة للنار كان اصله تتاجج وزيدت الالف للاطلاق اللهم الا ان يقال ان حذف النون فى الاول شائع مشتهر ولو من غير علة على حد قول الشاعر

ابيت اسرى وتبيتى تدلكى * شعرك بالعنبر والمسك الذكى

اذ اصله تبيتين وتدلكين حذفت النون تخفيفا اه ولم نر فى الحواشى التى عليه ما يخالف قوله وفى الحديث لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا الاصل لا تدخلون ولا تومنون لانه هنا نفى لا نهى وقالوا ساحران تظاهرا اى يتظاهران فادغم التاء فى الظاء وحذف النون كذا فى التصريح وغيره وقال ابن هشام فى المغنى فى حرف النون ونحو تامرونى يجوز فيه الفك والادغام والنطق بنون واحدة وقد قرى بهن فى السبعة وعلى الاخيرة فقيل النون الباقية نون الرفع وقيل نون

الوقاية وهو الصحيح قال الشارح لان نون الرفع وان سبقت عهد حذفها فى الجملة عند الناصب والجازم فحذفها مالوف بخلاف نون الوقاية وما عهد حذفه اولى بالحذف من غيره اه ومما حذفت فيه النون فى فصيح الكلام قول الحماسى

وحنت ناقتى طربا وشوقا * الى من بالحنين تشوقينى

اصله تشوقيننى وقال آخر

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم * ومات اكثرنا غما بما يجد
انا الذى يجدونى فى صدورهم * لا ارتقى صدرا منها ولا ارد

وقال آخر

الله يعلم انا لا نحبكم * ولا نلومكم ان لا تحبونا
كل له نية فى بغض صاحبه * بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وقال محمد بن الرهيب

انى لاعلم انى لا احبهم * كما هم بيقين لا يحبونى

وقال ابونواس

اما ترق لصب * يكفيه منك قطيره

وقال ذو الوزارتين ابو بكر بن عمار

فديتكم لو تعلموا السر انما * قليتكم جهدى فابعدتكم جهدى

وقال ابن معتوق

انا ابن جلا القريض متى شككتم * وطلاع الثنا افتعرفونى
فكم قوم لديك ترى محلى * فتغبطنى وقوم يحسدونى

اما اعتراضه على لفظة تطالل فقد رأيناها فى نسخ القاموس الموجودة بايدينا خطا وطبعا هكذا بفك الادغام وذلك فى مادة ط و ل حيث قال وتطاول تطالل وفى نسخة عليها شرح السيد المرتضى وتطاول الرجل مثل تطالل اذا قام على اصابع رجليه ومد قوامه لينظر الى الشى قال

تطاولت كى يبدو الحصير فما بدا * لعينى ويا ليت الحصير بدا ليا

ويسوغه عندى كون تفعل صنو تفاعل فحمل عليه وقد استساغ صاحب القاموس فك الادغام فى غير هذا الموضع وذلك فى مادة بغض حيث قال والتبغض ضد التحبيب

التحبيب والتحابب والتحبب وقوله فى حب وككتاب المحابة كذا فى النسخ وجاء فى قلائد العقيان ص ١٥ فاحلى حلى الملوك التصامم عن سماع القدح فى ولى والتعاظم عن الوضع لعلى وفى المثل السائر والمسامحة فى موضع والمحاققة فى موضع وقال فى ص ٩٦ واذا حوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم وعن المامون انه كان يقول لعن الله الملاححة كذا فى نسخ سيرته وقال المتنبى

ولا يبرم الامر الذى هو حالل * ولا يحلل الامر الذى هو مبرم

قال العكبرى شارح ديوانه اظهر التضعيف فى حالل وهو من باب الضرورات ولو قال مكانه ناقض لسلم من الضرورة وربما فعل الشاعر هذا ليشعر انه يعلم بالضرورات كقول قعنب

مهلا اعاذل قد جربت من خلق * انى اجود لاقوام وان ضننوا

وكقول زهير

لم يلقها الا بسكة باسل * يخشى الحوادث حازم مستعدد

وجاء فى كلام العجاج تعمدا لذى الجلال الاجلل وقوله وطول املال وظهر مملل وقال غيره فان يوضح بالخبث الاقلل وامثال ذلك كثيرة

ونحو من ذلك اعتراضه على قول محرر الجوائب لا يغررنكم كثير جوعهم وقوله لا يغررن الغر منهن تق قال فك الادغام فى الموضعين وهو واجب لان حركة الراء الثانية فيها لازمة لبناء الفعل عليها مع نون التوكيد فاقول ان هذا القول رمية اعمى فان الفعل ههنا ليس مبنيا على الفتح بل هو مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون والفتح هنا عارض فقد نقل بعضهم انه معرب وان اتصلت به نون التوكيد افاده ابن عقيل وقال الاشمونى ذهبت طائفة الى اعراب المضارع مطلقا وقال الصبان لكنه مع النون المباشرة اى نون التوكيد مقدر منع من ظهوره حركة التميز بين المسند للواحد والمسند للجماعة والمسند للواحدة واما نون الاناث فقال ابن مالك فى شرح التفصيل ان المتصل بها مبنى بلا خلاف وذهبت طائفة منهم ابن درستويه وابن طلحة والسهيلى الى انه معرب باعراب مقدر منع من ظهوره سكون عرض فيه من الشبه بالماضى وجعل السكون عارضا للمضارع باعتبار ما صار كالمتاصل فيه من الاعراب فمن هنا يعلم ان الفعل المضارع معرب مع نون التوكيد المباشرة وان الحركة الموجودة ليست حركة بناء بل عارضة وقال

الاشمونى ان من شروط الادغام ان لا يعرض تحريك ثانيهما وهو ما عناه ابن مالك بقوله ولا كاخصص ابى لان الاصل اخص بالاسكان فنقلت حركة الهمزة الى الساكن فلم يعتد بها لعروضها وقال السعد على قول العزى والادغام جائز اذا دخل الجازم على فعل الواحد اى اى جازم كان فيجوز عدم الادغام نظرا الى ان اشتراط الادغام تحرك الحرف الثانى وهو ساكن هنا فلا يدغم ويقال لم يمدد وهو لغة الحجازيين قال

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

فان قوله يذمم مجزوم لكونه عطفا على يستغن وهو جواب الشرط اعنى من يك ويجوز الادغام نظرا الى ان السكون عارض لا اعتداد به فيحرك الثانى ويدغم فيه الاول فيقال لم يمد بالضم او الفتح او الكسر لما سيأتى وهو لغة بنى تميم والاول هو الاقرب الى القياس وفى التنزيل ولا تمنن تستكثر اه فتلخص اذا ان الفعل المضاعف اذا دخل عليه الجازم اى جازم كان جاز فيه الفك والادغام فتقول من غر لا يغر ولا يغرر فاذا اتصلت به نون التوكيد صار لا يغررن كما قال صاحب الجوائب وعلى الادغام جاء قول الشاعر

لا يغرن امرءا عيشه * كل عيش صائر للزوال

وعلى الفك جاء قول زيد الخيل

اقول لعبدى جرول اذ اسرته * اثبنى ولا يغررك انك شاعر

وقال آخر من شعراء الحماسة

ردى ثم اشربى نهلا وعلا * ولا يغررك اقوال ابن ذيب

وقال آخر منهم

اذا كنت فى سعد وامك منهم * غريبا فلا يغررك خالك من سعد

وقال آخر

ولا يغرركم منى ابتسام * فقولى مضحك والفعل مبكى

وهذا كاف ومن هنا تعلم ان ما ادعاه المعترض من ان صاحب الجوائب يجهل قوانين الصرف انما هى دعوى عليه لا له فما اجدره بقول الشاعر

يصيب وما يدرى ويخطى وما درى * وكيف يكون النوك الا كذلكا

وانما اراد ان يظهر لاستاذه صاحب الجنان انه قد حفظ كل ما اخذه عنه ووضعه

فى

فى موضعه وهيهات ان يرعويا عن غيهما بما يظهر لهما من عبارة العلماء او ان ينظرا بذلك جهلهما كما قال الشاعر

ان المرايا لا تريك عيوب وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لا تريك عيوب ذاتك فى هواها

اما اعتراضه على قوله وانهم وان يكونوا سيئى الادب على الطعام فهم متأدبون اذ يجب هنا اسقاط الفاء وقوله وهما وان اظهرا له الخضوع ففى قلوبهما منه حزازات وقوله فانى وان كنت بشرا مثلك لكنى وكيل الى ان قال فما ادرى كيف صح عنده هذا التركيب فالجواب ان تلق ان الوصلية بالا ولكن قدنص عليه ابو البقاء فى الكليات وعليه قول الزمخشرى لانه وان كان (اى الكيد) فى الرجال ايضا الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة وقال الشيخ الملوى فانه وان كان يشترك فى معناه افراد باعتبار ابوته لهم لكن الخ وقال ابن عرب شاه فى تاريخ تيمورلنك وان عسكره وان كان كاسيل الهامر الا انه لا مقاومة له بحره وتياره وفى نسخة فانه لا مقاومة له وقال الامام السيوطى فى المزهر وان كان مقام الخليل يتنزه عن ارتكاب مثل ذلك الا انه لا يمنع الوثوق به وقال ابن هشام فانه وان كان تابعا مقصودا بالحكم لكنه بواسطة حرف العطف وهو اكثر من ان يحصر ومثل ذلك تلقيها بالفاء قال الامام على رضى الله عنه

وانى وان اصبحت بالموت موقنا * فلى امل دون اليقين طويل

وقال بعضهم ان الدنيا وان عظم امرها وتناهى فخرها بما يوجد فيها من الاعمال الصالحات فهى آيلة الى الفناء والزوال وقال آخر ان البصرة وان كانت داخلة فى حد العراق فليس لها حكمه وقال آخر ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن ان المؤمن وان كان فى نعمة واسعة فهو بجنب ما انعم الله به عليه فى الجنة فقير وامثال ذلك لا تحصى

قوم اذا خرجوا من سوءة ولجوا * فى سوءة لم يجنوها باستار

ثم قال ومن زياداته المخلة اى زيادة مؤلف كتاب الساق على الساق قوله تنبذ الغافلين ان وراءها لقولا شديدا والجواب ان هذه العبارة صحيحة بدليل ما جاء فى المغنى وهو قوله القسم الثانى اللام الزائدة وهى الداخلة فى خبر المبتدا فى نحو قوله * ام الحليس لعجوز شهربه * وقيل الاصل لهى عجوز شهربه وفى خبر ان المفتوحة كقراءة سعيد بن

جبير الا انهم ليأكلون الطعام بفتح الهمزة وفى خبر لكن فى قوله * لكننى من حبها لعميد * وليس دخول اللام مقيسا بعد ان المفتوحة خلافا للمبرد ولا بعد لكن خلافا للكوفيين وقيل اللامان للابتداء على الاصل وذلك ان ان المفتوحة هى فرع المكسورة ولذا لم يذكر ابن مالك فى تسهيله ان المفتوحة وهو كصنيع سيبويه حيث قال هذا باب الحروف الخمسة فعاملها المبرد معاملة ان المكسورة وعلى هذا فهى صحيحة فقوله خطأ هو من بعض ما يتهافت به على التخطئة مجازفة اذ ظاهره انه لا يجوز اقحام اللام على اسم ان وانه لو اقحمت على خبرها لصح وهو احدى سيئاته الظاهرة التى لا تحتاج الى تنبيه وقال الاشمونى على قول ابن مالك (وتصحب هذه اللام اعنى لام الابتداء ايضا (الوسط) بين اسم لا وخبرها (معمول الخبر) بشرط كون الخبر صالحا لها نحو ان زيدا لعمرا ضارب الى ان قال (و) تصحب ايضا (الفصل) وهو الضمير المسمى عمادا نحو ان هذا لهو القصص الحق اذا لم يعرب هو مبتدا وتصحب اسما لان (حل قبله الخبر) نحو ان عندك لبرا وان لك لاجرا * واما اعتراضه على قوله الذى يظهر لى ان فى الهنات والجليدات اضررا عظيما قال وهى واقعة فى خبر المبتدا مع انه لم يصرح احد بهذا فاقول قال ابن عقيل على قول ابن مالك

وهمز ان افتح لسد مصدر * مسدها وفى سوى ذاك اكسر

قال يجب فتح ان اذا قدرت بمصدر كما اذا وقعت فى موضع مرفوع فعل نحو يعجبنى انك قائم اى قيامك او منصوبه نحو عرفت انك قائم اى قيامك او فى موضع مجرور بحرف نحو عجبت من انك قائم اى من قيامك وانما قال لسد مصدر مسدها ولم يقل لسد مفرد مسدها لانه قد يسد المفرد مسدها ويجب كسرها فى نحو ظننت زيدا انه قائم وان سد مسدها مفرد لانها فى موضع المفعول الثانى الى ان قال فان لم يجب تقديرها بمصدر لم يجب فتحها فهذه هى المواضع التى يجب فيها فتح ان ولم يذكر ابن عقيل انها اذا وقعت فى خبر المبتدا يجب فتحها كما زعم المعترض وقال الاشمونى ايضا على قول ابن مالك (وهمز ان افتح) وجوبا (لسد مصدر مسدها) مع معموليها لزوما بان وقعت محل فاعل نحو او لم يكفهم انا انزلنا اومفعول غير محكى بالقول نحو ولا تخافون انكم اشركتم او نائب عن الفاعل فى نحو قل اوحى الى انه استمع او مبتدا نحو ومن آياته انك ترى الارض خاشعة او خبر عن اسم معنى غير قول ولا

ولا صادق عليه خبرها نحو اعتقادي انك فاضل بخلاف قولي انك فاضل واعتقاد زيد انه حق ومجرور بالحرف نحو ذلك بان الله هو الحق او الاضافة نحو مثل ما انكم تنطقون ومعطوف على شي من ذلك نحو اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين او مبدل منه نحو واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ولم يذكر الاشموني ما ذكره المعترض واقول ايضا خير القول اني احمد الله في هذه العبارة يجوز الفتح والكسر فالفتح على معنى خير القول حمد الله يعني سبك ان مع ما بعدها بمصدر والكسر على الاخبار بالجملة لقصد الحكاية اي حكاية لفظ الجملة اي الاتيان بها بلفظها وليس المراد انها من مقول القول فكانك قلت خير القول هذا اللفظ

اما اعتراضه على قوله سول اليه واستعد اليه فالجواب ان هذا الاعتراض مبني على انه يسوغ لنفسه مبادلة الحروف حيثما شاء ولا يسوغها لغيره وهو شان البطر العاتي لان صاحب الجوائب لما انتقد عليه قوله ينيف عن ستين سنة اذ الصواب تعدية اناف بعلى فغر فاه بالمقاذعة والصخب ورغا كانه جمل اضربه الجرب وزعم انه يجوز ان يقال ذلك ولا غرو

فعين الرضى عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

وغاية ما اقول في هذا الباب ان المؤلف ضمن سول معنى وسوس على ان الى كثيرا ما تاتي بمعنى اللام كما في قوله تعالى والامر اليك وقال ايضا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وفي المثل السائر ص ٣٢ يخيل الى السامع ان هناك صورة شبيهة بصورته في حبها وتوقدها مع ان ائمة اللغة عدوا خيل باللام قال في المصباح خيل له كذا بالبناء للمفعول من الوهم والظن وتخيل لي خياله وعبارة القاموس تخيل له الشي تشبه وعبارة الصحاح وتخيل له انه كذا اي تشبه وتخايل يقال تخيلته فتخيل لي وقال صاحب المثل السائر ايضا في ص ٢٨٣ وما رايت احدا من علماء الصناعة تعرض اليه وعلى ذلك يقال هداه للطريق واليه ووفقه الله للشي والى الشي وقصد له واليه وعمد له واليه وقس عليه استعد كما جاءت اللام بمعنى الى في قوله تعالى بان ربك اوحى لها وكل يجري لاجل مسمى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * ومن هذه المبادلة قول ابي المعترض

تصرف بالغرائب عن فؤاد * لاغلاق المشاكل فض ختما

اذ الاصل في الغرائب مع ان دخول في هنا لا يكسر الوزن ومثله قوله * وليس به

التصرف من قضا كا وقوله * اخذ الطبيب بان يداوى غيره * وانما يتعدى اخذ بالباء اذا كان بمعنى امسك وقوله * وعلى مناظرة الحسان مشوق * اذ حقه ان يعدى بالى ومثل ذلك كثير شائع

وان عناء ان تفهم جاهلا * فيحسب جهلا انه منك افهم

اما اعتراضه على قوله ودرس ثورين قد شدا الى قرن فقال الصواب ان يقال شدا بقرن فجوابه ان القرن معناه حبل يجمع به البعير والبعير المقرون بآخر وهو المراد هنا او تقول ان شدا الى قرن معناه جرا وسحبا الى حبل يجمعهما واما قوله ان البيت كله سخيف فجوابه

ومن يك ذا فم مر مريضا * يجد مرا به الماء الزلالا

ولعمرى ان هذا البيت احسن من قول ابى المعترض فى مطلع القصيدة التى مدح بها حضرة ملكة الانكليز وهو

ان قلت ويحك فافعل ايها الرجل * لا يصدق القول حتى يشهد العمل

فانظر ان كان قوله فافعل يصح ان يكون براعة استهلال فى مدح ملكة عزيزة الشان ولا يصح ان يفسر القرن بالبعير على ان مولف كتاب الساق على الساق كان يمكنه ان يقول ودرس ثورين مشدودين فى قرن كما قال امرؤ القيس بكل مغار الفتل شدت بيذبل * فى احدى الروايات

ثم اعترض على ورود الفاء مع لم فى جواب اذا فى قول مولف كتاب الساق على الساق

فاذا رضيت فكل سخط هين * واذا وصلت فلم ابال بهاجر

فاقول اذا كان الفعل ماضيا لفظا ومعنى وجب اقترانه بالفاء. نحو ان كان قميصه قد من دبر فصدقت وقد معه مقدرة واذا كان الفعل مستقبلا معنى وقصد به وعد او وعيد جاز اقترانه بالفاء نحو ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال فى شرح الكافية لانه اذا كان وعدا او وعيدا حسن ان يقدر ماضى المعنى فعومل معاملة الماضى حقيقة اى مبالغة فى تحقق وقوعه وان كان مستقبلا فى الواقع وقوله عومل معاملة الماضى حقيقة اى الماضى لفظا ومعنى اى عومل معاملته فى مجرد الاتيان بالفاء وان كان الاتيان بها فى الماضى حقيقة على سبيل الوجوب وفى هذا على سبيل الجواز

وفى المغنى

وفي المغني عند ذكر اقسام الفاء الثالث ان تكون زائدة في الكلام كخروجها وهذا لا يثبته سيبويه واجاز الاخفش زيادتها في الخبر مطلقا وحكى اخوك فوجد الى ان قال وقال ابن برهان تزاد الفاء عند اصحابنا جميعا قال الشارح قوله عند اصحابنا اى البصريين لانه منهم اى سواء كان في الخبر او غيره قلت ولهذا اجاز ابن مالك دخول الفاء في جواب لما وعند الفارسي ان الفاء في قوله تعالى بل الله فاعبد زائدة وعلى هذا قول صاحب المثل السائر في ص ٢٧ واذا ثبت فساد ما ذهبت اليه فلم يكن المراد بالجلود الا الفروج خاصة وهو كقول صاحب الجوائب سواء

ثم ان صاحب الجوائب كان قد رد على ابن اليازجي ما اعترض به عليه من ايراد الجاده والجاهده على ما تقدم في اول هذا الكتاب وكان من جملة ما قاله كما يصح ان يقال مثلا عظم جده وطال جهده كذلك يصح ان يقال جاده وجاهده فاعترض عليه ابن اليازجي ايضا في هذا التركيب وزعم لفساد عقله وطبعه انه فاسد مع انه فصيح صحيح وقد استعمله العلماء قديما وحديثا قال ابن هشام في المغني عند ذكر الفاء تنبيه كما تربط الفاء الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط وقال الاشموني في باب جمع التكسير ما نصه تنبيهان الاول كما يغنى احدهما عن الآخر وضعا كذلك يغنى عنه استعمالا وقال ايضا فكما يقال في جماعتين من الجمال جمالان كذلك يقال في جماعات جمالات وقال في باب الحال فكما لا يتقدم ما يتعلق بالصلة على الموصول كذلك لا يتقدم ما يتعلق بالمضاف اليه على المضاف وقال ايضا كما يعرض للحال وجوب التاخير عن صاحبها كما رايت كذلك يعرض لها وجوب التقديم عليه وقال ابو حيان وهل التراكيب العربية الا كالمفردات فكما لا يجوز احداث لفظ مفرد كذلك لا يعطف عليه عطف بيان (كذا باصله) وقال في كتاب الف باص ٤٠٣ كما يتخير الرجل الارض لغرسه كذلك فليتخير الزوجة لنفسه ونجابة ولده وفي المطالع النصرية ص ١٤٦ كما ان للعرب زيادة بعض حروف لمعان في بعض كلمات كذلك للكتاب زيادة بعض حروف في بعض كلمات ومثل ذلك ما قاله في ص ١٧٩ ومن العلماء من استعمل كذلك مقرونة بالفاء وذلك كقول المعري على شرح ديوان المتنبي كما ان الغمام يسمح ماؤه بطبعه دون ان يبعث اليه باعث ولا يقدر احد ان يحبس مطره فكذلك هذا الرجل لا يمكنه ان يمتنع عن العطاء لان الله تعالى فطره على ذلك وقال في المثل السائر فكما ان مجاهدة النفس عن هواها قتال بغير

نيف فكذلك قطعها عن هواها ذبح بغير سكين وقد كررها على هذا النسق اكثر من خمسين مرة فان اصر ابن البازجي على تخطئة جميع هولاء الائمة اوردنا له ما افاده الصبان فى شرحه قول الشيخ الملوى فى السلم فكما ان نسبة النحو للسان كونه يعصمه عن الخطأ كذلك نسبة المنطق للجنان كونه يعصمه عن ذلك قال يظهرلى فى مثل هذا التركيب انه يحتمل ان تكون ما نكرة تامة وقوله ان نسبة بدل اوعطف بيان وان تكون زائدة وعلى كل يقدر ان قبل قوله نسبة المنطق الخ وان تكون مصدرية صلتها محذوفة لان الحرف المصدرى لا يدخل على مثله والتقدير فكما ثبت ان الخ وعلى هذا يقدر ثبت ان قبل قوله نسبة المنطق والاولان اقل تكلفا وقوله كذلك تاكيد للتشبيه السابق اه فاعرض ايها المتهافت على الاعتراض هذه التراكيب على استاذك صاحب الجنان الذى شهد لك بالشيخة والتمس منه ان يوقفك على معانيها

كن ابن من شئت واكتسب ادبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها انا ذا * ليس الفتى من يقول كان ابى

وكذلك اعترض عليه قوله فى تلك الجوائب لم يكن لى هم سوى فى اظهار معانى الالفاظ فقال ان الصواب فى سوى فكأن استاذه قال له انه ورد فى الاشمونى حديث ما انتم فى سواكم الا كالشعرة البيضاء فى الثور الاسود فاستدل على عدم تقدم سوى على الجار والجواب ان تقدم سوى على فى ورد فى كلام الفصيح قال ابو محجن نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان

فلا النفس ملتها ولا العين تنتهى * اليها سوى فى الطرف عنها فترجع
رأتها فما ترتد عنها سآمة * ترى بدلا منها به النفس تقنع

وذلك من قصيدته التى منها

فيا لك من ليل تمتعت طوله * وهل طائف من نائم متمتع
نعم ان ذا شجو متى يلق شجوه * ولو نائما مستعتب او مودع
له حاجة قد طالما قد اسرها * من الناس فى صدر بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها * يكون لها يوما من الدهر منزع
وقد قرعت فى ام عمرو لى العصا * قديما كما كانت لذى الحلم تقرع

وكان نصيب معاصرا لكثير والاحوص وكان شاعرا فحلا فصيحا مقدما فى النسيب والمديح

والمديح ولم يكن له حظ فى الهجاء وكان عفيفا كذا فى الجزء الاول من كتاب الاغانى لابى الفرج ص ١٤٥

وقال العلم الشهير العلامة النحرير حضرة عزتلو رفاعه بك فى نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز فى العدد الرابع من روضة المدارس

لا يطربون سوى بذكر حبيبهم * ابدا فكل زمانهم افراح

فان زعم البستانى وتلميذه ان هذا لضرورة الشعر قلت لا ضرورة هنا فان الاول كان يمكنه ان يقول فلا النفس ملتها ولا العين تنتهى * اليها بغير الطرف عنها فترجع وكذلك قول رفاعه بك سوى بذكر حبيبهم فقد كان يمكن له ان يقول بغير ذكر حبيبهم وقد اجرى بعضهم غيرا مجرى الا وذلك كقول القطب السيد عبد الرحمن العيدروس

ليت شعرى ولم اقل ليت شعرى * غير من حالة ترى الليث وغدا

ومن الخش ماهذى به وتهوع وتشدق وتبلتع مما دل على ان الصلف قد ذهب ببصره وبصيرته والسفاهة قد جرت كالدم فى جبلته انكاره الواو فى قول صاحب الجوائب ما من شاعر قال شعرا الا واخذ عليه قال والصواب اخذ بترك الواو على مذهب الجمهور ولم يسند هذا القول الى احد وانما هو محض افترآء منه ونقول قال ابو البقاء فى الكليات وقد تزاد الواو بعد الا لتاكيد الحكم المطلوب اثباته اذا كان فى محل الرد والانكار كما فى قوله ما من احد الا وله طمع او حسد وقال صاحب المثل السائر فى ص ٣٢٣ واعلم انه قد حذفت الواو واثبتت فى مواضع فاما اثباتها فنحو قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم واما حذفها فنحو قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو واثباتها فى كل موضع وانما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين ولنبين لك فى ذلك رسما تتبعه فنقول اعلم ان كل اسم نكرة جآء خبره بعد الا يجوز اثبات الواو فى خبره وحذفها كقولك ما رايت رجلا الا وعليه ثياب وان شئت قلت الا عليه ثياب بغير واو فان كان الذى يقع على النكرة ناقصا فلا يكون الا بحذف الواو نحو قولك ما اظن درهما الا هو كافيك ولا يجوز الا وهو كافيك بالواو لان الظن يحتاج الى شيئين فلا يعترض فيه بالواو لانه يصير كالمكتفى من الافعال باسم واحد وكذلك جواب ظننت وكان وان واشباهها فخطأ ان تقول ان رجلا وهو قائم ونحو ذلك

ويجوز هذا فى ليس خاصة تقول ليس احد الا وهو قائم لان الكلام يتوهم تمامه بليس وبحرف نكرة الا ترى انك تقول ليس احد وما من احد فجاز فيها اثبات الواو ولم يجز فى اظن لانك لا تقول ما اظن احدا فاما اصبح وامسى ورأى فان الواو فيهن اسهل لانهن توأم فى حال وكان واظن ونحوهما بنين على النقص الا اذا كانت تامة وكذلك لا فى التنزيه وغيرها نحو لا رجل وما من رجل فيجوز اثبات الواو فيها وحذفها اه فانت ترى ان قول صاحب الجوائب ما من شاعر قال شعرا الا واخذ عليه صحيح فصيح لان شاعر اسم نكرة جاء خبرها بعد الا وقال البوريني عند قول ابن الفارض

ما شممت البشام الا واهدى * لفؤادى تحية من سعاد

قوله الا واهدى اعلم انه قد ترد الجملة الحالية الماضوية بعد اداة الاستثناء ويكون الاستثناء مفرغا ويكون المستثنى منه اعم الاحوال كقوله صلى الله عليه وسلم ما يئس الشيطان من بنى آدم الا واتاهم من قبل النساء ولا يحتاج الفعل الماضى حينئذ الى قد لوقوعه بعد اداة الاستثناء (انتهى) واعلم ان هذه الواو تتقدم الفعل والاسم والحرف فمن امثلة تقدمها على الفعل من النظم قول زهير بن ابى سلمى

نعم امرءا هرم لم تعر نائبة * الا وكان لمرتاع بها وزرا

وقول الحريرى

ولا سيما بفتح مستصعبا * مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودى حين يسمو له * نصر من الله وفتح قريب

وقول ابن الفارض

ما رنحت ريح الصبا شيح الربى * الا واهدى منكم افراحا

وقول البهاء العاملى

ما حل بروضة بهائيكمو * الا وسقى رياضها بالدمع

وقول النواجى

وقلما ابصرته عين ذى ادب * الا وراح بذاك البر مكتفيا

وقول الشيخ حسن بن زين العاملى

ما اومض البرق فى داج من الظلل * الا وهاجت شجونى او نمت عللى

وقول ابن زريق البغدادى من قصيدته المشهورة التى مطلعها لا تعذليه فان العذل

يوجعه

ما آب من سفر الا وازعجه * راى الى سفر بالبين يجمعه

وقول ابى فراس

ولا اشتورت الا واصبح شيخها * ولا احتربت الا وكان فتاها

وقول آخر

ما استكمل المرء من لذاته طرفا * الا واعقبه النقصان من طرف

وقول ابن معتوق

ما اشتاق سمعى ذكر منزل طيبة * الا وهمت بساكنى وديانه

ومن النثر ما جاء فى الحديث الشريف ما بعث الله نبيا الا وامه بعض قومه وفيه ايضا ما منع قوم الزكاة الا وحبس عنهم القطر وفى المثل السائر وما من احد منهم ولو شدا يسيرا من الادب الا ويمكنه ان يولف الفاظا مسجوعة وفيه وهذا المعنى قد تداولته الشعراء حتى انه ما من شاعر الا و ياتى به فى شعره وفيه لم اترك ديوانا لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك الا وعرضته على نظرى وفيه ما من احد الا ويحب ان يتكلم فيه وقال بعضهم ما اعطى الدهر شيا بيمينه الا واستلبه بشماله

ومثال دخولها على الاسم من النظم قول تابط شرا

ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا * به الخطب الا وهو للقصد مبصر

وقول المتنبى

ما شيد الله من مجد لسالفهم * الا ونحن نراه فيهم الآنا

وقول ابن معتوق

ما كان فى الاولى له نظر * الا ومطمحه الى اخرى

ومن النثر ما جاء فى الحديث الشريف ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد وفيه ما فى الجنة من شجرة الا وساقها من ذهب وفيه ما قدر الله من نسمة الا وهى كائنة وفيه ما رايت منظرا قط الا والقبر افظع منه وقول المتنبى * فلم تغض الا والسنان لها كحل * وقال ابو المعترض فى المقامات فما تصرم النهار الا ونحن فى الانبار

ومثال دخولها على الحرف من النظم قول المتنبى

ومن جسدى لم يترك السقم شعرة * فما فوقها الا وفيها له فعل

ويروى الا وفيه على عود الكناية الى ما وقوله

ولا تجاوزها شمس اذا شرقت * الا ومنــه لها اذن بتغريب

وقول ابن هانى الاندلسى

فما برحت الا ومن سلك مدمعى * قلائد فى لباتها وعقود

ومن النثر ما جاء فى الحديث الشريف ما من صلاة الا وفى اثرها ركعتان ما من اصحابى الا وقد كنت قائلا فيه الا ابا عبيدة وفيه ليس من اصحابى احد الا ولو شئت لاخذت عليه ليس ابا الدرداء وهذا الحديث كان سبب قراءة سيبويه النحو فانه لما سمعه قال ليس ابو الدرداء فصاح به حماد لحنت ياسيبويه انما هذا استثناء فقال والله لأطلبن علما لا تلحننى معه ثم مضى ولزم الاخفش وغيره وقال ابوالحسن موسى ابن جعفر فيما كتب به الى الرشيد ما من شى تراه عينك الا وفيه موعظة ومن هنا تعلم ان قول المعترض على مذهب الجمهور كذب ومين وافتراء وزور فمن لم يخزه هذا فما شى بمخزيه ولكن ربك الحق على الباطل يجزيه

تشبه فى النحو بالاخفشين فجاء باعجوبة مطرفه

فان لم يكن اخفش الناظرين فان الفتى اخفش المعرفه

ثم ان محرر الجوائب كان نظم قصيدة طويلة فى وقائع الحرب الاخيرة التى جرت ما بين فرنسا والمانيا ومن جملتها قوله

فهذى جيوشى وهو فيها محكم * رئيس عليها آمر امر مزيال

فاعترض على لفظة المزيال وقال انها غير مطابقة للمعنى وهو محض ضلال وخبال قال فى القاموس والمزيل كمنبر ومحراب الرجل الكيس اللطيف ولا يخفى ان الكيس بمعنى العاقل الفطن ومنه الحديث هذا من كيس ابى هريرة اى من فقهه وفطنته فاى معنى اصح من قوله انه رئيس عليها آمر امر عاقل لبيب فطن وقال بعض شراح ديوان المتنبى عند قوله

ان دون التى على الدرب والاحدب والنهر مخلطا مزيالا

الاحدب اسم الجبل الذى عليه قلعة الحدث والمخلط من الرجال من يخالط الحرب والمزيال الرجل الداهية لا يعرف كيف يدخل فى الامر ولا كيف يخرج منه وقال العكبرى وفلان مخلط مزيال اى موصوف بالشجاعة وجودة الراى وقد وصفوا به الفرس اذا طلب الخيل الغارة خالطها واذا طلبته وجدته مزيالا لاتلحقه ثم اعترض على قوله

واكثرهم

واكثرهم صخبا وشغبا واحنة * غرامون شيخ ذو هياج وتصهال

فقال انه لم يسمع ذو تصهال يعني انه لم يسمع هذه اللفظة من استاذه صاحب الجنان والا فهي مسموعة من العرب قال الحارث بن حلزة اليشكري

من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

وقال المتنبي

وان تكن محكمات الشكل تمنعني * ظهور جرى فلي فيهن تصهال

قال الشارح جعل التصهال مثلا لثنائه على الممدوح وكان فاتك هذا الممدوح ينطوى على بغض كافور ومعاداته وكان ابو الطيب يحبه ويميل اليه ولا يمكنه اظهار ذلك خوفا من الاسود فقول صاحب الجوائب ذو تصهال كقول المتنبي لي تصهال

واعترض ايضا على قوله صخبا فقال ان الوزن يقتضي اسكان خائه واللغة تقتضي تحريكها اقول هذا اضر ما مربه لان الصخب هو رأس ماله فهو لا يريد تسكينه وتسكينه هنا للازدواج كما اشرنا اليه في الكلام على احكام الفاصلة وذلك عند قول العتبي وشمل الهرج والمرج وعم الاضطراب والهيج فقال الشارح الهيج ساكن والظاهر ان المصنف استعمله هنا محركا لازدواجه مع المرج الذي الاصل فيه التحريك وقد جمع ابن مقبل الابواب على ابوبة في قوله هتاك اخبية ولاج ابوبة للازدواج ومن هذا القبيل قولهم فعل به ماساءه وناءه وجعل منه الحريري هنأني الشيء ومرأني وهو رجس نجس وقد نوزع فيه فقد حكى ابن بري عن بعض اهل اللغة ان مرأني وامرأني لغتان فاما رجس نجس فقالوا ان كل اسم على وزن كتف يجوز فيه جوازا مطردا فتح اوله وكسر ثانيه على الاصل وتسكين عينه مع فتحة فائه وكسر اوله مع سكون ثانيه فان كانت عينه حرف حلق كفخذ ففيه لغة رابعة وهي اتباع الفاء لحركة العين لقوتها كما في شرح درة الغواص للشهاب الخفاجي ولعمري ان تسكين الخاء من الصخب الطف على السمع من قول ابي المعترض

اليك اشكو اشتياقي فارعني سمعك * بمن على كرم الاخلاق قد طبعك

وقوله ايضا * ان يحسن القول لم يحسن له سمع * فتحريك الميم في السمع من اعظم ما يثقل عليه وقوله ايضا

اعجزتني عن حصرها * فاضعت فذلكة الرقم

حرك القاف من الرقم وهو قبيح جدا فان الرقم بالتحريك الداهية ونبت كما في القاموس

وفى المصباح رقمت الثوب رقما من باب قتل وشيته فهو مرقوم ورقمت الكتاب كتبته فهو مرقوم ورقيم ومثل ذلك فى كلامه كثير

ثم اعترض عليه قوله

ويا يوم فلوا فى بروت وادبروا * شماطيط فلا عز عن كل منوال

فقال ان قوله عز عن كل منوال لا معنى له فكانه نظر الى اصل معنى المنوال وهو الخشبة التى يلف عليها الحائك الثوب ولم يسوغ التوسع فيها فان جميع المولفين استعملوها بمعنى الوجه والنوع يقولون اصنعه على هذا المنوال والى ذلك تشير عبارة الصحاح حيث قال ويقال لا ادرى على اى منوال هو اى على اى وجه هو وقال فى القاموس فى ن و ع المنواع المنوال قال الشارح قال ابو عدنان قال لى اعرابى فى شئ سالته عنه ما ادرى على اى منواع هو هكذا اورده الصاغانى وانا اقول انه بمعنى النوع كقولك ما ادرى على اى نوع هو اى اى وجه

ثم اعترض على قوله

وسار الى حصن يسمى بفردن * يظن به امنا وارجاه افشال

فقال ان افشل الرباعى لا ياتى بمعنى الثلاثى والجواب ان الافشال هنا يصح ان يكون جمع فشل كفرح وافراح ويصح ان يكون مصدر افشل وعلى كل فالمعنى صحيح لمن خلا عن الزيغ والعناد ولكن من لم يهده الله فما له من هاد

ثم اعترض على قوله

واكثر من هذا ابادتهم الوغى * وذلك من بعد اقتحام وقيتال

فقال ولا يخفى ما فى قوله قيتال من الكراهة والغرابة والجواب ان الكلمة الغريبة هى الوحشية التى ينفر منها السمع او كما قال بعضهم ان تكون وحشية لا يظهر معناها فيحتاج فى معرفتها الى ان ينقر عنها فى كتب اللغة المبسوطة كما روى عن عيسى بن عمر النحوى انه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال ما بالكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جنة افرنقعوا عنى اى اجتمعتم وتنحوا او يخرج لها وجه بعيد كما فى قول العجاج وفاحما ومرسنا مسرجا فانه لم يعرف ما اراد بقوله مسرجا حتى اختلف فى تخريجه فقيل هو من قولهم للسيوف سريجية منسوبة الى قين يقال له سريج يريد انه فى الاستواء والدقة كالسيف السريجى وقيل من السراج يريد انه فى البريق كالسراج ولا يخفى ان كلمة قيتال ليست من هذا القبيل فاذا اراد ان يعرف

مثالا

مثالا للفظ الذى فيه غرابة وكراهة قلت له هى لفظة الزهز التى اوردها ابوه فى قوله

هذا الذى تعد الام البنين به * منذ الولادة قبل الزهز فى السرر

واعود فاقول كما قلت مرارا عديدة ان السكوت ستر للغبى من الفضائح وهو كحجاب يستر ما به من القبائح

ثم اعترض على قوله

وقد حصلا فى كف جرمانيا معا * كمثل لجام للفرنسيس تلال

فقال الاظهر انه يريد بقوله تلال ان يكون فعالا من قولهم اتل الدابة اذا ارتبطها وقادها جعله صفة للجام ولا يجوز ان يقال افعل فهو فعال والجواب ان تلال هنا صيغة مبالغة من تله اى صرعه وهو مجاز فالمماحكة فى هذا انكار للمجاز راسا والمجاز عند اهل المعانى عقلى وهو اسناد الفعل او اسناد ما فى معناه الى غير ما هوله وله ملابسات شتى فيلابس الزمان والمكان لوقوعه فيهما والمفعول لوقوعه عليه والسبب عاديا او عقليا او شرعيا ومن امثلته نهاره صائم فيما بنى للفاعل واسند الى الزمان مجازا والاصل هو صائم نهاره وعيشة راضية والاصل هو راض عيشته وسالت الاباطح والاصل سال الماء فى الاباطح واخرجت الارض اثقالها فيما اسند للمفعول بواسطة من والاصل اخرج الله من الارض اثقالها وانبت الربيع البقل فيما اسند للسبب العادى فان المنبت حقيقة هو الله تعالى وبنى الامير المدينة فيما اسند للسبب الآمر فان البانى حقيقة هم العملة وكذا شد اللجام الحمار فانه كانبت الربيع البقل اذ الاصل شد الانسان الحمار باللجام او انه هنا مجاز مرسل والعلاقة الآلية وهو ايضا كقولنا نشر المنشار او كتب القلم او فتح المفتاح وغيره من الاوجه الصحيحة وعندى ان الاعتبار الثانى اوجه فترى من هنا انه لشدة ما بالمعترض من الزيغ المبين والضلال المكين انكر حقيقة المجاز

ثم اعترض على قوله

فان جيوش الامبراطور اعتقت * من الاسر بعد الصلح من دون اقلال

فقال لا معنى لقوله من دون اقلال فى هذا الموضع ولكن ساقته القافية والجواب ان المعنى هنا اظهر من الصبح فان مراده ان عساكر الامبراطور قد اعتقت من الاسر من دون نقص ولا اقلال فاى حشو فى هذا

ثم اعترض عليه قوله

وَمن عوز القوت الذى سد بابه * عليهم معادوهم ولا سد ادحال

فقال ان الادحال هنا لا معنى له لانه لا يوصف بالسد واقول ان الادحال جمع دحل بالفتح وبضم وهو نقب ضيق فمه متسع اسفله اوخرق فى بيوت الاعراب يجعل لتدخله المراة اذا دخل داخل ومعلوم ان كلا من النقب والخرق يوصف بالسد كما يوصف بالفتح ومعنى البيت ان اعدآهم سدوا عليهم باب القوت ابلغ من سد الادحال ثم اعترض عليه قوله

وقام بامر الجمهورية ناهضا * تيار ومعه اهل شورى وانقال

فان الوزن ينكسر بالواو فى الجمهورية والجواب ان الناظم قال قبل هذا البيت

وان صلاحى دولة جمهرية * تسدد اعمالى وتنجح احوالى

فلا بد اذا من ان نحكم بانه اراد فى البيت الثانى ما اراد فى البيت الاول وانما زاد فيها جاعوا الحروف واوا اعنول القتهم بلفظ الجمهورية وهنا ملاحظة وهى ان محرر الجوائب قد اودع فى هذه الصحيفة وفى كتاب الساق على الساق وفى كنف المخبا من اشعاره الفائقة وقصائده الرائقة ما يكاد يكون ديوانا ولم نر له فيها زحافا ولاسنادا فكيف غرب ذلك عنه فى لفظ الجمهورية فان ابى المعترض الا المماحكة على عادته شارطناه على ان النسخة التى سلها للحماعين لم يكن فيها لفظ الجمهورية فان قال انه كان يلزمه اصلاحها قلنا له بالموجب انه كان يجب على ابيه اصلاح ما وقع فى ديوانه ومقاماته من اللحن القبيح الذى لا يخفى على ادنى طلبة العلم فكيف بمن فاخر الحريرى وابن مالك وفى الجملة فان هذه القصيدة التى نظمها صاحب الجوائب فى الحرب فى غاية الجزالة والانسجام فما يعترض عليها الا من غس فى الضلاله ومقس فى الرذاله ولولا خوف الاطالة لاوردناها هنا برمتها وها اضربنا عن مجاراة المعترض فى مماحكات اخرى فان الكلام عليها لاطايل تحته وان هو الا اضاعة للوقت فحسبنا هذا القدر

واعلم ايها القارى اللبيب ان الخواجه ابراهيم اليازجى الذى نال المشيخة فى اللغة العربية فى هذا العصر الذى هو عصر الاعاجيب من معلمه المعلم بطرس البستانى صاحب الجنان لما رد على صاحب الجوائب اول مرة ارتكب بعض اغلاط قبيحة ابانت عن جهله وجهل معلمه معا فبينها له صاحب الجوائب وقد كان ينبغى له ان لا يجاوبه ولا يخاطبه اصلا وهذا رأى جميع العلماء فقد قيل ما جواب السفيه الا السكوت

فمن هذه الاغلاط قوله المظنة ضبطها بفتح الظاء وهي بالكسر وما كفاه انه غلط فيها حتى اعتذر عنها في الرد الثاني بقوله وعلى فرض اني علقت هذه الحركات بيدي ورآها بخط قلمي فاي غلط جسيم ارتكبته فاقول له بالموجب واي غلط جسيم رأيته بعينك التي تنظر القذى في عين اخيك وتعمى عن الذي هو فيها في حركة كهلا افلا تخجلون من هذا الاعتذار واذا كانت الحركة لا تضر ولا تنفع فاي حاجة الى كتب اللغة يامهذار

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما * اذعبت منهم امورا انت ناتيها

كمن كسا الناس من عرى وعورته * للناس بادية ما ان يواريها

واقبح من هذا اعتذاره عن شكل الذمة والذمم بالضم اذ حقهما الكسر كما لا يخفى فانه هنا حاول ان يجعل ذلك قاعدة مطردة في كل ما كان مكسور الاول واورد عليه شاهدا لفظة الصور والحلى فاقول قد قالت العلماء انه لم يات مثل حلية وحلى وحلى اى بالضم والكسر الا قولهم لحية ولحى ولحى وجزية وجزى وجزى وجذوة وجذى وجذى والجذوة مثلثة القبسة من النار وبذة وبذى وبذى وبغية وبغى وبغى ومرية ومرى ومرى وفي هذه نظر ومدية ومدى ومدى الى غير ذلك مما حصروه في الفاظ معدودة اما الصور فقال الاشموني على قول ابن مالك وقد يجي جمعه على فعل قال في شرح الكافية وقد ينوب فعل عن فعل فالاول كحلية وحلى ولحية ولحى والثاني كصورة وصور وقوة وقوى قال الصبان قوله وقد ينوب فعل عن فعل قال الفارضي ولعل هذا خاص بما لامه ياء او واو اه فانت ترى ان الذمم ليست من هذا الباب فلا يجوز فيها الا الكسر لتطابق المفرد كما انه لا يجوز في الدرر الا الضم لتطابق المفرد ومن راى خلاف ذلك فقد انتهك حرمة اللغة واستحق ان يصفع على قذاله بالبلغه ولعل هذا الوهم اى انه يجوز الضم والكسر في كل لفظة على وزن فعلة هو الذي سول لابي المعترض ان يقول حبر وعبر بالضم فهذا الخطأ انتقل الى المعترض بالارث وليس هذا باعجب من سكوت صاحب الجنان محب وطنه عن هذا الخنث

ثم تنصل من غلطه في قوله وشهد الله اني لم اكن اتوقع مذ اليوم الخ لان صاحب الجوائب خطأه في قوله مذ اليوم وقال ينبغي ان يقال الى اليوم كما هو ظاهر فاستشهد ابراهيم بقول القاموس مستدلا به على صحة كلامه فالظاهر انه لم يفهم عبارة

القاموس اذ لو فهمها لما استشهد بها لانها تكذبه فلنورد له بعضا من نصوص الائمة ليتبين له معنى عبارة القاموس فاقول قال ابن عقيل عند قول ابن مالك

ومذ ومنذ اسمان حيث رفعا * او اوليا الفعل كجئت مذ دعا
وان يجرا فى مضى فكمن * هما وفى الحضور معنى فى استبن

فقال اى تستعمل مذ ومنذ اسمين اذا وقع بعدهما الاسم مرفوعا او وقع بعدهما فعل فمثال الاول ما رايته مذ يوم الجمعة اومذ شهرنا فمذ اسم مبتدا ( وهذه العبارة هى مثل عبارة القاموس سوآء ) ( والمسوغ مذ ومنذ مع كونهما نكرة ومع كون الخبر معرفة نحو مذ يوم الجمعة النظر للتعريف المعنوى لان نحو مذ يوم الجمعة معناه مدة عدم الرؤية يوم الجمعة ) وخبره ما بعده وكذلك منذ فلو خرجت عبارة ابراهيم على هذا الوجه لجاءت فاسدة لان تقديرها على هذا الوجه مدة عدم توقعه اليوم ولا معنى له لان مراده ان يقول انه لم يترقع الى هذا اليوم ولنرجع الى كلام ابن عقيل فنقول قال وجوز بعضهم ان يكونا خبرين لما بعدهما ومثال الثانى جئت مذ دعا فمذ اسم منصوب المحل على الظرفية والعامل فيه جئت وان وقع ما بعدهما مجرورا فهما حرفا جر بمعنى من ان كان المجرور ماضيا نحو ما رايته مذ يوم الجمعة وبمعنى فى ان كان حاضرا نحو ما رايته مذ يومنا اى فى يومنا انتهى وكل هذه المعانى لاتطابق قول ابراهيم لانك لوقلت ان مذ فى كلامه بمعنى من او فى لفسد كلامه ولنورد ما قاله الاشمونى فى هذا المعنى لزيادة التقرير قال على قول ابن مالك ان مذ ومنذ هما اسمان حيث رفعا اسما مفردا او اوليا جملة كما اذا اوليا الفعل مع فاعله وهو الغالب ولهذا اقتصر على ذكره او المبتدا مع خبره فالاول نحو ما رايته مذ يومان اومنذ يوم الجمعة وهما حينئذ مبتدآن وما بعدهما خبر ( وقوله هذا كقول صاحب القاموس ) والتقدير امد انقطاع الرؤية يومان واول امد انقطاع الرؤية يوم الجمعة وان جرا فهما حرف جر ثم ان كان ذلك فى مضى فكمن هما فى المعنى نحو ما رأيته مذ يوم الجمعة ومنذ يوم الجمعة وفى الحضور معنى فى استبن بهما نحو ما رأيته مذ يومنا اى فى يومنا هذا مع المعرفة كما رأيت فان كان المجرور بهما نكرة كانا بمعنى من والى معا كما فى المعدود نحو ما رايته مذ اومنذ يومين ومعناه ما رأيته من ابتداء هذه المدة الى انتهائها انتهى ملخصا فيتضح من هنا ان عبارة ابراهيم فاسدة لان قوله لم اكن اتوقع يدل على طول الامد فى الماضى وقوله مذ اليوم يدل على حد ابتدائه وهو خلف

ومثل

ومثل هذا التعبير لا ينطق به عجمي فضلا عن عربي ولا يجوز فى لغة من اللغات اللهم الا اذا كان صاحب الجنان قد اجازه وعده من جملة مخترعاته وكذلك لا يصح ان يقال طالما توقعت مذ اليوم فتبين من هذا ان ابراهيم لا يفهم معنى ما اورده لانه يريد ان يقول ان اعتقاده بحسن نية محرر الجوائب كان ثابتا منذ زمان فلم يكن يتوقع منه خلافه الى هذا اليوم فلا يصح التعبير هنا الا بالى فانت ترى ايها المطالع صحة ماقررناه سابقا وهو ان ابراهيم بعد ان يتورط فى الخطا يردف ذلك بالسفاهة الزقاقية فانه نسب تخطئة صاحب الجوائب الى سوء الفهم بل هو من سوء فهمه للنصوص لامحالة انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور

ثم تنصل ايضا من قوله حفظه له زمنا ينيف عن ستين سنة لان صاحب الجوائب قال ان اناف يتعدى بعلى قال فى القاموس واناف على الشى اشرف واناف عليه زاد كنيف وقال فى الصحاح ونيف فلان على السبعين اى زاد واناف على الشى اى اشرف وانافت الدراهم على المائة اى زادت وقال فى المصباح وانافت الدراهم على المائة زادت قال * وردت براية رأسها على كل راية نيف * وهنا اخذ ابراهيم يتشدق ويتمطق ليخفى على الناس غلطه فانه قال ان عن تاتى لمعنى الاستعلاء نحو انى احببت حب الخير عن ذكر ربى فاقول هذا التاويل غريب ممن لم يجوز مبادلة الحروف وجزم بان سول اليه غلط فالظاهر انه يريد ان يتصرف فى اللغة لتبرئة نفسه وتخطئة غيره لاغير فنعوذ بالله ممن طغيانه يوصله الى هذه الحالة وربقه فى هذه الضلالة اغلا الحديد بارضكم ام ليس يضبطك الحديد ثم اقول ايضا نعم ان عن قد تاتى للاستعلاء وعليه تحمل اقوال البلغاء الا انه ليس شائعا كمعناها الاصلى الذى هو المجاوزة ولذا ترى العلماء يؤولون مثل هذه الآيات قال بعضهم فى قوله تعالى فانما يبخل عن نفسه تحتمل التضمين اى فانما يبعد الخير عن نفسه بالبخل وقالوا فى انى احببت حب الخير عن ذكر ربى اى قدمته عليه وحب الخير المراد به الخيل والذكر صلاة العصر حتى غربت الشمس وهو مشغول بالخيل وقوله قدمته عليه تفسير لقوله احببت حب الخير الخ اى قدمت حب الخير عن ذكر ربى وهذا فيه تضمين حب معنى الايثار والتقديم وجعل عن بمعنى على وهو بعيد وقيل ان الآية على بابها اى للمجاوزة لا للاستعلاء وتعلقها بحال محذوفة اى منصرفا عن ذكر ربى وحكى الرمانى عن ابى عبيدة ان احببت من

احب البعير احبابا اذا برك فلم يثر ( اى ولم يقم ) فعن متعلقة باعتبار معناه التضمنى وهى على حقيقتها اى انى تثبطت عن ذكر ربى وعلى هذا فحب الخير مفعول لاجله فمن هنا ترى ان الاقرب ان عن فى هذه الآية على حقيقتها اى للمجاوزة لا للاستعلاء وان ما يوهم خلاف الظاهر هو من باب التضمين وان اناف تتعدى بعلى كما نصت عليه أئمة اللغة وكذلك اربى تقول اربى على الخمسين اى زاد عليها وهى مثل اناف فى المأخذ فان اربى ماخوذ من الربوة واناف من النوف وهو الطول والارتفاع وفى معنى اربى ارمى بالميم وكذلك زاد فانها تتعدى بالباء وكذا كل ما تضمن الاستعلاء نحو فاق وعلا وسما وبرع وابر

ثم تمحل ايضا لتصحيح قوله كما اشار من دون العائد الى ما فان حقه كما اشار اليه كما قال صاحب الجوائب فاعتذر عن ذلك بان قال ان مرادى فى العبارة مجرد الاشارة فقط دون قصد المشار اليه بها فاقول كيف تتاتى الاشارة بدون مشار اليه وهى نسبة بين المشير والمشار اليه كما ان التنبيه نسبة بين المنبه والمنبه عليه فحذف المتعلق الذى هو اليه مخل اذ يكون حل كلامه ان غلط الوهم لا يخلو منه احد كالاشارة ولا يخفى ان هذا الكلام خال من المعنى ولنضرب هنا صفحا عن سفاهته التى جاء بها بعد هذا التمحل ولنكله الى خناسه الذى يؤزه ويزدهيه ويستفزه

وقبل ختمنا هذه الرسالة يجب ان نشكر هذا الشيخ الجديد على انه لم يرد ان يوهن جسمه اللطيف فى انتقاد الجوائب كما فهم من عبارته حيث قال وانى فى كل ذلك لم اتعرض لعبارة الجوائب على ما فيها من الخلل الفاضح لاحتمال ان يعتذر فيها بالعجلة يعنى انه بين خطأ كتاب الساق على الساق وسر الليال وشعر صاحب الجوائب تبيينا يغنيه عن تبيين غلط الجوائب ولكن اذا كانت العجلة عذرا فلم لم يعف عن كتاب الساق على الساق فان المؤلف الفه فى ثلثة اشهر كما اشار اليه فى القصيدة التى صدره بها حيث قال

لكن تولد فى ٣ اشهر * وحبا على عجل وشب لطيفا

اما تخطئته الجوائب فاجيبه عنها بما قاله شاعر تونس حين ثارت المناقشة بين الجوائب وبرجيس باريس وقد نشر فى مطبعة تلك المملكة وهو

يا نابحا بدر الجوائب انما * فى نوره نكست ظلك ناجبا

يا اقرعا

يا اقرعا تستن فى مضمار من * قادت جوائبه الفنون جنائبا
يا غائبا لا زلت ذا غبن بلا * عين فكيف زعمت نفسك عائبا
لا تحسبن جميع ما تاتى به * الا سرابا فى المجاهل ساربا
وهم بخيل وليس يشغل حيزا * اراه يزحم ويك بحرا زاعبا
كاد اتهافت ان يخيلك هازئا * وهوى النجى ان يحيلك كاعبا
تعسا لجدك اى طوق معرة * طوقته يلوى بليتك ساحبا
فغدوت من كل الجوانب لاقيا * خزيا ومنتظرا عذابا واصبا
لا تحسب الامهال عن بقيا فما * امهلت الا كى تزيد مثالبا
ولسوف توثبك الجراءة فينة * وثب الفراش لان تصادف ثاقبا

وقال آخر وهو ايضا من شعراء تونس المفلقين

لقد طاب فى الآفاق نشر الجوائب * فخفت بشكر من جميع الجوانب
وخصت باقبال من الناس كلهم * لما اودعته من فنون الغرائب
احاطت باخبار الزمان كأنها * قبول الليالى الوالدات العجائب
سبتنا بمغناطيس لفظ مهذب * بليغ حديدات البصائر جاذب
فوائدها عمت وخصت فلن ترى * اخا مسكة فى طرسها غير راغب
ولا غرو ان كانت حقيبة فارس * بها خير ما يلفى بطى الحقائب
وقادت بارسان البراهين من غدا * عن الحق والانصاف ينأى بجانب
وذادت عن الاسلام حتى تشدقوا * بلغو هراء للمعرة جالب
فكانوا كمن اضحى ينق ريشة * يروم بها نحت الجبال الشناخب
وكالواضع النبت الغثاء بكفه * لصيد طيور فى السماء نواعب
فكم هزمت جند الضلال وحققت * لنا ان للكتاب فعل الكتائب
وكم رجمت ضدا يروم كفاحها * بشهب ردود محرقات ثواقب
ولكن لا كثار الملاعن انظروا * وذا لسوى الشيطان غير مناسب
فقدك ابا العباس انفاذ من عسى * يزيغ بترويج الجهول المشاغب
شهرت بهاتيك الصحيفة صارما * رددت به دعوى غبى وكاذب
وغايرت ما بين التمدن والهدى * وشتان ما بين الثرى والكواكب
الى ان قال وهذا لعمرى واضح ومشاهد * وليس بيان الواضحات بواجب

لا جرم ان الذين مدحوا الجوائب اكثر من الذين قرظوا سر الليال فان جمعية المعارف المصرية وكانت مؤلفة من الف شخص من بين عالم مشهور وفاضل مذكور وامير ومامور قد اتفقت على مدحها فى تاج العروس فى شرح القاموس عند ذكر لفظة الجوائب فى مادة ج و ب وهذا نص عبارتها وبالجوائب سمى الفاضل الاديب احمد فارس صحائفه التى ينشرها الى الآفاق وناهيك بها من سفط درر نكات ولطائف تقر بحسنها عين كل كامل عارف وهى فى عصرنا انفع صحف الوقائع تستحسنها النواظر وتستلذ بها المسامع اه كيف لا وقد جاء محررها فيها بفنون من الكلام عجيبه واساليب من البيان غريبه وناهيك تلك المقالة التى التزم فيها الترصيع من اولها الى آخرها اولها من الناس من تخلج فكره من فنون الاقتراح خوالج وتلعج صدره من شجون الاجتراح لواعج وعلى ذكر الترصيع يحسن هنا ان اقول ان صاحب الجوائب استشهد لهذا النوع من القرآن بقوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم غيران صاحب المثل السائر على امامته فى علم البيان انكر وجوده فى القرآن وهذا نص كلامه وهذا لا يوجد فى كتاب الله لما هو عليه من زيادة التكلف فاما قول من ذهب الى ان فى كتاب الله منه شيا ومثله بقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فليس الامر كما وقع له فان لفظة لفى قد وردت فى الفقرتين معا وهذا يخالف شرط الترصيع الذى شرطناه لكنه قريب منه اه وهو غريب بل العجم ايضا اقروا بتفضيل الجوائب على جميع الصحف وناهيك ما كتبه فى هذه الايام صاحب الجرنان المسمى بمال مال كازت وهو من اشهر صحف لندرة وذلك حين ترجم المقالة التى حررها صاحب الجوائب فى مصر وبلاد الحبشة وهذا نص كلامه باللغة الانكليزية

The Djawaib by far the best Arabic paper in the East .

وتعريبه الجوائب افضل صحيفة عربية فى الشرق بمراحل فهل يرجو صاحب الجنان ان يرى اسم صحيفته مذكورا بالمدح من احد من العلماء كلا انها لصحيفة مستكرة وومة مستقذرة لا تاتى من الاخبار الا بما يسوء وبالخزى يبوء وذلك كقوله ان مامورية الضابطين فى البلاد المصرية لا تسمح لاى كان من تبعة الدولة العلية ان يدخل مصر الا ويغرم غرامات جسيمة فهذا صريح فى انه يريد ان يلقى الفتنة بين الحكومة الخديوية والباب العالى وكقوله ايضا قد صدر امر فى الاسبوع الماضى

بجمع

بجمع قرض من الاهالى الى ان قال ان هذا نافع لقيام المصالح الميرية لا يأتى الاهالى بمنفعة وكقوله ان مولانا السلطان قال انه وعد عاهل فرنسا بالمساعدة فى قيام الحرب على روسية وانه يقدم لنجدته العمارة البحرية الهمايونية وعندما سمع ذلك سفير دولة روسية طلب ايضاحا عن ذلك وكقوله فى عزل المامورين واستبدالهم بغيرهم ما الفائدة من عزل الفاسد واقامة رجل مثله اذا لم نقل دونه وغير ذلك مما يطول ايراده ويمل انتقاده فهل يقبس احد الجنان بالجوائب او مقامات ابى ابراهيم هذا البذئ بما انشأه صاحب الجوائب من الفصول المسجعة والمقالات المبتدعة التى شهد لمؤلفها علماء العصر بالسبق والبراعة وناهيك ما قاله العلامة الاستاذ المحقق الشيخ عبد الهادى نجا الابيارى فى كتابه النجم الثاقب صاحب الجوائب هذا هو فارس البلاغه وغارس ادواح البراعة التى لم يبلغ احد فيها بلاغه ذو الفكرة التى تظل كواكبها فى افلاك المعارف ساريه والقريحة التى تتوقد بالمعانى وما ادراك ماهيه نار حاميه ساحب اذيال الفخار فى الآفاق وصاحب كتاب الساق على الساق (الى ان قال) له النظم الذى تهتز له المناكب وتغار لرونقه غرر الكواكب والمعانى التى تترفع عن كل معانى وتطرب بها الافئدة والالباب طربها بالمثالث والمثانى اه ولنختم كلامنا هنا بما قاله العلم الشهير العلامة النحرير عزتلو رفاعه بك فى الرسالة التى سماها القول السديد فى الاجتهاد والتجديد مما طبع فى روضة المدارس فى صفحة ٢١ فى فصل عنوانه بيان من كان فريدا فى فنه وهذا نص عبارته

ذكر بعضهم من كان فريدا فى فنه فقال انفرد ابو بكر رضى الله عنه فى الانساب وفى القوة بامر الله عمر بن الخطاب وعثمان فى الحيا وعلى فى القضا وابى بن كعب فى القراءه وزيد فى الفرائض شيد الله ثناه وابو عبيدة بن الجراح فى الامانة شهير وابن عباس رضى الله عنه فى التفسير وابو ذر فى صدق اللهجة عمر رباعه وخالد بن الوليد فى الشجاعه والحسن البصرى فى التذكير ووهب بن منبه فى القصص وابن سيرين فى التعبير ونافع فى قراءته وابو حنيفة فى فقهه وروايته وابن اسحاق فى المغازى ومقاتل فى التاويل وبالعروض انفرد الخليل وفضيل بن عياض فى العباده وسيبويه فى النحو اطلق جياده ومالك فى العلم فاز بالسير الحثيث والشافعى فى فقه الحديث وابو عبيدة فى الغريب وعلى ابن المدائنى فى العلل نعم المجيب ويحيى بن معين فى الرجال وابو تمام فى الشعر من الابطال واحمد بن حنبل فى السنه والبخارى

فى نقل الصحيح شيد الله ركنه والجنيد فى التصوف مشهور ومحمد بن زكريا فى الطب صادفه السرور وابو معشر فى النجوم والكرمانى فى التعبير بلا وجوم وابن نباته فى الخطب الفاخره وابو الفرج الاصبهانى فى المحاضره وابو القاسم الطبرانى بالعوالى يفاخر وابن حزم فى الظاهر والحريرى فى مقاماته والمتنبى فى الشعر صاحب السمعه والصولى فى الشطرنج شاه الرقعه والخطيب البغدادى فى سرعة القراءة والضبط وعلى ابن هلال فى الخط والموصلى فى القضا وعطاء السلمى فى لحوق الرضا والقاضى الفاضل فى الانشا والاصمعى حلل النوادر قد وشى ومعبد فى الغنا وابن سينا للفلسفة جنى انتهى وجمعه غير حاصر فلم يذكر مثل شهرة القاموس بالمغه ولا مثل شهرة سراج الدين بن الملقن بكثرة التصانيف البالغه ولا العراقى بدراية الحديث وسكت عن كثير ممن انتهت اليهم الرئاسة بالانفراد بامر فى القديم والحديث ولو كان فى عهده فارس الجوائب صاحب سر الليال لحكم له بانه فى احياء مآثر العرب بهذا العصر مقدم الرجال وعلى كل حال فارباب المعارف يستفيد بالمعاوضة فى الفنون بعضهم من بعض

تم طبع الكتاب بحمد الله الوهاب فى اواخر شهر رمضان المبارك من سنة ١٢٨٩ فى مطبعة الجوائب بالاستانة العلية على ذمة سليم افندى فارس مدير الجوائب

## ﴿ تنبيه ﴾

المرجو ممن يشترى نسخة من هذا الكتاب ان لايجلدها من قبل الحصول على التقاريظ التى ستلحق به وله ان ياخذها مجانا من المحل الذى اشترى منه الكتاب

## بيان ما وقع فى هذا الكتاب من الغلط

| صحيفه | سطر | خطا | صواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٢ | ٣ | كيدهم | كيد اضدادهم |
| ٤ | ١٩ | انتى | التى |
| ٦ | ٠٧ | يمير | يميز |
| ٧ | ١٧ | ائناس | النـاس |
| ٨ | ٠١ | جوغ | جوع |
| ٨ | ١٥ | نخطئة | تخطئة |
| ١١ | ١٦ | وكف | وكيف |
| ٢٠ | ٢١ | قغـاية | فغـاية |
| ٢٣ | ٢٢ | فبفيت | فبقيت |
| ٢٤ | ٠٥ | وقبضت | فقبضت |
| ٢٤ | ٠٦ | حوشى | حواشى |
| ٣٠ | ١٧ | الواحب | الواجب |
| ٣٢ | ١٤ | واغرب | واغرب |
| « | « | تجويزة | تجويزه |
| « | ١٨ | نسبى | نسى |
| « | ٢٢ | العصير | العصر |
| « | ٢٥ | الخطب | الحطب |
| ٣٣ | ٠٤ | يجوز | يجوز |
| ٣٧ | ١١ | بقيد | يقيد |
| ٤٠ | ١٣ | عد | عن |
| ٤١ | ٣٦ | لم اكن اليوم | لم اكن اتوقع |
| ٤٨ | ٢٢ | قيقتله | فيقتله |
| ٥١ | ١٣ | صمـائر | ضمـائر |

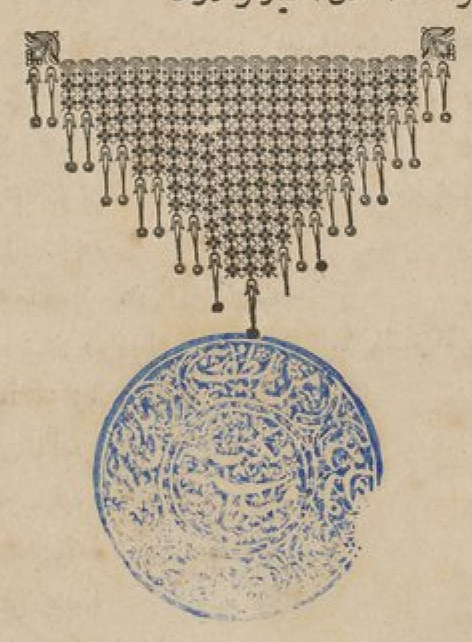
| صحيفة | سطر | خطـا | صواب |
|---|---|---|---|
| ٥٢ | ١٦ | الدحى | الدجى |
| ٥٣ | ١٧ | اللطف كاس | الطف كاس |
| ٥٧ | ٢٣ | متنبى | متنبي |
| ٦٠ | ٠٤ | حدثتنا | حدثتنا |
| ٦٥ | ٢٥ | لفظة محمد ينبغى ان تكون فى اول السطر الذى بعده | |
| ٦٦ | ١٦ | اخيـارها | اخبـارها |
| ١٠٣ | ٢٥ | البوم | اليوم |
| ١٠٤ | ٠٤ | استين | استبن |

﴿ وهناك بعض الفاظ اخرى ناقصة الحركات او الحروف تعرف بالبديهة ﴾

# فهرست ما فى هذا الكتاب من
# المطالب والابواب

صحيفه

صحيفة



# كتاب

## الموازنة بين ابى تمام والبحترى للشيخ العلامة
## ابى القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى

عن نسخة جليلة بخط الاديب المحرر الشيخ
عبد الكريم بن احمد بن ادريس الصفدى
بتاريخ شهر صفر من سنة ١١٢٩



طبع فى مطبعة الجوائب بالاستانة العلية
سنة ١٢٨٧



# كتاب الموازنة بين ابى تمام والبحترى
## للشيخ العلامة ابى القاسم الحسن
## بن بشر بن يحيى الامدى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الامدى هذا ما حضرت ادام الله لك العز والتاييد والتوفيق والتسديد على تقديمه من الموازنة بين ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وابى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى فى شعريهما وقد رسمت من ذلك ما ارجوا ان يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة واحسن فى اعتماد الحق وتجنب الهوى المعونة منه برحمته ووجدت اطال الله عمرك اكثر من شاهدته ورايته من رواة الاشعار المتاخرين يزعمون ان شعر ابى تمام حبيب بن اوس الطائى لايتعلق بجيده جيد امثاله ورديه مطروح مرذول فلهذا كان مختلفا لايتشابه وان شعر الوليد بن عبيد الله البحترى صحيح السبك حسن الديباج ليس فيه سفساف ولا ردى ولا مطروح ولهذا صار مستويا يشبه بعضه بعضا ووجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما ولم يتفقوا على ايهما اشعر كما لم يتفقوا على احد مما وقع التفضيل بينهما من شعر الجاهلية والاسلام والمتاخرين وذلك كمن فضل البحترى ونسبه الى حلاوة النفس وحسن التخلص ووضع الكلام فى مواضعه وصحة العبارة وقرب الماتى وانكشاف المعانى وهم الكتاب والاعراب والشعرا المطبوعون واهل البلاغة ومثل من فضل ابا تمام ونسبه الى غموض المعانى ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج وهولاء اهل المعانى والشعرا اصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفى الكلام وان كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة وذهب قوم الى المساواة بينهما فانهما لمختلفان لان البحترى اعرابى الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل وما فارق عمود الشعر المعروف وكان يجتنب التعقيد ومستكره الالفاظ ووحشى الكلام فهو بان يقاس باشجع السلمى ومنصور وابى يعقوب الكفوف وامثالهم من المطبوعين اولى ولان ابا تمام شديد التكلف صاحب صنعة ومستكره الالفاظ والمعانى وشعره لايشبه اشعار الاوائل

ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعانى المولدة فهو بان يكون فى حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه احق واشبه وعلى انى لا اجد من اقرنه به لانه يحط عن درجة مسلم لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الاسلوب لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته ولست احب ان اطلق القول بايهما اشعر عندى لتباين الناس فى العلم واختلاف مذاهبهم فى الشعر ولا ارى لاحد ان يفعل ذلك فيستهدف لذم احد الفريقين لان الناس لم يتفقوا على اى الاربعة اشعر فى امرىء القيس والنابغة وزهير والاعشى ولا فى جرير والفرزدق والاخطل ولا فى بشار ومروان ولا فى ابى نواس وابى العتاهية ومسلم لاختلاف آرآ الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه فان كنت ادام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة المآ والرونق فالبحترى اشعر عندك ضرورة وان كنت تميل الى الصنعة والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوى على غير ذلك فابو تمام عندك اشعر لامحالة فاما انا فلست افصح بتفضيل احدهما على الآخر ولكنى اقارن بين قصيدتين من شعرهما اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية وبين معنى ومعنى فاقول ايهما اشعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ثم احكم انت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما اذا احطت علما بالجيد والردى وانا ابتدى بما سمعته من احتجاج كل فرقة من اصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الاخرى عند تخاصمهم فى تفضيل احدهما على الاخر وما ينعاه بعض على بعض لتتامل ذلك

( قوله وما ينعاه الخ قال فى القاموس نعى ذنوبه اى اظهرها ) ( كذا )

وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك ان شئت ان تحكم واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به قال صاحب ابى تمام كيف يجوز لقائل ان يقول ان البحترى اشعر من ابى تمام وعن ابى تمام اخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه استقى وباراه حتى قيل الطائى الاكبر والطائى الاصغر واعترف البحترى ان جيد ابى تمام خير من جيده على كثرة جيد ابى تمام فهو بهذه الخصال ان يكون اشعر من البحترى اولى من ان يكون البحترى اشعر منه قال صاحب البحترى اما الصحبة فما صحبه ولا تلمذ له ولا روى ذلك احد عنه ولانقله ولا راى قط انه محتاج اليه ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند ابى سعيد محمد بن

يوسف الثغرى وقد دخل اليه البحترى بقصيدته التى اولها أأفاق صب من هوى فافيقا وابو تمام حاضر فلما انشدها علق ابو تمام ابياتا كثيرة منها فلما فرغ من الانشاد اقبل ابو تمام على محمد بن يوسف فقال ايها الامير ماظننت ان احدا يقدم على ان يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه حتى اتى على ابيات كثيرة من القصيدة فبهت البحترى وراى ابو تمام الانكار فى وجه ابى سعيد محمد بن يوسف فحينئذ قال له ابو تمام ايها الامير والله ما الشعر الا له وانه احسن فيه الاحسان كله واقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه ثم جعل يفخر باليمن وانهم ينبوع الشعر ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى اضعف له الجائزة فهذا الخبر الشنيع يبطل ما ادعيتم اذ كان من (لعله لا) يقول هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه وهو لايعرف ابا تمام الا ان يكون بالخبر يستغنى عن ان يصحبه او يتلمذ له اولغيره فى الشعر وقد اخبرنى انا رجل من اهل الجزيرة ويكنى ابا الوضاح وكان عالما بشعر ابى تمام والبحترى واخبارهما ان القصيدة التى سمع ابو تمام من البحترى عند محمد بن يوسف وكان اجتماعهما وتعارفهما القصيدة التى اولها فهم استداركما الملام ولوعا وانه لما بلغ الى قوله فيها

في منزل ضنك تخال به القنا بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا

نهض اليه ابو تمام فقبل بين عينيه سرورا به وتحققا بالطائية ثم قال ابى الله الا ان يكون الشعر يمنيا قال صاحب البحترى الا ان مع هذا لاننكر ان يكون قد استعار بعض معانى ابى تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحترى من شعر ابى تمام فيعلق شيا من معانيه معتمدا للاخذ اوغير معتمد وليس ذلك بمانع من ان يكون البحترى اشعر منه فهذا كثير قد اخذ من جميل وتلمذ له واستقى من معانيه فما راينا ان احدا اطلق على كثير ان جميلا اشعر منه بل هو عند اهل العلم بالشعر والرواية اشعر من جميل وهذا ابن سلام الجمحى ذكره فى كتاب الطبقات فى الطبقة الثانية من شعرآ الاسلام جعله مع البعيث والقطامى وذكر انه عند اهل الحجاز خاصة اشعر من جرير والفرزدق والاخطل وجعل جميلا فى الطبقة السادسة مع عبد الله بن قيس الرقيات والاحوص ونصيب الا انه قال ان جميلا يتقدمه فى النسيب وهذا غير مقبول منه لانه انما يحكيه عن نفسه واهل الحجاز انما قدموا كثيرا من اجل نسيبه وحسن تصرفه فيه وحكى عن جرير انه قال فى بعض الروايات

كثيرا انسبنا ويدل على تقدمه فى النسيب قول ابى تمام فى قصيدة يمدح بها ابا سعيد الكاتبى اولها من سجايا الطاول ان لاتجيبا

لو يفاجى ركن المديح كثيرا * بمعانيه خالهن نسيبا
طاب فيه المديح والتذحتى * فاق وصف الديار والتشبيبا

اراد ان كثيرا لو فاجاه هذا المديح على حسن نسيبه لخاله نسيبا وخص كثيرا لشهرته بالنسيب وبراعته واحتمل ضرورة الشعر ورد كثيرا الى التكبير فقال كثيرا ولم يقل جميلا ولا جريرا ولا غيرهما مما لاضرورة فى اسمه وعلى ان كثيرا ذكر اسمه مكبرا اما ضرورة واما اعتمادا لتفخيم اسمه وان لاياتى به محقرا فقال

وقال لى الواشون ويحك انها * بغيرك حقا يا كثير تهيم

وقد ذكر ابو تمام كثيرا فى مواضع اخر فجاء به مكبرا فى قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصفه بالبلاغة وهو قوله

فكان قسا فى عكاظ يخطب * وكثير عزة يوم بين ينسب

وذلك لعلم ابى تمام بتقدم كثير فى النسيب على غيره وشهرته بالتجويد فيه على ان جميلا لاشعر له مما يعتد به الا فى النسيب والغزل فقد علمتم الان ان هذه حالة لاتوجب لكم تفضيل ابى تمام على البحترى من اجل انه اخذ شيا من معانيه واما قول البحترى جيده خير من جيدى وردئ خير من رديه فهذا الخبر ان كان صحيحا فهو للبحترى لا عليه لان قوله هذا يدل على ان شعر ابى تمام شديد الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوى الشعر اولى بالتقدمة من المختلف الشعر وقد اجتمعنا نحن وانتم على ان اباتمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا وان البحترى يعلو بتوسط ولايسقط ومن لايسقط ولايسفسف افضل ممن يسقط ويسفسف والذى نرويه عن ابى على محمد بن العلاء السجستانى وكان صديق البحترى انه قال سئل البحترى عن نفسه وعن ابى تمام فقال كان اغوص على المعانى وانا اقوم بعمود الشعر وهذا الخبر هو الذى يعرفه الشاميون دون غيره وسمعت ابا على محمد بن العلا ايضا يقول كان البحترى عند نفسه اشعر من ابى تمام وسائر الشعراء المحدثين وقد ذكر ابو عبد الله محمد ابن داود بن الجراح فى كتابه الذى ذكر فيه اخبار الشعراء نحوا من ذلك قال ابو على محمد ابن العلا كان البحترى اذا شرب وانس انشد شعره وقال الا تسمعون الا تعجبون قال وكان مع هذا احسن الناس ادب نفس لايذكر شاعر محسن او غير محسن الا قرظه

ومدحه وذكر احسن ما فيه قال ابو على ولم لايفعل ذلك وقد اسقط فى ايامه اكثر من خمسمائة شاعر وذهب بخيرهم وانفرد باخذ جوائز الخلفاء والملوك دونهم فلو لم يفعل ذلك الا استكفافا وحذرا من بيت واحد يندر فيبقى على الزمان لكان من الحظ له ان يفعله

( اى من بيت واحد ممن يهجونه فيبقى على الزمان متداولا )

وكذلك كان ابو على دعبل بن على الخزاعى يهجو الملوك والخلفا ولا يعرض لشاعرهم الا ضرورة وقد حذر فى اول كتابه الذى الفه فى الشعراء من التعرض لشاعر ولو كان من ادون الناس صنعة فى الشعر وقال رب بيت جرى على لسان مفحم قيل فيه رب رمية من غير رام فسارت به الركبان ولذلك يقول فى بعض شعره

لاتعرضن بمزح لامرء طبن * ما راضه قلبه اجراه فى الشفة

فرب قافية بالمزح جارية * مشؤمة لم يرد انماؤها نمت

ثم نرجع الى قول الخصمين قال صاحب ابى تمام فابو تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اولا واماما متبوعا وشهر به حتى قيل هذا مذهب ابى تمام وطريقة ابى تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا اثره وهذه فضيلة عرى عن مثلها البحترى قال صاحب البحترى ليس الامر لاختراعه لهذا المذهب على ما وصفته ولا هو باول فيه ولا سابق اليه بل سلك فى ذلك سبيل مسلم واحتذى حذوه وافرط واسرف وزال عن النهج المعروف والسنن المالوف وعلى ان مسلما ايضا غير مبتدع لهذا المذهب ولا هو اول فيه ولكنه رأى هذه الانواع التى وقع عليها اسم البديع وهى الاستعارة والطباق والتجنيس منثورة متفرقة فى اشعار المتقدمين فقصدها واكثر فى شعره منها وهى فى كتاب الله عز وجل موجودة قال الله تعالى واشتعل الراس شيبا وقال تبارك وتعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فهذه من الاستعارة التى هى فى القران وقال امرؤ القيس

فقلت له لما تمطى بجوزه * واردف اعجازا وناء بكلكل

فجعل الليل يتمطى وجعل له اردافا وكلكلا وقال زهير

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله * وعرى افراس الصبا ورواحله

فجعل للهوى افراسا ورواحل وقال لبيد الجعفى

وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

فجعل للغداة يدا وللشمال زماما فهذه كلها استعارات وقال جل وعز فى التجنيس واسلمت مع سليمان لله رب العالمين واقم وجهك للدين القيم وقال النبى صلى الله عليه وسلم عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وقال القطامى

ولما ردها فى الشول شالت * بذيال يكون لها لفاعا (الملحفة او الكساء)

وقال ايضا

كنية الحى من ذى القيظ فاحتملوا * مستحقبين فؤادا ما له فاد

وقال جرير

وما زال معقولا عقال عن الندى * وما زال محبوسا عن المجد حابس

وقال ذو الرمة

كان البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهى به السيل ابطح

(البرى جمع برة وهى على ما فى الصحاح حلقة من صفر تجعل فى لحم انف البعير وربما كانت من شعر وقد اهمل القاموس هذا الجمع وعاج عطف والعشر بالضم النوق التى تنزل الدرة القليلة والنهى اسم ما نهب

وقال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد ارضه * ليلبسنى من دائه ما تلبسا

وقال الفرزدق

خفاف اخف الله عنه سحابه * واوسعه من كل ساف وحاصب

ذكر ذلك كله ابو العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب البديع قال ومن الطباق قول الله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقال النبى صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما كذب الليث عن اقرانه صدقا

فطابق بين الصدق والكذب وقال طفيل الغنوى

بساهم الوجه لم تقطع اباجله * يصان وهو ليوم الروع مبذول

(عرق مفرده ابجل وهو من الفرس والبعير بمنزلة الاكحل من الانسان)

فطابق بين قوله يصان وبين قوله مبذول فتتبع مسلم بن الوليد هذه الانواع واعتدها ووشح شعره بها ووضعها فى موضعها ثم لم يسلم مع ذلك من الطعن حتى قيل انه

اول من افسد الشعر روى ذلك ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال وحدثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت ابى يقول اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد ثم اتبعه ابو تمام واستحسن مذهبه واحب ان يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الاصناف فسلك طريقا وعرا واستكره الالفاظ والمعانى ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه وقد حكى عبد الله بن المعتز فى هذا الكتاب الذى لقبه البديع ان بشارا وابا نواس ومسلم بن الوليد ومن تقيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثر فى اشعارهم فعرف فى زمانهم ثم ان الطائى تفرغ فيه واكثر منه واحسن فى بعض ذلك واساء فى بعض وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف قال وانما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرئ فى شعر احدهم قصائد من غير ان يوجد فيها بيت واحد بديع وكان يستحسن ذلك منهم اذا اتى قدرا ويزداد حظوة من الكلام المرسل وقد كان بعضهم يشبه الطائى فى البديع بصالح بن عبد القدوس فى الامثال ويقول لو كان صالح نثر امثاله فى تضاعيف شعره وجعل منها فصولا فى ابياته لسبق اهل زمانه وغلب على ميدانه قال ابن المعتز وهذا اعدل كلام سمعته قال صاحب البحترى فقد سقط الان احتجاجكم باختراع ابى تمام لهذا المذهب وسبقه اليه وصار استكثاره منه وافراطه فيه من اعظم ذنوبه واكبر عيوبه وحصل للبحترى انه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعهودة مع ما نجده كثيرا فى شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة وانفرد بحسن العبارة وحلاوة الالفاظ وصحة المعانى وحيث وقع الاجماع على استحسان شعره واستجادته وروى شعره واستحسنه سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم فن نفق (الظاهر انه من نفاق السلعة) على الناس جميعا اولى بالفضيلة واحق بالتقدمة قال صاحب ابى تمام انما اعرض عن شعر ابى تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه وفهمه العلماء والنقاد فى علم الشعر واذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من بعدها عليه قال صاحب البحترى ان ابن الاعرابى واحمد بن يحيى الشيبانى وقبلهما دعبل بن الخزاعى قد كانوا علماء بالشعر وكلام العرب وقد علمتم مذاهبهم فى ابى تمام وازدراءهم بشعره وطعن دعبل عليه وقولهم ان ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح وروى ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم بن

مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل انه قال ما جعله الله من الشعرآ بل شعره بالخطب والكلام المنثور اشبه منه بالشعر ولم يدخله فى كتابه المواف فى الشعرآ وقال ابن الاعرابى فى شعر ابى تمام ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل روى ذلك ابو عبد الله محمد بن داود عن البحترى عن ابى الاعرابى وحكى محمد بن داود ايضا عن محمد بن القاسم ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد وكان عالما بالشعر انه قال ابو تمام يريد البديع فيخرج الى المحال وروى عنه انه قال دخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الحسن بن وهب وابو تمام ينشده فقال له اسحاق يا هذا لقد شددت على نفسك وذكر ايضا ابو العباس عبدالله بن المعتز فى كتاب البديع وغير هولآء العلمآ ممن افسدوا شعره كثير منهم ابو سعيد الضرير وابو العميثل الاعرابى صاحب عبد الله بن طاهر بخراسان وكانا من اعلم الناس بالشعر وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر الا اذا امتحناه وانشدهما شعره ورضياه فقصدهما ابو تمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر اولها

هن عوادى يوسف وصواحبه * فعزما فقدما ادرك النجح طالبه

فلما سمعا هذا الابتدآ اعرضا عنه واسقطا القصيدة حتى عاتبهما ابو تمام وسالهما النظر فيها فلولا انهما ظفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر واخذا له الجائزة لكان قد افتضح وخابت سفرته وخسرت صفقته والبيتان

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه
لامر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

اخذ معنى البيت الاول من قول ابى البعيث

اطاف بشعث كالاسنة هجد * بخاشعة الاصوآ غبر صحونها

واخذ معنى البيت الثانى من قول الاخر

علام وفى تقحمها فابلى * فخان بلاء الدهر الخؤون
وكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

( ذكره فى موضع آخر فكان )

ولما اوصلا اليه الجائزة قالا له لم تقول ما لا يفهم فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال فكان هذا مما استحسن من جوابه وهذا ابو العباس محمد بن يزيد المبرد ما علمناه دون

له كبير شئ وهذه كتبه واماليه وانشاداته تدل على ذلك وكان يفضل البحترى ويستجيد شعره ويكثر انشاده ولا يستمليه لان البحترى كان باقيا فى زمانه اخبرنا ابو الحسن الاخفش قال سمعت ابا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول ما رايت اشعر من هذا الرجل يعنى البحترى لولا انه ينشدنى لما انشدكم لملات كتبى من امالى شعره قال صاحب ابى تمام فقد بطل احتجاجكم بالعلماء وتفضيلكم لشعره عليه لان دعبلا كان يشنا ابا تمام ويحسده وذلك مشهور معلوم منه فلا يقبل قول شاعر فى شاعر واما ابن الاعرابى فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولانه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه فكان اذا سئل عن شئ منها يأنف ان يقول لا ادرى فيعدل الى الطعن عليه والدليل على ذلك انه انشد يوما ابياتا من شعره وهو لا يعلم قائلها فاستحسنها وامر بكتبها فلما عرف انه قائلها قال خرقوه والابيات من ارجوزته التى اولها

وعاذل عذلته فى عذله * فظن انى جاهل من جهله

وكان ابن الاعرابى على علمه وتقدمه قد حمل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر فما تنكرون ايضا ان تكون حال سائر من ذكرتموه مثل حاله قال صاحب البحترى لا يلزم ابن الاعرابى من الظلم والتعصب ما ادعيتم ولا يلحقه نقص فى قصور فهمه عن معانى شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام الى الخطأ والاحالة والعيب والنقص فى ذلك يلحقان ابا تمام اذ عدل عن المحجة الى طريقة يجهلها ابن الاعرابى وامثاله واما ما استحسنه ابن الاعرابى من شعر ابى تمام فامر بكتبه ثم امر بتخريقه لما علم انه قائله فذلك غير منكر ولا يدخل ابن الاعرابى فى التعصب والظلم لان الذى يورده الاعرابى وهو محتذ على غير مثال احلى فى النفوس واشهى الى الاسماع واحق بالزيادة والاستجادة مما يورده المحتذى على الامثلة وعذر ابن الاعرابى فى هذا اذا قد صح وقد سبقه الاصمعى وذلك ان اسحاق بن ابراهيم الموصلى انشد الاصمعى

هل الى نظرة اليك سبيل * فيروى الصدى ويشفى الغليل

ان ما قل منك يكثر عندى * وكثير ممن تحب القليل

فقال لمن تنشدنى فقال لبعض الاعراب فقال والله هذا هو الديباج الخسروانى قال انهما لليلتهما فقال لا جرم والله ان اثر الصنعة والتكلف بين عليهما حدثنا

بهذا الحديث ابو الحسن على بن سليمان الاخفش النحوى قال حدثنا ابو الحسن البهرانى قال حدثنى ابو خالد يزيد بن محمد المهلبى قال حدثنى اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال انشدت الاصمعى الا انه ذكر عن اسحاق انه قال له انهما لليلتهما فقال الاصمعى افسدتهما فالاصمعى فى هذا غير ظالم لان اسحاق مع علمه بالشعر وكثرة روايته لاينكر له ان يورد مثل هذا لانه يتوم فى النفس انه قد احتذاه على مثال واخذه عن متقدم وانما يستظرف مثله من الاعرابى الذى لايعول الا على طبعه وسليقته وابن الاعرابى فى ابى تمام اعذر من الاصمعى فى اسحاق لان ابا تمام كان مغرما مشغوفا بالشعر وانفرد به وجعله وكده والف كتبا فيه واقتصر من كل علم عليه فاذا اورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك ببدع له لانه ياخذ المعانى ويحتذيها فليس لها فى النفوس حلاوة ما يورده الاعرابى قال صاحب ابى تمام فقد اقررتم لابى تمام بالعلم والشعر والرواية ولا محالة ان العلم فى شعره اظهر منه فى شعر البحترى والشاعر العالم افضل من الشاعر غير العالم قال صاحب البحترى فقد كان الخليل بن احمد عالما شاعرا وكان الاصمعى شاعرا عالما وكان الكسائى كذلك وكان خلف بن حيان الأحمر اشعر العلمآ وما بلغ بهم العلم طبقة من كان فى زمانهم من الشعرآ غير العلمآء فقد كان التجويد فى الشعر ليست علته العلم ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلمآ اشعر ممن ليس بعالم فقد سقط فضل ابى تمام من هذا الوجه على البحترى وصار افضل واولى بالسبق اذ كان معلوما شائعا ان شعر العلمآ دون شعر الشعرآ ومع ذلك فان ابا تمام يعمل ان يدل فى شعره على علمه باللغة وبكلام العرب فيتعمد لادخال الفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره وذلك نحو قوله هن البجارى ياجير * اهدى لها الابوس الغوير وقوله قدك اتئب اربيت فى الغلواء وقوله اقرم بدر تبارى ايهـا الخفض وهذا فى شعره كثير موجود والبحترى لم يتصد هذا ولا اعتمده ولا كان له عنده فضيلة ولا راى انه علم لانه نشأ ببادية منبج وكان يتعمد حذف الغريب والوحشى من شعره ليقرب به من فهم من يمتدحه الا ان ياتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة فى موضعها من غير طلب لها ويرى ان ذلك اتفق له فنفق وبلغ المراد والغرض ويدلك على ذلك انه كان يكنى ابا عبادة ولما دخل العراق تكنى ابا الحسن ليزيل العنجهية والاعرابية ويساوى فى مذاهبه اهل الحاضرة ويتقرب بهذه الكنية الى اهل النباهة والكتاب

من الشيعة وقد ذكر بعضهم انه كان يكنى ابا الحسن وانه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه عدل الى ابى عبادة والاول اثبت وقد حكى ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ان ابا عبادة كنية البحترى القديمة فشتان ما بينهما من حضرى تشبه باهل البدو فلم ينفق بالبادية ولا عند اكثر الحاضرة وبدوى تحضر فنفق فى البدو والحضر قال صاحب ابى تمام فقد عرفناكم ان ابا تمام اتى فى شعره بمعان فلسفية والفاظ غريبة فاذا سمع بعض شعره الاعرابى لم يفهمه فاذا فسر له فهمه واستحسنه قال صاحب البحترى هذه دعاو منكم على الاعراب فى استحسان شعر صاحبكم اذا فهموه ولا يصح ذلك الا بالامتحان ولكنكم معترفون ومجمعون مع من هو معكم وعليكم ان لصاحبكم احسانات واساآت وان الاحسان للبحترى دون الاساآة ومن احسن ولم يسئ افضل ممن احسن واساآ قال صاحب ابى تمام ما اجمعنا معكم ان صاحبكم لم يسيء بل هو قد اسا فى قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

( سيذكره فيما بعد برواية تخفى الزجاجة )

وهذا وصف للاناآ لا للشراب لانه لو ملا الاناآء دبسا لكان هذا صفته وقال

ضحكات فى اثرهن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده

فاقام البرق مقام الضحك والرعد مقام العطايا وانما كان يجب ان يقيم الغيث مقام العطايا لا الرعد وله لحون فى شعره معروفة نحو قوله ونصبته علما بسامرآء وقوله نبرات معبد فى الثقيل الاول وقوله عرج على حلب واشباه لهذا كثيرة فقد تساويا فى الغلط قال صاحب البحترى ما نعينا على ابى تمام اللحن وهو فى شعره كثير لو تتبع فتنعوا مثله على البحترى لان اللحن لايكاد يعرى منه احد من الشعرآء المحدثين ولا يسلم منه شاعر من الشعرآء الاسلاميين وقد جاء فى اشعار المتقدمين ما علمتم من الالفاظ ممن لايتوم العذر فيه الا بالتاويلات البعيدة وعلى انه ليس شئ مما عبتم به البحترى خارجا عن مقاييس العربية ولا بعيدا من الصواب بل قد جاآ منه كثير فى اشعار القدماآء والاعراب والفصحاآ ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه ونحن لو رمنا ان نخرج ما فى شعر ابى تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ولا يجد المتاول له مخرجا منه الا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد وذلك مثل قوله

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن * لاثنين ثان اذ هما فى الغار

معنى هذا البيت ان بابك صار جارا فى الصلب لمازيار وهو ثانيه فى كبد السماء ولم يكن ثانيا لاثنين اذ هما فى الغار اى هو ثانى اثنين فى الصلب لما زيار الذى هو رذيلة وليس هو ثانيا فى الغار لان هذه فضيلة فكان يجب ان يقول فى البيت ولم يكن لاثنين ثانيا لانه خبر يكن واسمها هو اسم بابك مضمر فيها فليس الى غير النصب سبيل فى البيت والا بطل المعنى وفسد وفساده انك اذا اخليت يكن من ضمير بابك وجعلت قوله ثان اسمها كان ذلك خطا ظاهرا قبيحا لانك اذا قلت كان زيد وعمرو اثنين ولم يكن لهما ثان كنت مخطئا لان اثنين احدهما ثان للآخر وكذلك اذا قلت كانوا ثلاثة ولم يكن لهم ثالث كنت مخطئا لان احد الثلاثة هو ثالثهم وانما تكون مصيبا اذا قلت كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث وثلاثة ولم يكن لهما رابع وايضا فانه لو اراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة البتة لانه كان يكون المعنى حينئذ ان بابك ثانى مازيار فاى فائدة فى هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش واى تعلق لهذا المعنى بما قبله فى البيت وقال فى اخر قصيدة

شامت بروقك آمالى بمصر ولو * اضحت على الطوس لم تستبعد الطوسا

( وهذه الاعتراضات من العبث المحض لان لها اوجها فى العربية )

فادخل فى طوس الالف واللام وهى اسم بلدة معروفة وقال احدى بنى بكر بن عبد مناه وانما هى مناة فى الادراج كما قال الله تبارك وتعالى ومناة الثالثة الاخرى وانما تكون بالهاء فى الوقف لا فى الحركة والدرج وقال فى هذه القصيدة لولا صفات فى كتاب الباه وانما هى الباءة بالمد فى تقدير الباعة وان كان قد حكى الباه فى بعض اللغات الرديئة والردى لايعتد به وقال فكم من هوآ فيك صاف غذى جوه وهوى وبى فقال غذى وهو غذ بالتخفيف وقال فى قصيدة على الاعادى ميكال وجبريل فاوقع الاعراب على الاعادى وذلك غير جايز لمتاخر وقال

ستين الفا وسبعينا ومثلهما * كتائب الخيل تحميها الاراجيل

( يحتمل انه الاراجيل اى الاراجل فزاد الياء كما زادها الشاعر فى قوله نفى الدراهم الخ او جمع ارحل بالحاء للابيض الظهر من الخيل )

فنون النون من سبعين وهذا لايسوغه محدث ونحو هذا مما ليست بنا حاجة الى ذكره لانا لم نتبعه ولا عرفناه به لما وصفنا فى باب اللحن وكثرته فى اشعار المتا...

وانما عبناه بخطائه فى معانيه واحالته فى استعاراته وكثرة ما يورده من الساقط والغث البارد مع سوء سبكه ورداءة طبعه وسخافة لفظه مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم فاما ما عبتم به البحترى من قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

فما زالت الرواة وشيوخ اهل الادب والعلم يستحسنون هذا البيت ويستجيدونه له وذكره عبد الله بن المعتز وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر فى باب ما اختاره من التشبيه فى كتابه الذى نسبه الى البديع ولكنكم ابيتم الا افساده ثم اجلبتم واكثرتم ان تنعوا على شاعر محسن بيتا واحدا فما زلتم تموّهون وتمحلون حتى وجدتم ابياتا تحتمل من التاويل ما يحتمله الاول وهو قوله ضحكات فى اثرهن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده وكلا البيتين الى الصواب اقرب ومن الخطا ابعد فاما قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

فانما قصد الى وصف هيئة الشراب فى الاناء ولم يقصد الى وصف الشراب خاصة ولا الى الاناء كما ادعيتم ولو اراد وصف الاناء لكان مصيبا لان الزجاجة ايضا يوصف ما فيها وتقع المبالغة فى نعتها وقد جاء فى وصف اوانى الشراب ما جاء ومن احسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جريج الرومى يصف قدحا

تنفذ العين فيه حتى تراها * اخطاته من رقة المستشف
كهواء بلا هباء مشوب * بضياء ارقق بذاك واصف
وسط القدر لم يكبر لجرع * متوال ولم يصغر لرشف
لا تجول على العقول جهول * بل حليم عنهن من غير ضعف

فالزجاجة اذا رقت وصفت وسلمت من الكدر اشتد صفاؤها ورقتها فاذا وقع فيها الشراب الرقيق اتصل الشعاعان وامتزج الضوءان فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر ولو جعلها دبسا او عسلا او لبنا وماء كدرا فى اناء هذه صفته فى الرقة لما خفى الاناء على الناظر لان هذه الاشياء لاشعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الاناء وضوئه وقد سبقه الى هذا المعنى على بن جبلة فقال

كان يد النديم تدير منها * شعاعا لا تحيط عليه كاس

وقال اخر انشده ابو الحسن على بن سليمان الاخفش

واذا ما مزجت فى كاسها * فهى والكاس معا شئ احد

( سيرويه بعد هذا واذا ما نزلت فى كاسها )

فانتم فى هذه المعارضة بالخطا اجدر وبالعيب احرى فاما قوله وبروق السحاب قبل رعوده فانه اقام الرعد مقام الغيث لانه مقدمة له وعلم من اعلامه ودليل من اقوى دلائله الا ترى ان برق الخلب لا رعد معه وقد قال الأعشى

والشعر يستنزل الكريم كما * استنزل رعد السحابة السبلا

فجعل الرعد هو الذى يستنزل المطر وقال الكميت

وانت فى السنوة الجماد اذا * اخلف من انجم رواعدها

واذا كان البرق ذا رعد فقلما يخلف ومثل هذا فى كلام العرب مما ينوب الشى عن الشى اذا كان متصلا به او سببا من اسبابه او مجاورا له كثير فمن ذلك قولهم للمطر سماء ومنه قولهم ما زلنا نطأ السماء حتى اتيناكم قال الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

يريد اذا سقط المطر رعيناه يريد رعينا النبت الذى يكون عنه ولهذا سمى النبت ندى لانه عن الندى يكون وقالوا ما به طرق اى ما به قوة والطرق الشحم فوضعوه موضع القوة لان القوة عنه تكون وقولهم للمزادة راوية وانما الراوية البعير الذى يسق عليه الماء فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه ومن ذلك الحفض متاع البيت فسمى البعير الذى يحمله حفضا ومن ذلك قول المسيب بن علس وتمد ثنى جديلها بشراع اراد بدقل فقال بشراع لان الشراع عليه يكون وهذا باب واسع وايسر من ان يحتاج الى استقصائه وبعد فلو كان هذان البيتان خطأ كما ادعيتم واخذتم على هذا الشاعر المجتمع على احسانه غلطا من غيرهما فى شعره لما كان بذلك داخلا فى جملة المسبوقين ولا الخاطئين فى الشعر لجودة نظمه واستواء نسجه ووقوع لفظه فى مواقعه ولان معانيه تصح بالنقد وتخلص على السبك وابو تمام يتبهرج شعره عند التفتيش والبحث ولا تصح معانيه على التفسير والشرح قال صاحب ابى تمام لئن اسرفتم فى الذم وبالغتم على صاحبنا فى الطعن وتجاوزتم الحد الذى يقف عنده المحتج المناظر الى مذهب المسقط المغالط والمتعصب المتحامل فلسنا نمنع ان يكون صاحبنا قد وهم فى بعض شعره وعدا عن الوجه الاوضح فى كثير من معانيه وغير منكر لفكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد ان يلحقه الكلال فى الاوقات والزلل فى الاحيان بل من الواجب لمن احسن احسانه ان يسامح

فى سهوه ويتجاوز له عن زلله فما رأينا احدا من شعـراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من اخذ الرواة عليه الغلط والعيب هذا الاصمعى قد عاب امرء القيس بقوله

وأركب فى الروع خيفـانة * كسـا وجهها سعف منتشر

( اركب فعل مضارع وخيفانة هى فى الاصل الجرادة ثم تشبه بها الفرس فى الخفة )

وقال شبه شعر الناصية بسعف النخلة والشعر اذا غطى العين لم يكن الفرس كريما وذلك هو الغمم والذى يحمد فى الناصية الجثلة وهى التى لم تفرط فى الكثرة فتكون الفرس غماً والغمم مكـروه ولم تفرط فى الخفة فتكون الفـرس سفوآ والسفا ايضـا مكروه فى الخيل والجيد مـا قـال عبيد

مضبر خلقهـا تضبـيرا * ينشق عن وجهها السبيب

( المضبر الملزز الخلق المكتنز اللحم والسبيب الذنب والعرف والناصية )

وروى ذلك عنه ابو حاتم سهل بن محمد السجستانى وقـال ايضا سمعت الاصمعى يقول اخطا امرؤ القيس فى قوله

لها متنـان خظـاتا كما * اكب على ساعديه النمر

لان المتن لايوصف بكثرة اللحم ويستحب منه التعريق وكذلك الوجه كما قال طفيل معرقة الالحى تلوح متونها واخذ عليه فى قوله فى وصف الفرس

فللسوط الهوب وللسـاق درة * وللزجر منه وقع اخرج مذهب

وقـال هذه الفرس بطيئة لانها تحوج الى السوط والى ان تركض بالرجل وتزجـر ويقال ان اول من عابه بهذا البيت زوجته لما احتكم اليها هو وعلقمة الفحل فغلبت علقمة فطلقها وقد اخذ ايضا عليه قوله اغرك منى ان حبك قاتلى وقـال اذا لم يغر هذا فاى شئ يغر وعيب زهير ابن ابى سلمى بقوله

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الغم والغرقا

وقـالوا ليس خروج الضفادع من المـآ خـوف الغم والغـرق وانما ذلك لانهـا تبيض فى الشطوط وعيب على كعب ابنه قوله ضخم مقلدها فعم مقيدها وقالوا انما توصف النجـائب برقة المذبح واخذ على النابغة قوله يصف عنق المرأة بالطول

اذا ارتعثت خاف الجبان رعاثها * ومن يتعلق حيث علق يفـرق

وهذا قريب من قول ابى نواس تكاد النطف التى لم تخلق بل ابو نواس اعذر لقوله تكاد يريد لتكاد تخافك والشعرآ تسقط تكاد فى الشعر وهى تريدها

وجاء فى القرآن مثل ذلك قال الله عز وجل وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقال الشاعر يتقارضون اذا التقوا فى موطن * نظرا يزيل مواطىء الاقدام اى نظرا يكاد يزيل فاضمر يكاد واللام اذا جاءت كانت ادل عليها قال الله جل وعز وبلغت القلوب الحناجر اى كادت واخذ على النابغة قوله

الكنى ياعيين اليك قولا * ستحمله الرواة اليك عنى

وقالوا قوله الكنى اى كن لى رسولا فكيف يكون الكنى اليك عنى فاعتذر له الاصمعى وقال هذا مما حملته الرواة على النابغة كانه يدفع ان يكون قاله واخذ على المسيب قوله

وقد اتناسى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم

قال الصيعرية صفة للنوق لا للفحول فسمعه طرفة بن العبد وهو صبى فقال استنوق الجمل وضحك منه ويقال ان المسيب قال اخرج لسانك يافتى فاخرجه فقال ويل لهذا من هذا يعنى راسه من لسانه واخذ على المرقش قوله

صحا قلبه عنها سوى ان ذكره * اذا خطرت دارت به الارض قائما

قالوا من اذا ذكر دارت به الارض ليس بصاح واخذ على عدى بن زيد قوله يبد الجياد فارها متتابعا وقالوا لايقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وكريم والفاره البغل والحمار واخذ عليه ايضا قوله فى صفة الخمر

والمشرف الهندى يسقى به * اخضر مطموثا بماء الحريض

الحريض سحابة تحرض وجه الارض اى تقشره لشدتها ويقال الحريض اسم نهر بناحية الحيرة فوصف الخمر بالخضرة وما وصفها بذلك احد غيره واخذ على الاعشى قوله

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو شلول مشل شلشل شول

وقالوا هذه الالفاظ كلها التى بعد شاو متقاربة فى المعنى وقرى على الاصمعى قول ابى ذوئب الهذلى

قصر الصبوح لها فشرج لحمها * بالنىء فهى تثوخ فيها الاصبع
تابى بدرتها اذا ما استكرهت * الا الحميم فانه يتبضع

فقال هذه الفرس تساوى درهمين لانه جعلها كثيرة اللحم رخوة يدخل فيها الاصبع حرونا اذا حركت قامت الا العرق فانه يسيل وقرى على الاصمعى قول ابى

النجم يسبح اخراه ويطفو اوله فقال جمار الكساح اذا افره منه وعاب الاصمعى ذا الرمة بقوله

حتى اذا دومت فى الارض ادركها * كبر ولو ولو شاء نجى نفسه الهرب

وقال الفصحاء لايقولون دوم فى الارض وانما يقولون دوم فى الهواء اذا حلق ودوى فى الارض اذا ذهب وكان الاصمعى ايضا يعيبه فى قوله وتفرى غبيط النجم والماء جامس وقال انما يقال للجامد من السمن وما اشبه جامس وروى ذلك عنه ابو حاتم وحكى ابو نصر عن الاصمعى قال كنا نظن الطرماح شيئا حتى قال

واكره ان يعيب على قومى * هجاى الارذلين ذوى الحنات

لانها احنة واحن ولا يقال حنات واخذ على الاخر قوله

فما رقد الولدان حتى رايته * على البكر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الانسان حافرا وهذه استعارة فى نهاية القبح وكذلك قول الآخر

قد افنى انامله عضه * فاضحى يعض على الوظيفا

فجعل له وظيفا مكان الرجل وكذلك قول الآخر

سامنعها او سوف اجعل امرها * الى ملك اظلافه لم تشقق

وقال الحطيئة

قروا جارك العيمان لما جفوته * وقلص عن برد الشراب مشافره

وعيب على ايمن بن خزيم قوله يمدح بشر بن مروان

فانا قد وجدنا ام بشر * كام الاسد مذكارا ولودا

وقالوا اخطأ فى ان جعل ام الاسد ولودا لان الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج والصواب قول كثير بغاث الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلات نزور وقال جرير صارت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها فقيل لرجل من بنى حنيفة من اى الاثلاث انت فقال من الثلث الملغى وسمع اسحاق بن ابراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجرير

لما تذكرت بالديرين ارقنى * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقال اخطا والله ابوك التاذين لايكون فى اول الليل وقال من طلب العذر لجرير ارقنى انتظار صوت الدجاج وعاب الاخطل الفرزدق فى قوله

ابنى غدانة اننى حررتكم * فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتذعت انوفكم * من بين الأم اعين وسبال

قال وكيف وهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء وقال عطية حين بلغه الشعر ما اسرع ما رجع اخى فى هبته ومدح الفرزدق الحجاج وقد دخل عليه ببيت واحد فقال

ومن يأمن الحجاج والطير تتقى * عقوبته الا ضعيف العزائم

فقال له الحجاج الطير تتقى الثور وتتقى الظبى ما جئت بشئ وانما اراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يد واخذ على الاخطل قوله فى عبد الملك ابن مروان

وقد جعل الله الخلافة منهم * لابيض لاعارى الخوان ولا جدب

وهذا لايمدح به خليفة واراد ان يمدح رجلا من بنى اسد كان اجاره فهجاه وكان يقال لقوم الرجل القيون يعيرون بذلك فقال

قد كنت احسبه قينا وانبأه * فاليوم طير عن اثوابه الشرر

اى فاليوم نفى ذلك عن نفسه فما زاد على ان نبه عليه وقد كان له فى الممادح متسع واراد ان يهجو سويد بن منجوف فمدحه وذلك قوله

فما جزع سوء خرب السوس وسطه * لما حملته وائل بمطيق

واخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن ابى سويد

اذا التقت الابطال ابصرت وجهه * مضيئا واعناق الكماة خضوع

فقالوا اساء القسمة واخطأ الترتيب وانما كان يجب ان يقول ابصرته ساميا واعناق الملوك خضوع او ابصرت لونه مضيئا والوان الكماة كاسفة ومن خطا الشعر قول عدى بن الرقاع يذكر البارى تبارك وتعالى

وكفك بسطة ونداك سح * وانت المرء تفعل ما تقول

فجعل ربه مرءا وعابه الاصمعى فى قوله

لهم راية تهدى الجموح كانها * اذا خطرت فى ثعلب الرمح طائر

وقال الراية لاتخطر انما الخطران للرمح ومن فاسد اللفظ وقبيحه قول ذى الرمة

فاضحت مناديها قفارا رسومها * كان لم سوى اهل من الوحش توهل

اراد كان لم توهل سوى اهل من الوحش ومن خطا المديح قول الكميت يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

الى السراج المنير احمد لا * تعدل بى رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع النا * س الى العيون وارتقبوا
وقيل افرطت بل قصدت ولو * عنفنى القائلون او ثلبوا
لج بتفضيلك اللسان ولو * اكثر فيك الضجاج واللجب

فمن يعنفه ويونبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكثر عليه فيه الضجاج واللجب وهذا لو كان قاله بين المشركين وفى صدر الاسلام لعل العذر كان يتسع له فيه وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بان قال لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم خاصة بهذا الخطاب وانما اراد اهل بيته لانه قد قال فيهم من الشعر ما قال ولان بنى امية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر اشد الانكار على من يخونهم ويغرق فى الثناء عليهم والوصف لهم وعيب ايضا الكميت بان جمع كلمتين لا تشبه احداهما الاخرى وذلك قوله

وقد رأينا بها حورا منعمة * رود تكامل فيها الدل والشنب

وقال الدل انما يكون مع الغنج او نحوه والشنب انما يكون مع اللعس او ما يجرى مجراه من اوصاف الثغر والفم والجيد ما قاله ذو الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى انيابها شنب

ولو استقصينا هذا الباب لطال جدا وانما اوردنا ههنا منه مثالا لتعلموا ان فحول الشعراء الذين غلبوا عليه وافتتحوا معانيه وصاروا قدوة واتبعهم الشعراء واحتذوا على حذوهم وبنوا على اصولهم ما عصموا من الزلل ولا سلموا من الغلط هذا فى المعانى التى هى المقصد والمرمى والغرض فاما ما بوبه النحويون من عيوب الشعر فى الاقواء والاكفاء والسناد وغير ذلك مما هو عيب فى اللفظ دون المعنى فليست بنا حاجة الى ذكره لكثرته وشهرته وكذلك ما اخذته الرواة على المحدثين المتاخرين من الغلط والخطا واللحن اشهر ايضا من ان يحتاج الى ان نبرهنه او ندل على ذلك فلم يك احد من متقدم ولا متاخر فى خطائه ولا سهوه وغلطه مجهول الحق ولا مجحود الفضل بل عفى عندكم احسانه على اساآته وعلا تجويده على تقصيره فكيف خصصتم ابا تمام دون غيره بالطعن وعبتموه دون من سواه بالزلل والوهن ولم يك بذلك بدعا ولا منفردا ولا اليه سابقا فبخستم حق الاحسان الذى انتشر فى الآفاق وسارت به الركبان وتمثل به المتمثل وتادب بحفظه

وانشاده المنادب مما ان ذكرنا لم تنكروه واقررتم بفضله واجمعتم على استجادته واستحسانه فهل الظلم المستقبح والتعصب المستهجن الا ما انتم مرتكبوه وخابطون فيه قال صاحب البحترى اما اخذ السهو والغلط على من اخذ من المتقدمين والمتاخرين فى البيت الواحد والبيتين والثلاثة وربما سلم الشاعر المكثر من ذلك بتة وتعرى منه حتى لا توخذ عليه لفظة وابو تمام لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة ابيات يكون فيها مخطئا او محيلا او عن الغرض عادلا او مستعيرا استعارة قبيحة او مفسدا للمعنى الذى يقصد بطلب الطباق والتجنيس اومبهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم ولا يوجد له مخرج مما لو عددناه لكان كثيرا فاحشا فكيف يكون ما اخذ على الشعرآء من الوهم وقليل الغلط عذرا لمن لا تحصى معايبه ومواقع الخطأ فى شعره وعلى ان اكثر ما عددتموه مما اخذته الرواة على الشعرآء صحيح والسهو فيه انما دخل على الرواة ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه قال صاحب ابى تمام الطائى فبم تدافعون قول البحترى يرثى ابا تمام ودعبلا ويذم من بقى بعدهما من الشعرآء

قد زاد فى حزنى واوقد لوعتى * مثوى حبيب يوم مات ودعبل
وتقاصرت بالخثعمى وشبهه * من كل مضطرب القريحة مخبل
اهل المعانى المستحيلة ان هم * طلبوا البراعة بالكلام المقفل
اخوى لا تزل السمآء مخيلة * تغشاكما بحيا السحاب المسبل
جدث لدى الاهواز يبعد دونه * مسرى النعى ورمة بالموصل

قال ان يرثى البحترى ابا تمام ويذكر من بعده من الشعرآء بان قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده ان ابا تمام تلك صفته فلم تنكرون فضل من يعترف البحترى بفضله ويشهد فى الشعر له وتنسبون العيب اليه وهذه صفته عنده وتلحقونه به وهو برئ منه قال صاحب البحترى ولم لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وابو تمام مدة اجتماعهما وتفارقهما متصافيين على القرب والبعد متحابين متلائمين على النوى والشحط يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب ولم يكن فى زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجتدى بالشعر وينتسب الى طى سواهما فليس بمنكر ان يشهد احدهما لصاحبه بالفضل ويصفه باحسن ما فيه وينحله ما ليس فيه وخاصة فى الشعر ثم تابين الميت فان العادة جرت بان يعطى من التقريظ والوصف وجميل

الذكر اضعاف ما كان يستحقه فلا تدفعوا العيان فلن يمحق وصف البحتري ابا تمام في حياته وتابينه اياه بعد وفاته ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره

قال صاحب ابي تمام فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرا من العلماء بالشعر يقولون جيد ابي تمام لايتعلق به جيد امثاله واذا كان كل جيد دون جيده لم يضر ما يؤثر من رديئه قال صاحب البحتري انما صار جيد ابي تمام موصوفا لانه يأتي في تضاعيف الردى الساقط فيجيء رائقا لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالاضافة ولهذا قال له ابو هفان اذا طرحت درة في بحر خرء فمن الذي يغوص عليها ويخرجها غيرك والمطبوع الذي هو مستوى الشعر قليل السقط لايبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة ومن اجل ذلك صار جيد ابي تمام معلوما وعدده محصورا وهذا عندي انا هو الصحيح لاني نظرت في شعر ابي تمام والبحتري وتلقطت محاسنهما ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الاوقات فما من مرة الا وانا الحق في اختيار شعر البحتري ما لم اكن اخترته من قبل وما اعلم اني زدت في اختيار شعر ابي تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديما قال صاحب ابي تمام افتنكرون كثرة ما اخذه البحتري من ابي تمام واغراقه في الاستعارة من معانيه فايهما اولى بالتقدمة المستعير او المستعار منه وقد ابتدأنا بالجواب عن هذا في صدر كلامنا ونحن نتمه في هذا الموضع ان شا الله تعالى اما ادعاوكم كثرة الاخذ منه فقد قلنا انه غير منكر ان يكون اخذ منه من كثرة ما كان يرد على سمع البحتري من شعر ابي تمام فيعلق معناه قاصدا الاخذ او غير قاصد لكن ليس كما ادعيتم وادعاه ابو الضيا بشر بن تميم في كتابه لانا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه وتجري طباع الشعراء عليه فجعله مسروقا وانما السرق يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك فما كان من هذا الباب فهو الذي ذكره البحتري من ابي تمام لا ما ذكره ابو الضيا وحشا به كتابه وانا اذكر هذين الشيئين في موضعهما من الكتاب وابين ما اخذه البحتري من ابي تمام على الصحة دون ما اشتركا فيه اذ كان غير منكر لشاعرين متناسبين من اهل بلدين متقاربين ان يتفقا في كثير من المعاني لا سيما ما تقدم الناس فيه وتردد في الاشعار ذكره وجرى في الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله وبعد فينبغي ان تتاملوا محاسن البحتري ومختار شعره والبارع من معانيه والفاخر من كلامه فانكم لاتجدون فيه على غزره وكثرته

حرفا واحدا مما اخذه من ابى تمام واذا كان ذلك انما يوجد فى المتوسط من شعره فقد قام الدليل على انه لم يعتمد اخذه وانه انما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده (تم احتجاج الخصمين بحمد الله) وانا ابتدى بذكر مساوى هذين الشاعرين لاختم بذكر محاسنهما واذكر طرفا من سرقات ابى تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ومساوى البحترى فى اخذ ما اخذه من معانى ابى تمام وغير ذلك من غلط فى بعض معانيه ثم اوازن من شعريهما بين قصيدتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية ثم بين معنى ومعنى فان محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتنكشف ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجود من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه وافرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للامثال اختم بهما الرسالة واضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما واجعله مولفا على حروف المعجم ليقرب متناوله ويسهل حفظه وتقع الاحاطة به ان شا الله تعالى (سرقات ابى تمام) كان ابو تمام مشتهرا بالشعر مشغوفا به مشغولا مدة عمره بتخميره ودراسته وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة منها الاختيار القبائلى الاكبر اختار فيه من كل قصيدة وقد مر على يدى هذا الاختيار ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلى اختار فيه قطعا من محاسن اشعار القبائل ولم يورد فيه كبير شئ للمشهورين ومنها الاختيار الذى تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام واخذ من كل قصيدة شيا حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمة وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعرآء الفحول ومنها اختيار تلقط فيه اشيا من الشعرآ المقلين والشعرآء المغمورين غير المشهورين وبوبه ابوابا وصدره بما قيل فى الشجاعة وهو اشهر اختياراته واكثرها فى ايدى الناس ويلقب بالحماسة ومنها اختيار المقطعات وهو مبوب على ترتيب الحماسة الا انه يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم والقدمآء والمتاخرين وصدره بذكر الغزل وقد قرأت هذا الاختيار وتلقطت منه نتفا وابياتا كثيرة وليس بمشهور شهرة غيره ومنها اختيار مجرد فى اشعار المحدثين وهو موجود فى ايدى الناس وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وانه اشتغل به وجعله وكده واقتصر من كل الاداب والعلوم عليه فانه ما شئ كبير من شعر جاهلى ولا اسلامى ولا محدث الا قراه واطلع عليه ولهذا اقول ان الذى خفى من سرقاته اكثر مما قام منها على كثرتها وانا اذكر ما وقع الى فى كتب الناس من سرقاته وما استنبطته انا

منها واستخرجته فان ظهرت بعد ذلك منها على شئ الحقته بها ان شا الله قال الكميت الاكبر وهو الكميت بن ثعلبة

ولا تكثروا فيها الضجاج فانه * محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا

اخذه الطائى فقال السيف اصدق انبآء من الكتب وذلك ان اهل التنجيم كانوا حكموا بان المعتصم لايفتح عمورية وراسلته الروم انا نجد فى كتبنا ان مدينتنا هذه لاتفتح الا فى وقت ادراك التين والعنب وبيننا وبين ذلك الوقت شهور يمنعك من المقام فيها البرد والثلج فابى ان ينصرف واكب عليها حتى فتحها وابطل ما قالوه فلذلك قال الطائى السيف اصدق انبآ من الكتب وهو احسن ابتدآئه وقال النابغة يصف يوم الحرب

تبدو كواكبه والشمس طالعة * لا النور نور ولا الاظلام اظلام

اخذه الطائى فقال وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان فى الحريق الذى وصفه

ضوء من النار والظلماء عاكفة * وظلمة من دخان فى ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد افلت * والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال الاعشى وان صدور العيس سوف يزوركم * ثناء على اعجازهن معلق

اخذه الطائى فقال من القلاص اللواتى فى حقائبها * بضاعة غير مزجاة من الكلم

وقال مسلم بن الوليد فى صفة الخمر

قتلت وعاجلها المدير ولم يتد * فاذا به قد صيرته قتيلا

اخذه الطائى واحسن الاخذ فقال

اذا اليد نالتها بوتر توقرت * على ضغنها ثم استقادت من الرجل

وان كان اخذها من ديك الجن فلا احسان له لانه اتى بالمعنى بعينه قال ديك الجن

تظل بايدينا تتعتع روحها * وتأخذ من اقدامنا الراح ثارها

كذا وجدته فيما نقلته وليس ينبغى ان يقطع على ايهما اخذ من صاحبه لانهما كانا فى عصر واحد وقال الاعشى

وارى الغوانى لايواصلن امرءا * فقد الشباب وقد يصلن الامردا

اخذ الطائى المعنى والصفة فقال

احلى الرجال من النسآ مواقعا * من كان اشبههم بهن خدودا

وقال البعيث

وانا لنعطى المشرفية حقها * فتقطع فى ايماننا وتقطع

فقال الطائى

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقال الطائى

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

اخذ صدر البيت من قول كثير

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * قلائص فى اصلابهن نحول

ويشبه قول البعيث

اطاف بشعث كالاسنة هجد * بخاشعة الاصواء غبر صحونها

واخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر

غلام وغى تقحمها فابلى * فخان بلاءه الدهر الخوون

فكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

وقال جران العود يصف الخيال

سقيا لزورك من زور أتاك به * حديث نفسك عنه وهو مشغول

فذكر العلة فى طروق الخيال وهو السابق لهذا المعنى فاخذه العباس ابن الاحنف فقال

خيالك حين ارقد نصب عينى * الى وقت انتباهى ما يزول

وليس يزورنى صلة ولكن * حديث النفس عنك هو الوصول

فتبعه الطائى فقال

زار الخيال لها لابل ازاركه * فكر اذا نام فكر الخلو لم ينم

وقال فى هذا المعنى ايضا

ثم فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقال ابو تمام الطائى

اما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح فيك كما علمت جليل

فاذهب فانت طليق عرضك انه * عرض عززت به وانت ذليل

اخذه من قول هشام المعروف بالخاو احد الشعراء البصريين يهجو بشار بن برد

بذلة والديك كسبت عزا * وباللؤم اجترأت على الجواب

فاخذه ابراهيم بن العباس فاجاد واحسن

نجابك عرضك منجى الذباب حمته مقاذره ان ينالا

وقال الطائى

والشيب ان طرد الشباب بياضه * كالصبح احدث للظلام افولا

اراد قول الفرزدق

والشيب ينهض فى الشباب كانه * ليل يصيح بجانبيه نهارا

فقصر عنه وقال قيس بن ذريح

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى * وان هو لاقاها فغير بليغ

اخذه الطائى فقال

لم تنكرين مع الفراق تبلدى * وبراعة المشتاق ان يتبلدا

وقال الحطيئة

اذا هم بالاعداء لم يثن همه * حصان عليها لؤلؤ وشنوف

فاخذه كثير فقال

اذا هم بالاعداء لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها

اخذه الطائى فخلط لقصده الى مجانسة اللفظ فقال

عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

اخذه الطائى فقال

وقد ظللت عقبان اعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل

اقامت مع الرايات حتى كانها * من الجيش الا انها لم تقاتل

فاتى فى المعنى زيادة وهى قوله الا انها لم تقاتل وجاء به فى بيتين وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى فاول من سبق اليه الافوه الاودى وذلك قوله

وترى الطير على آثارنا * رأى عين ثقة ان ستمار

فتبعه النابغة فقال

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد ايقن ان قبيله * اذا ما التقى الجمعان اول غالب

فاخذه حميد ابن ثور فقال يصف الذئب

اذا ما غزا يوما رايت غيابة * من الطير ينظرن الذى هو صانع

وقال ابو نواس تتأى الطير غزوته * ثقة بالشبع من جزره

اى تتعمد وتتقصد وقال منصور النمرى يمدح الرشيد

وعين محيط بالبرية طرفها * سوآء عليه قربها وبعيدها

اخذه ابو تمام فقال

اطل على كلا الافاق حتى * كان الارض فى عينيه دار

عجز هذا البيت حسن جدا وبيت النمرى احب الى لان معناه اشرح

وقال مسلم بن الوليد

فلما انتضى الليل الصباح وصلته * بحاشية من لونه المتورد

اخذه ابو تمام فقال

حطت على قبة الاسلام راحله * والشمس قد نفضت ورسا على الاصل

هذا ما ذكره ابن المنجم والذى اظنه انه اخذه من قول الآخر والشمس صفرآ كلون الورس وقال مرار الفقعسى فى وصف الاثافى

اثر الوقود على جوانبها * بخدودهن كانه لطم

اخذه ابو تمام فقال

اثاف كالخدود لطمن حزنا * ونؤى مثلما انفصم السوار

اورد المعنى فى مصراع واتى بالمصراع الثانى بمعنى آخر يليق به فاجاد الا ان بيت المرار اشرح واوضح معنى لقوله اثر الوقود على جوانبها فابان المعنى الذى من اجله اشبه الخدود الملطومة وقال ابو نواس

فالخمر ياقوتة والكأس لولؤة * من كف لولؤة ممشوقة القد

اخذه ابو تمام فقال واساء

او درة بيضآء بكرا طبقت * حبلا على ياقوتة حمرآء

لان قوله حبلا كلام قبيح مستكره جدا وقال ابو تمام

نقل فوادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

اخذه من قول كثير

اذا وصلتنا خلة كى تزيلها * ابينا وقلنا الحاجبية اول

وذكر محمد بن داود بن الجراح فى كتابه انه اخذ المعنى من قول الطثرية اذ تقول

اتانى هواهـا قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وهذا اجود ما قيل فى هذا المعنى لانه ذكر العلة وقال ابو تمام

وما سافرت فى الآفاق الا * ومن جدواك راحلتى وزادى

مقيم الظن عندك والامانى * وان قلقت ركابى فى البلاد

اخذه من قول ابى نواس

وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

وقد كان ابن ابى داود ساله عن هذ المعنى حين انشده القصيدة فقال اهو مما اخترعته فقال اخذته من قول ابن هانى وان جرت الالفاظ يوما بمدحة وقال ابن الخياط فى قصيدة يمدح بها المهدى فاجازه بجائزة ففرقها فى الدار فبلغه فاضعف له الجائزة فقال

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى * ولم ادر ان الجود من كفه يعدى

اخذه ابو تمام فقال

علمنى جودك السماح فما * ابقيت شيئا لدى من صلتك

وبيت ابن الخياط ابلغ واجود وقال دعبل بن على

وان امرءا اسدى الى بشافع * لدى يرجى الشكر منى لاحق

شفيعك فاشكر فى الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

اخذه ابو تمام فقال والطف المعنى واحسن اللفظ

فلقيت بين يديك حلو عطائه * ولقيت بين يدى مر سؤاله

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة * من جاهه فكانها من ماله

وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب واخطا فى المعنى

كذلك الغيث يرجى فى محجبه * حتى يرى مسفرا عن وابل المطر

اخذه ابو تمام فقال

ليس الحجاب بمقص عنك لى املا * ان السماء ترجى حين تحتجب

الا ان لبيت ابى تمام وجها من الصواب وقد ذكرته فى باب فى هذا الكتاب مع ما اخذ على مسلم فى بيته من العيب

وقال النابغة الجعدى

وتستلب الدهم التى كان ربها * ضنينا بها والحرب فيها الحرائب

فاخذه ابو تمام فقال وقصر عنه

لما راى الحرب راى العين توفلس * والحرب مشتقة المعنى من الحرب

او اخذه من قول ابراهيم بن المهدى

ومسعر الحرب واسم الحرب قد علموا * لو ينفع العلم مشتق من الحرب

وقالت مريم بنت طارق ترثى اخاها فى ابيات انشدها ابن الانبارى فى اماليه

كنا كانجم ليل بينها قمر * يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

اخذ ابو تمام اللفظ والمعنى فقال

كان بنى نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

او اخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك

امسى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من بينها القمر

ولست ادرى ايهما اخذ من صاحبه امريم اخذت من جرير ام جرير اخذ منها
وروى دعبل بن على الخزاعى لابى سلمى المزنى من ولد زهير واسمه مكنف الذى
يهجو بنى القعقاع آل ذفافة العبسى فيقول * ان الضراط به تعاظم مجدكم
فتعاظموا ضرطا بنى القعقاع

قال دعبل فلما مات ذفافة رثاه ابو سلمى فقال

ابعد ابى العباس يستعتب الدهر * وما بعده للدهر عتبى ولا عذر

الا ايها الناعى ذفافة ذا الندى * تعست وشلت من انامك العشر

ولا مطرت ارضا سماء ولا جرت * نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كان بنى القعقاع بعد وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

توفيت الامال بعد ذفافة * فاصبح فى شغل عن السفر السفر

يعزون عن ثاو تعزى به العلا * ويبكى عليه الباس والمجد والشعر

وما كان الا مال من قل ماله * وذخرا لمن امسى وليس له ذخر

قال ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال ابو محمد اليزيدى انشدنى دعبل
هذه القصيدة وجعل يعجبنى من الطائى فى ادعائه اياها وتغييره بعض ابياتها
وقال مسلم بن الوليد يرثى

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * اثنى عليها السهل والاجبال

اخذ ابو تمام المعنى وقصر فى العبارة فقال

وقفنا فقلنا بعد ان افرد الثرى * به ما يقال فى السحابة تقلع

وتقصيره عن مسلم ان مسلما قال اثنى عليها السهل والاجبال فاراد ان هذه السحابة عمت بنفعها وفى قول ابى تمام ما يقال فى السحابة تقلع ابهام لانه لم يفصح بالثناء عليها وانها نفعت وقد يقال فى السحابة اذا اقلعت ما هو غير المدح والثناء اذا نزلت فى غير حينها وفى غير وقت الحاجة اليها وكثيرا ما يضر المطر اذا كانت هذه حاله وان كان ابو تمام لم يرد هذا القسم وانما اراد القسم الآخر فقط فقصر فى العبارة والشرح الاترى الى قول الشاعر الاول ما احسن ما شرط وهو طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

قال غير مفسدها لما دعا لها بالسقيا الذى يدوم وقال البحترى

الح جودا فلم تضرر سحائبه * وربما ضر عند الحاجة المطر

وقول ابى تمام ما يقال فى السحابة تقلع يحتاج الى تفسير مع سرقته وقال العباس بن الاحنف

ساطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

اخذه الطائى فقال

آلفة النحيب كم افتراق * اظل فكان داعية اجتماع

وبيت الاعرابى وهو عروة بن الورد اجود من بيتهما وهو قوله

تقول سليمى لو اقمت بارضنا * ولم تدر انى للمقام اطوف

وقال ابو تمام

اسربل هجر القول من لو هجرته * اذا لهجانى عنه معروفه عندى

اخذ المعنى من قول بعض الخوارج وسامه قطرى بن الفجاء قتال الحجاج فابى لان الحجاج كان من عليه فقال

اقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بانها مولاته

انى اذا لاخو الدناءة والذى * غطت على احسانه جهلاته

ماذا اقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف فاحتجت له فعلاته

اقول جار على لا انى اذا * لاحق من جارت عليه ولاته

وتحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لدى فحنظلت نخلاته

وقال قيس بن الحطيم

وقضى الله حين صورها الخالق ان لا يكنها سدف

اخذه ابو تمام فقال

فعجبت من شمس اذا حجبت بدت * من نورها فكانها لم تحجب

او اخذه من قول ابى نواس

ترى ضوءها من ظاهر الكاس ظاهرا * عليك ولو غطيتها بغطاء

وقال مسلم بن الوليد

يصيب منك مع الآمال طالبها * حلما وعلما ومعروفا واسلاما

اخذه ابو تمام فقال وبرز عليه وان كان بيت مسلم اجمع للمعنى

ترمى باشباحنا الى ملك * نأخذ من ماله ومن أدبه

وقال ابو نواس

تبكى البدور لضحكه * والسيف يضحك ان عبس

اراد بالبدور جمع بدرة فاخذه ابو تمام فقال وقصر عنه

كل يوم له وكل آوان * خلق ضاحك ومال كئيب

فبازآ هذا البيت قول ابى نواس تبكى البدور لضحكه وقوله والسيف يضحك ان عبس فضل وقال جرير وهن اضعف خلق الله اركانا اخذه ابو تمام فجعله فى الخمر فقال وضعيفة فاذا اصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء

وقال رجل من بنى اسد وكان ابو عبدالله الجرشى احد شعراء الشاميين انشدنيه لبعض شعراء بنى اسد

تغيبت كى لا تحتوينى دياركم * ولو لم تغب شمس النهار لملت

اخذه الطائى فقال

فانى رايت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

فاما قول الايادى

فانى رايت القطر يسأم دائبا * ويسأل بالايدى اذا هو أمسكا

فمن ابى تمام اخذه لانه متأخر بعده وقال مسلم بن الوليد

موف على مهج واليوم ذو رهج * كانه اجل يسعى الى امل

فاخذه الطائى فقال وقصر

راه العلج مقتحما عليه * كما اقتحم الفناء على الخلود

وقال قطرى بن الفجاءة

ثم انثنيت وقد اصبت ولم اصب * جذع البصيرة قارح الاقدام

اخذه ابو تمام فقال

ومجربون سقاهم من بأسه * فاذا لقوا فكانهم اغمار

وقد ذكر هذا المعنى فى بيت آخر فقال

كهل الاناة فتى الشذاة اذا غدا * للحرب كان الماجد الغطريفا

وقال آخر

يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار

ويروى بالرماح اخذه الطائى فقال وقصر وغير المعنى وجاء بغرض آخر

لقط لاخلاق التجار وانهم * لغدا بما ادخروا له لتجار

وقال ابو نواس يمدح الخصيب

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

وقال جرير يهجو الاخطل

ما زلت تحسب كل شئ بعدهم * خيلا تكر عليكم ورجالا

اخذه ابو تمام فقال

حيران يحسب سجف النقع من دهش نقى يحاذر ان ينقض او جرفا

واخذ جرير المعنى من قول الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم وقال مسلم يرثى

سلكت بك العرب السبيل الى العلى * حتى اذا سبق الردى بك داروا

نفضت بك الامال احلاس المنى * واسترجعت نزاعها الامصار

اخذه ابو تمام فقال

توفيت الآمال بعبد محمد * فاصبح مشغولا عن السفر السفر

او اخذ ذلك من قول ابى سلمى يرثى ذفافة العبسى كما حكى دعبل

وقال توبة بن الحمير

يقول اناس لايضرك نأيها * بلى كل ما شف النفوس يضيرها

اخذه ابو تمام فقال وزاد فيه

لاشئ ضائر عاشق فاذا نأى * عنه الحبيب فكل شئ ضائر

وقال عنتره

فشككت بالرمح الطويل ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

اخذه ابو تمام فقال

يحملن كل مدجج سمر القنا * باهابه اولى من السربال

قال ذلك لانه ظن ان عنترة اراد الثياب نفسها وانما اراد عنترة بقوله ثيابه نفسه

وقال مسلم بن الوليد

يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

اخذه ابو تمام واسآ الاخذ وتعسف اللفظ فقال

ابدلت رؤسهم يوم الكريهة من * قنا الظهور قنا الخطى مدعما

او اخذ المعنى جميعا من قول جرير

كان رؤس القوم فرق رما حنا * غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

وقال امرؤ القيس

سموت اليها بعد ما نام اهلها * سمو حباب المآ حالا على حال

اخذه ابو تمام وعدل به الى وجه المديح فقال

سما للعلا من جانبيه كليهما * سمو حباب المآ جاشت غواربه

وما قيل فى اخفآ الحركة والدبيب ابلغ ولا ابرع من بيت امرء القيس هذا

وقال الفرزدق يهجو جريرا

انتم قرارة كل مدفع سوءة * ولكل سائلة تسيل قرار

اخذ ابو تمام اللفظ والمعنى جميعا فقال

وكانت لوعة ثم اطمانت * كذاك لكل سائلة قرار

وقال محمد بن بشير الخارجى من خارجة عدوان

واذا رايت صديقه وشقيقه * لم تدر ايهما اخو الارحام

اخذه ابو تمام فقال

فلو ابصرتهم وازا ئرهم * لما مزت الحميم من البعيد

فقصر عن الاول وقال بعض الاعراب يصف المصاوب انشده ثعلب

قام ولما يستعن بساقه * الف مثواه على فراقه * كانما يضحك فى اشراقه *

اخذ ابو تمام قوله الف مثواه على فراقه فقال

لا يبرحون ومن وراهم خالهم * ابدا على سفر من الاسفار

وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سبق اليه

لا يستطيع يزيد من طبيعته * عن المروة والمعروف احجاما

اخذ ابو تمام المعنى فكشفه واحسن اللفظ واجاده فقال

تعود بسط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه انامله

وقال ذو الرمه

وليل كجلباب العروس ادرعته * باربعة والشخص فى العين واحد

احم علافى وابيض صارم * واعيس مهرى واروع ماجد

اخذه ابو تمام فقصر وليس هو المعنى بعينه فقال

البيد والعيس والليل التمام معا * ثلاثة ابدا يقرن فى قرن

والذى اتبع ذا الرمة فاحسن الاتباع البحترى فى قوله

ياخليلى بالسواحر من ادبن معن وبحتر بن عتود

اطلبا ثالثا الى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

وقال النابغة الذبيانى وكان الاصمعى يعجب من جودته

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته * وهل على بان اخشاك من عار

اخذه ابو تمام فقال وزاد ذكر الموت

خضعوا لصولتك التى هى عندهم * كالموت ياتى ليس فيه عار

وقال كعب بن زهير يمدح قريشا

لايقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

اخذه ابو تمام كما قال لى بعض الرواة فقال يرثى حيدا

لو خر سيف من العيوق منصلتا * ما كان الا على هاماتهم يقع

روى الشاميون ان ابا تمام سئل عن هذا المعنى فقال اخذته من قول نادبة لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما اخطأ فاما قول كعب لايقع الطعن الا فى نحورهم فانما اراد انهم لايولون الدبر وليس من معنى ابى تمام فى شئ وقال يصف الراية

تخفق اثنا ؤها على ملك * يرى طراد الابطال من طرده

اخذه من قول ابى نواس تعد عين الوحش من اقواتها واخذه ابو نواس

من قول ابي النجم تعد عانات الموى من مالها وقال ابو تمام يستهدى نبيذا

وهى نزر لو انها من دموع الصب لم يشف منه حر الغليل

اخذه من قول الآخر او اخذه الآخر منه والمعنيان متشابهان

لو كان ما اهديته اثمدا * لم يكف الا مقلة واحده

وقال يصف مغنية تغنى بالفارسية

ولم افهم معانيهـا ولكن * شجت كبدى فلم اجهل شجاها

اخذه من قول الحصين بن الضحاك على ما فى قول الخليع من المناقضه

وما افهم ما يعنى * مغنينـا اذا غنى

سوى انى من حبى * له استحسن المعنى

لانه قال ما افهم ما يعنى ثم قـال استحسن المعنى وانما اراد بالمعنى اللحن لامعنى القول واجود من ذلك كله قول حميد بن ثور يصف الحمامة

ولم ار مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت اعجمـا

وقال الفرزدق يرثى امراة له ماتت حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم انح * عليه ولم ابعث عليه البواكيا

وفى بطنه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا امهلته لياليا

فقال ابو تمام واجاد اللفظ واحسن الاخذ واصاب التمثيل فقال يرثى ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر

لهفى على تلك المخايل فيهما * لو امهلت حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رايت نموه * ايقنت ان سيكون بدرا كاملا

وقال ابو تمام

صلتان اعداؤه حيث كانوا * فى حديث من ذكره مستفاض

فاخطا فى قـوله مستفاض وانما هـو مستفيض وقـد احتج له محتج بان قال اراد مستفاض فيه وانما جعلهم يفيضون فى ذكره لانهم ابدا على حال وجل واحتراس من ايقاعه بهم فهم لايقطعون ذكره من شدة الخوف منه الا تراه قـال حيث حلوا اى هم بهذه الحال قريبا كانت دراهم منه او بعيدا واخذ هذا المعنى من قول اعشى باهلة يرثى اخاه لامه المنتشر

لايامن القوم ممساه ومصبحه * فى كل فج وان لم يغز ينتظر

او من قول عروة الصعاليك

وان بعدوا لا يامنون اقترابه * تشوف اهل الغايب المنتظر

وهذان البيتان جميعا اوضح واشرح واجود من بيت ابي تمام وقد قيل انه اراد ان اعداءه يقرون بفضله ويفيضون فى ذكر مناقبه وذلك محتمل والمعنى الاول اقوى وافشى فى كلامهم وقال بشار بن برد

شربنا من فواد الدن حتى * تركنا الدن ليس له فواد

اخذه ابو تمام فقصر عنه فقال

غدت وهى اولى من فوادى بعزمتى * ورحت بما فى الدن اولى من الدن

وقال الاخطل

تدب دبيبا فى العظام كانها * دبيب نمال فى نقا يتهيل

اخذه ابو تمام فافسد المعنى فقال

اذا الراح دبت فيه تحسب جسمه * لما دب فيه قرية من قرى النمل

وقال ابو داود الايادى

لا اعد الاقلال عدما ولكن * فقد من قد فقدته الاعدام

اخذ ابو تمام صدر البيت فقال

لايحسب الاقلال عدما بل يرى * ان المقل من المروءة معدم

وقال ابو الهندى

وترى سهيلا فى السماء كانه * ثور يعارضه هجان الربرب

اخذه ابو تمام فقال

اراعى من كواكبه هجانا * سواما لاتريع الى المسيم

وقال ابو نواس

شققت من الصبا واشتق منى * كما اشتقت من الكرم الكروم

اخذه ابو تمام فقال

الذ مصافاة من الظل فى الضحى * واكرم فى اللأوآء عودا من الكرم

وقال مسلم بن الوليد

تمضى المنايا كما تمضى اسنته * كان فى سرجه بدرا وضرغاما

اخذه ابو تمام فقال

ـنى من يديه الباس يضحك والندى * وفى سرجه بدر وليث غضنفر

وقال ابن هرمة

استبق عينيك لايود البكا بهما * واكفف بوادر من عينيك تستبق

اخذه ابو تمام فقال

ليس الشؤون وان جادت بباقية * ولا الجفون على هذا ولا الحدق

وقال ايضا

ولا يبقى على ادمان هذا * ولاهذا العيون ولا القلوب

وقال ابو تمام يهجو السراج

يا ابن الخبيثة لم تعرض صخرة * صماء من مجدى بعرض زجاج

اخذه من قول الاخر واظنه بشارا

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته * فانه عربى من قوارير

وقال الشاعر

مهامه اشباه كان سرابها * ملا بايدى الغاسلات رحيض

اخذه ابو تمام فقال

وبساط كانما الآل فيه * وعليه سحق الملاء الرحيض

وقال ابو تمام

فاشملوا يلجلجون دؤوبا * مضغا للكلال فيها انيض

اخذه من قول زهير

تلجلج مضغة فيها انيض * اصلت فهى تحت الكشح داء

وقال ابونواس

سن للناس الندى فندوا * فكان البخل لم يكن

اخذه ابو تمام فقال

مضوا وكأن المكرمات لديهم * لكثرة ما اوصوا بهن شرائع

وقال فى الغزل

مستحيل ان تحتويك الظنون * كيف يحوى ما لاتراه العيون

غير انا نقول انك خلق * حركات مفعولة وسكون

اخذه من قول ابى نواس وقصر عنه

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار * الى قرار مكين
حتى بدت حركات * مخلوقة من سكون

وقال ابو العتاهية

كم نعمة لا يستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه

اخذه الطآى فقال واحسن لانه جا بالزيادة التى هى عكس الشى الاول

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقال اخر ولست ادرى اهو قبل الطآى او فى ايامه

ما كنت احسب ان بحرا زاخرا * عم البرية كلها ارواء
اضحى دفينا فى ذراع واحد * من بعد ما ملاء الفضآ فضاء

فقال الطآى واربى عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة * باسقائها قبرا وفى لحده القبر (لعله بحر)

وقال آخر

نوى كما نقص الهلال محاقه * اومثل ما فصم السوار المعصم

اخذه ابو تمام فقال ونوى مثلما انفصم السوار وقال اخر فى السحاب

كان عينين باتا طول ليلهما * يستمطران على غدرانه المقلا

فقال الطآى وحول المعنى واجاد

كان الغمام الغر غين تحتها * حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وقال الطآى

وليست بالعوان العنس عندى * ولا هى منك بالبكر الكعاب

اخذه من قول الفرزوق

وعند زياد لو يريد عطاءهم * رجال كثير قد ترى بهم فقرا
قعود لدى الابواب طالب حاجة * عوان من الحاجات اوحاجة بكرا

وقال الآخر وهو معبد الهذلى

اى عيش عيشى اذا كنت منه * بين حل وبين وقت الرحيل
كل فج من البلاد كانى * طالب بعض اهله بذحول

فقال الطاى

كان له دينا على كل مشرق * من الارض اوثارا لدى كل مغرب

وقال اخر وانشده ابن ابى طاهر والاخفش الارقط بن دعبل

نهذه دموعك من سح وتسجام * البين اكثر من شوق واسقامى

وما اظن دموع العين راضية * حتى تسح دما هطلا بتسجام

اخذ الطائى معنى البيتين ولفظهما فقال

ما اليوم اول توديعى ولا الثانى * البين اكثر من شوقى واحزانى

وما اظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغنى اقصى خراسان

وانشدنى ابن طاهر لدعبل

ان جاءه مرتغبا سائل * آلت عليه رغبة السائل

اخذه ابو تمام فقال

وانى لارجو عاجلا ان تردنى * مواهبه بحرا ترجى مواهبى

وقال دعبل بن على

واسمر فى راسه ازرق * مثل لسان الحية الصادى

اخذه الطائى فقال

مثقفات سلبن الروم زرقتها * والعرب ادمتها والعاشق القضفا

فزاد المعنى بان شبه زرقتها بزرقة الروم وسمرتها بسمرة العرب ولكن قول دعبل مثل لسان الحية الصادى ليس لحسنه نهاية وقال ابونواس

واطعم حتى ما بمكة آكل * واعطى عطاء لم يكن بضمان

اخذ الطائى معنى صدر البيت فقال

فنول حتى لم يجد من ينيله * وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وقال ابونواس فى ارجوزة يصف فيها الحمام ويمدح فيها قوما

يسكرهم قبل النوال اللاحق * كالبرق يبدو قبل جود دافق

والغيث يخفى وقعه للرامق * ان لم يجده بدليل البارق

اخذ المعنى ابو تمام فقال

يستنزل الامل البعيد ببشره * بشر الخيلة بالربيع المغدق

وكذا السحائب قلما تدعو الى * معروفها الرواد ما لم تبرق

وقال ابو العتاهيه

وانا اذا ما تركنا السوال * منه فلم نبغه يبتدينا
وان نحن لم نبغ معروفه * فمعروفه ابدا يبتغينا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت ابى العتاهيه الاول

اخ لى يعطينى اذا ما سالته * ولو لم اعرض بالسوال ابتدانيا

اخذه ابو تمام معنى البيت ومعنى بيت ابى العتاهية الاول فقال

ورايتنى فسالت نفسك سيبها * لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

او لعله اخذه من قول منصور النمرى

رايت المصطفى هارون يعطى * عطاء ليس ينتظر السوالا

واجود من هذا كله قول سلم الخاسر

اعطاك قبل سؤاله * فكفاك مكروه السؤال

واخذ ابو تمام معنى بيت ابى العتاهيه الثانى فقال

كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان تحملت عنه كان فى الطلب

وقال مسلم

وما كان مثلى يعتريك رجاؤه * ولكن اسآت شيمة من فتى محض

اخذه ابو تمام وزاد زيادة حسنة فقال

فان كان ذنبى ان احسن مطلبى * اساءة فى سوء القضاء لى العذر

وانشد ابو تمام فى الحماسه

ترد السباع معى فالفى كالمدل من السباع

اخذ المعنى من فيه فقال

ابن مع السباع الماء حتى * لخالته السباع من السباع

وقال النظار بن هاشم الازدى

يعف المرؤ ما استحيا ويبقى * نبات العود ما بقى اللحاء
وما فى ان يعيش المرؤ خير * اذا ما المرؤ زايله الحياء

اخذ ابو تمام معنى البيتين واكثر لفظهما فقال

يعيش المرؤ ما استحيا بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء
فلا والله ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال ابو نواس

ابن لى كيف صرت الى حريمى * ونجم الليل مكتحل بقار

اخذه الطائى فقال

اليك هتكنا جنح ليل كانه * قد اكتحلت منه البلاد باثمد

وسمع ابو نواس يقول

تبكى فتذرى الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

فقال واساء كل الاساءة وقبح صدر البيت

ملطومة بالورد اطلق طرفها * فى الخلق فهو مع المنون محكم

وقال ابو تمام

ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفؤاد

اخذه من الجعد بن ضمام احد بنى عامر بن سنان ذكره ابو تمام فى اختيارات القبائل

ان البيان مع الفؤاد وانما * جعل اللسان بما يقول رسولا

وقال طريح الثقفى يرثى قوما

فلله عينا من رأى قط حادثا * كفرس الكلاب الاسد يوم المثلل

اخذه ابو تمام فاجاد الاخذ فقال

من لم يعاين ابا نصر وقاتله * فما رأى ضبعا فى شدقها سبع

وهذا معنى متداول وقد يجوز ان يكون اخذه الطائى من غير هذا الموضع وقال مروان بن ابى حفصة

ما ضرنى حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

اخذه ابو تمام فقال وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

وقال ابو ذهيل الجمحى

ما زلت فى العفو للذنوب واطلاق لعان بجرمه غلق

حتى تمنى البراة انهم عندك امسوا فى القد والحلق

اخذه ابو تمام فقال

وتكفل الايتام عن ابائهم * حتى وددنا اننا ايتام

وقال زيد الخيل الطائى

واسمر مربوع يرى ما رأيته * بصير اذا صوبته بالمقاتل

اخذه ابو تمام فقال

من كل اسمر نظار بلا نظر * الى المقاتل ما فى متنه اود

وقال ابو نخيلة فى مسلمة بن عبد الملك

ونوهت من ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر انبه من بعض

اخذه ابو تمام فقال

لقد زدت اوضاحى امتدادا ولم اكن * بهيما ولا ارضى من الارض مجهلا
ولكن اياد صادفتنى جسامها * اغر فوافت بى اغر محجلا

وقال المسيب بن علس

هم الربيع على من كان حلهم * وفى العدو منا كيد مشائيم

وقال غلافة بن عركى التيمى يرثى قوما

وكنتم قديما فى الحروب وغيرها * ميامين للادنى لاعدائكم نكدا

ومثله قول كعب بن الجزم

بنو رافع قوم مشائيم للعدى * ميامين للمولى وللمتحرم

اخذ الطائى هذا المعنى فقال فى مدح ابى سعيد

اذا ما دعوناه باجلح ايمن * دعاه ولم يظلم باصلع انكد

وقال دكين الراجز عارى الحصى يدرس ما لم يدابس     فقال ابو تمام

تجدد كلما لبست وتبقى * اذا ابتذلت وتخلق فى الحجاب

او اخذه من قول الراجز

عود على عود من القدم الاول * يميته الترك ويحييه العمل

يعنى طريقا وقال تميم بن ابى بن مقبل

قد كنت راعى ابكار منعمة * فاليوم اصبحت ارعى جلة شرفا

يريد مجازا اخذه الطائى فقال وعدل بشطر البيت الى وجه اخر فاحسن

كنت ارعى الخدود حتى اذا ما * فارقونى بقيت ارعى النجوما

وقال حسان بن ثابت الانصارى

والمال يغشى رجالا لاطباخ لهم * كالسيل يغشى اصول الدندن البالى

اخذه الطائى فقال

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

وقال ابو تمام فى وصف الشعر

ولكنه صوب العقول اذا انجلت * سحائب منه اعقبت بسحائب

اخذه من قول اوس

اقول بما صبت على غمامتى * ودهرى وفى حبل العشيرة احطب

وقال امية بن ابى الصلت

عطاؤك زين لامرء ان حبوته * بخير وما كل العطاء يزين

اخذه الطآى فقال

ما زلت منتظرا اعجوبة زمنا * حتى رايت سوالا يجتنى شرفا

وقال كثير

ونازعنى الى مدح ابن ليلى * قوافيها منازعة الغراب

اخذه الطاى فقال

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقالت محياه بنت طليق من بنى تيم الله بن ثعلبة

نعى ابنى مجل صوت ناع اصمنى * فلا آب محمودا بريد نعاهما

وقال سفيان بن عبد يغوث النصرى

صمت له اذناى حين نعيته * ووجدت حزنا دائما لم يذهب

اخذه الطاى فقال

اصم بك الناعى وان كان اسمعا * واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمى

ففقأ عينى تبكاؤه * واورث فى السمع منى صمم

وقال سعران بن عرباض القسرى

فما السائل المحروم يرجع خائبا * ولكن بخيل الاغنياء نجيب

وقال آخر وهو الشجاع القائق فى خبر عن ابن الكلبى ورواه ابن دريد

لا تزهدن فى اصطناع العرف من احد * ان الذى يحرم المعروف محروم

اخذه ابو تمام فقال

وانى ما حورفت فى طلب الغنى * ولكنما حورفتم فى المكارم

وقال عنترة والطعن منى سابق الآجال وانما اراد الاجال سابقة طعنى لشدة خوفه اذا سدد سنانه للطعن اخذه الطآى فغيره تغيرا حسنا فقال

يكاد حين يلاقى القرن من حنق * قبل السنان على حوبائه يرد

وقال عدى بن الرقاع يمدح بعض بنى مروان

واذا رايت جماعة هو فيهم * نبئت سؤدده وان لم تسأل

اخذه الطاى فقال

يحميه لالاوه ولوذعيته * عن ان يذال بمن اوممن الرجل

فقصر عدى بالممدوح اذ جعله اذا كان فى جماعة لم يعرف حتى تنبىء عنه شمائله وتبعه ابو تمام فى التقصير وقال

طلب المجد يورث المرء خبلا * وهموما تقضقض الحيزوما

فتراه وهو الخلى شجيا * وتراه وهو الصحيح سقيما

اخذ قوله وهموما تقضقض الحيزوما من قول لقيط الايادى

لايطعم النوم الاريث يبعثه * هم يكاد حشاه يحطم الضلعا

واخذ معنى قوله

ولهته العلى فليس يعد البوس بوسا ولا النعيم نعيما

من قول لقيط ايضا

لامترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا

وقال ابو العارم الطائى

غبي العين اوفهم تغابى * عن الشدات والفكر القواصى

اخذه ابو تمام فقال وزاد عليه واحسن

ليس الغبي بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

او اخذه من قول دعبل * تخال احيانا به غفلة * من كرم النفس وما اعلمه

وتمثلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته عليه السلام فيما روى عنها ولا اعلم صحته * صبت على مصائب لوانها * صبت على الايام عدن لياليا

ومثله قول الطاى

عادت له ايامه مسودة * حتى توهم انهن ليالى

وقال ابو اذينه

اسعى له فيعنينى تطلبه * ولو قعدت اتانى لا يعنينى

اخذه الطائى فقال

الرزق لاتكمد عليه فانه * يأتى ولم تبعث اليه رسولا

وقال الطآئى

وجه العيس وهى عيس الى الله فآضت من الهواجر شيما

اخذه من قول ابن هرمه

بدات عليها وهى عبس فاصبحت * من السير جونا لاحقات الغوارب

وانشد الاشنانداني فى المعانى يذكر الابل

ردت عوارى غيطان الفلا ونجت * بمثل امثاله من حائل العشر

اخذه ابو تمام فقال

فكم جذع وادجب ذروة غارب * وبالامس كانت انهكته مذانبه

وقال ابو تمام

لو اصخنا من بعده لسمعنا * لقلوب الايام منك وجيبا

اخذه من قول ابى نواس

حتى الذى فى الرحم لم يك نطفة * لفواده من خوفه خفقان

وقال اخر

يا حبذا ريح الجنوب اذا غدت * بالفجر وهى ضعيفة الانفاس

قد حملت برد الثرى وتحملت * عبقا من الجثجاث والبسباس

اخذه الطاى فقال

ارسى بناديك الندى وتنفست * نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

وقال نصيب

وقد عاد مآء الارض ملحا فزادنى * على ظمأى ان ابحر المشرب العذب

اخذه ابو تمام فقال

كانت مجاورة الطلول واهلها * زمنا عذاب الورد فهى بحار

وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرسا

نهد كتيس اقب معتدل * كانما فى صهيله جرس

اخذه ابو تمام فقال

صهصلق فى الصهيل تحسبه * اشرج حلقومه على جرس

وقال الفرزدق

قيام ينظرون الى سعيد * كانهم يرون به هلالا

اخذه ابو تمام فقال

رمقوا اعالى جذعه فكانما * رمقوا الهلال عشية الافطار

وقال ابن منادر فى البرامكة

اذا وردوا بطحآ مكة اشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

لهم رحلة فى كل يوم الى العدى * واخرى الى البيت العتيق المستر

اخذه ابو تمام فقال

حين عنى مقام ابليس سامى * بالمطايا مقام ابراهيما

وقال ابو تمام

فحيوا بالاسنة ثم ثنوا * مصافحة باطراف الرماح

اخذ قوله فحيوا بالاسنة من قول مسلم

فحيوا باطراف القنا وتعانقوا * معانقة البغضآ غير التودد

واخذ قوله مصافحة باطراف من قول ابى اسحاق التغلبى

دنوت له بابيض مشرفى * كما يدنو المصافح للسلام

وقال جرير فى يزيد بن معاوية

الحزم والجود والايمان قد نزلوا * على يزيد امين الله فاختلفوا

الم به ابو تمام فقال

من الباس والمعروف والجود والتقى * عيال عليه رزقهن شمائله

فقال عيال عليه وهو نحو قول جرير نزلوا على يزيد ولعل ابا تمام اخذه من قول دعبل

تنافس فيه الحزم والباس والتقى * وبذل اللهى حتى اصطحبن ضرائرا

وقال الكميت يصف الخيل

يفقهن عنهم اذا قالوا ويفقههم * مستطعم صاهل منهم ومنحمحم

اخذه ابو تمام فقال

وهو اذا ما ناجاه فارسه * يفهم عنه ما تفهم الانس

وقال الكميت ايضا

والقين البرود على خدود * يزين الفداغم بالاسيل

يريد بالفداغم الرخوة اللحيمة فقال ابو تمام

وثنوا على وشى الخدود صيانة * وشى البرود بمسجف وممهد

وقال الابيرد الرياحى

وكنت ارى هجرا فراقك ساعة * الا لابل الموت التفرق والهجر

اخذه ابو تمام فقال

الموت عندى والفراق كلاهما ما لا يطاق

وانشد ابو العباس المبرد للعتبى

اضحت بخدى للدموع رسوم * اسفا عليك وفى الفواد كلوم

والصبر يحسن فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

قال واخذه الطاى فقال فى ادريس بن بدر الشامى

دموع اجابت داعى الحزن همع * توصل منا عن قلوب تقطع

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فاصبح يدعى حازما حين يجزع

قال وجاءبه الطائى فى موضع آخر فقال

الصبر اجمل غير ان تلذذى * فى الحب احرى ان يكون جميلا

وقال الراجز انشده يعقوب بن السكيت

قد اضحت العقدة صلعاء اللمم * واصبح الاسود مخضوبا بدم

العقدة موضع ذو شجر لا يفنى فيذهب وصلعاء اللمم الجماجم وهو جمع لمة فجعله مثلا لرؤوس النبت اكلته الابل فصارت لممه صلعا والاسود الحية تطأه الابل فتقتله فظفر بهذا ابو تمام فقال * حتى تعمم صلع هامات الربى * من نوره وتازر الاهضام والاهضام ما انخفض من الارض ووجدت ابن ابى طاهر خرج سرقات ابى تمام فاصاب فى بعضها واخطأ فى البعض لانه خلط الخاص من المعانى بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا فى السرق قوله ابى تمام

كما كاد ينسى عهد ظمياء باللوى * لديه ولكن امتله عليه الحمائم

اخذه من قول العتابى

بكى واستمل الشوق من فى حمامة * ابت فى غصون الايك الا الترنما

اظن قوله فى حمامة اراد من صوت حمامة دعته اليه الضرورة وليس هذا موضع فى وقوله امتله من قول العتابى واستمل وقد جاء مثله فى اشعارهم وقال اخذ قوله

لا تشجين لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرام

من قول الاخر فانى ان بكيت بكيت حقا * وانك فى بكائك تكذبينا
وقال فنول حتى لم يجد من ينيله اخذه من قول على بن جبلة
اعطيت حتى لم تجدلك سائلا * وبدأت اذ قطع العفاة سؤالها
وقد ذكرت اخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير ابن جبلة وقال
انى لاعجب ممن فى حقيبته * من المنى بحور كيف لا يلد
اخذه من مروان فى قوله
لو كان يحمل من هذا الورى ذكر * لكنت اول خلق الله بالولد
ومن قوله ايضا لو كان يخلق فى بطن امرء ولد * لاصبح البطن منه ضامنا ولدا
وقال يحميه لالاؤه ولوذعيته * عن ان يذال بمن او ممن الرجل
اخذه من حسان اذا ما ترعرع فينا الغلام * فما ان يقال له من هوه
وقد ذكرت اخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير حسان ( قال )
فلا تطلبوا اسيافهم فى جنونها * فقد اسكنت بين الطلى والجماجم
اخذه من قول عنترة ولم يعلم جزية ان نبلى * يكون جفيرها البطل النجيد
وقال يتجنب الايام ثم يخافها * فكانما حسناته آثام
اخذه من قول ابى العتاهية * لم تنتقصنى اذ اساءت وزدتنى حتى كان اساءتى احسان
وقال الطائى اجل ايها الربع الذى بان آهله * لقد ادركت فيك النوى ما تحاول
وقال لاتذيلن مصون همك وانظر * كم بذى الايك دوحة من قضيب
اخذه من قول الاشهب
عل بنى يشد الله ازرهم * والدوح ينبت عيدانا فيكتهل
وقال اظله البين حتى انه رجل * لو مات من شغله بالبين ما علما
اخذه من قول ابى الشيص
وكم من ميتة قدمت فيه * ولكن كان ذاك وما شعرت
وقال فى وصف الرماح
كانما وهى فى الاكباد والغة * وفى الكلى تجد الغيظ الذى نجد
اخذه من قول النمرى
ومصلتات كان حقدا * منها على الهام والرقاب
وقال اذا ما اغاروا فاحتووا مال معشر * اغار عليهم فاحتوته الصنائع

اخذه من قول الآخر

اذا اسلفتهن الملاحم مغنما * دعاهن من كسب المكارم مغرم

وقال وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطوغياهبه

وقد ذكرت اخذ هذا المعنى فيما تقدم من كثير ( قال )

توفيت الآمال بعد محمد * فاصبح مشغولا عن السفر السفر

اخذه من قول عصام الجرجانى

الا فى سبيل الله آمالك التى * توفين لما اغتالك الحدثان

وقد تقدم ذكر هذا وانه اخذه من موضع آخر وقال تعليفها الاسراج والالجام

اخذه من قول جرير

حراجيج يعلفن الذميل كانها * معاطف ظبى اوحنى الشراجع

وقال ذاك الذى كان لو ان الانام له * نسل لما عابهم جبن ولا بخل

اخذه من قول ابى الشميط

لوكان جدكم شريك والدا * للناس لم تلد النساء بخيلا

وقال حمرآ من حلب العصير كسوتها * بيضا من حلب الغمام الرقرق

اخذه من قول مسلم

صفرآ من حلب العصير كسوتها * بيضا من حلب الغيوم البجس

وقال اخذ قوله بياض العطايا فى سواد المطالب من قول الاخطل

رأين بياضا فى سواد كانه * بياض العطايا فى سواد المطالب

واخذ قوله ناجيت ذكرك والظلماء عاكفة * فكان ياسيدى احلى من الشهد

من قول ابن ابى امية

كم ليلة نادمنى ذكره * يسعدنى المثلث والزير

واخذ قوله والعيش غض والزمان غلام من قول الاخطل

سعيت شباب الدهر لم تستطعهم * افالآن لما اصبح الدهر فانيا

واخذ قوله ذاك الذى احصى الشهور وعدها * طمعا لينتج سقبة من حائل

من قول اعرابى انا وجدنا طرد الهوامل * خيرا من التاتان والمسائل

وعدة العام وعام قابل * ملقوحة فى ناب بطن حائل

واخذ قوله يعلون حتى ما يشك عدوهم * ان المنايا الحمر حى منهم

من قول مسلم بن الوليد

لو ان قوما يخلقون منية * من بأسهم كانوا بنى جبريلا

واخذ قوله لوكان فى الدنيا قبيل آخر * بازآئهم ما كان فيها معدم

من قول بشار لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

وقال فى قوله ذقنا الصدود فلما اقتاد ارسننا * حنت حنين عجول بيننا الرحم

من قول الاسود بن يعفر

سما بصرى لما عرفت مكانه * واطت الى الواشجات اطيطا

واخذ قوله صفراً صفرة صحة قد ركبت * جثمانه فى ثوب سقم اصفر

من قول على بن رزين الكوفى بيضا رعوبة صفرآء من غير

وقال فى قوله لم تكمدى فظننت ان لم تكمدى من قواهم

لاتنكرى جزع المحب فانه * يطوى على الزفرات غير حشاك

وقال فى قوله

سقى الغيث غيثا وارت الارض شخصه * وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر

من قول عقيق بن سليك العامرى سقاك الغيث انك كنت غيثا

وقال فى قوله أمن بعد طى الحادثات محمدا * يكون لاثواب العلى ابدا نشر

من قول ابى نواس طوى الموت ما بينى وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر

وقوله ايضا ومن العجائب ناصح لايشفق من قول المخبل ايضا

ولا يعدم الغاوى على الغى لائما * وان هو لم يشفق عليه يلوم

واخذ قوله من شرد الاعدام عن اوطانه * بالبذل حتى استطرف الاعدام

من قول الاعشى هم يطردون الفقر عن جارهم * حتى يرى كالغصن الناضر

وفى قول ابى تمام زيادة حسنة وهى قوله حتى استطرف الاعدام

واخذ قوله حلفت ان لم تثبت ان حافره * من صخر تدمر او من وجه عثمان

من قول الآخر لوكان حافر برذونى كاوجهكم * بنى بديل لما انعلته ابدا

ومما نسبه فيه ابن ابى طاهر الى السرق وليس بمسروق لانه مما يشترك فيه الناس من المعانى والجرى على السنتهم ومنه ما نسبه الى السرق والمعنيان مختلفان قول ابى تمام

الم تمت ياشقيق الجود مذ زمن فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

وقال اخذه من العتابى

ردت صنائعه اليه حياته * فكانه من نشرها منشور

ومثل هذا لايقال له مسروق لانه قد جرى فى عادات الناس اذا مات الرجل من اهل الخير والفضل واثنى عليه بالجميل ان يقولوا ما مات من خلف مثل هذا الثناء ولا من ذكر بهذا الذكر وذلك شائع فى كل امة وفى كل لسان وقال ابو تمام

اذا عنيت بشى خلت انى قد * ادركته ادركتنى حرفة الادب

وقال اخذه من الجريمى

ادركتنى بذاك اول دآئى * بسجستان حرفة الآداب

وحرفة الآداب لفظة قد اشترك الناس فيها وكثرت على الافواه حتى قد سقط ان واحدا يستملها من اخر هذا قول ابن ابى طاهر ولم يقل ابو تمام ادركتنى حرفة الادب انما قال ادركتنى حرفة العرب وقد ذكر غلطه فى هذه اللفظة عند ذكر البيت فى الموازنة

وقال فى قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى * من لذة وقريحة لم تحمد

اخذه من بشار ليس يعطيك للرجآ ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطآء

وما اخاله احتذى فى هذا البيت على قول بشار لان بشارا قال ليس يعطيك رغبة فى جزآء يرجوه ولا خوفا من مكروه ولكن لالتذاذه العطية واراد ابو تمام ان الطالبين لو علموا التذاذه الندى لم يحمدوه والمعنيان انما اتفقا فى طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط وهذا ليس من بديع المعانى التى يختص بها شاعر فيقال ان واحدا اخذه من الآخر لان العادة جارية بان يقال فلان لايعطى متكارها ولامتكلفا بل يعطى عن نية صادقة ومحبة لبذل المعروف تامة ونحو هذا من القول وقال فى قوله لوكان ينفخ قين الحى فى فحم من قول الاغلب

قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم * ماجبنوا ولاتولوا من امم

وهذا معنى شائع من معانى العرب وجاز فى الامثال ان يقولوا قد فعلت كذا واجتهدت فى كذا لوكنت تنفخ فى فحم لان النفخ فى الفحم يحيى النار ويشعلها والنفخ فى حطب ليس بفحم اذا اخذت النار فيه لايورى نارا وقال فى قوله والموت خير من سؤال سؤول من قول محمود وارغب الى ملك الملوك ولاتكن بادى الضراعة

طالبا من طالب ومثل هذا لا يكون مسروقا لانه جار على الالسن ان يقال وقع سائل على سائل ومجتهد على مجتهد ووقع البائس على الفقير وامثال هذا وقال فى قوله

همة تنطح النجوم وجد * آلف للحضيض فهو حضيض

من قول اعرابى همته قد علت وقدرته * فى اللحد بين الثرى مع الكفن

وهذا ايضا من المعانى المشتركة الجارية فى العادة ان يقولوا همته فى علاء وجده فى سفال وهمته ناطقة وجده اخرس وهمة ذات حراك وجد ساكن وهمة فلان ترفعه وجده يضعه وما اشبه هذا وقال فى قوله

تقبل الركن ركن البيت نافلة * وظهر كفك معمور من القبل

من قول عبد الله بن طاهر اعلنت له ذكره مكافأة * بان توالى فى ظهرها القبل

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر قبل الكف وهذا ليس من المعانى المبتدعة لان الناس ابدا يقولون ما خلق وجهه الا للتحية وكفه الا للقبل كما قال دعبل

فباطنها للندى * وظاهرها للقبل

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرا فلا يكون عندى مسروقا وقال فى قوله

نظرت فالتفت منها الى احلى سواد رايته فى بياض

من قول كثير

وعن نجلاء تدمع فى بياض * اذا دمعت وتنظر فى سواد

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر البياض والسواد والالفاظ غير محظورة وابو تمام انما قال فالتفت منها الى احلى سواد يعنى حدقتها فى بياض يعنى شحمة عينها وهذا هو الصحيح وقد قيل سواد عينها فى بياض وجهها وكثير اراد ان عينها تدمع فى بياض اذا دمعت يريد خدها وتنظر فى سواد يعنى حدقتها وهذا المعنى غير ذاك وقال فى قوله

كم من يد لك لولا ما اخففها * به من الشكر لم تحمل ولم تطق

بالله ادفع عنى ثقل فادحها * فاننى خائف منها على عنق

من قول ابى نواس والمعنيان مختلفان لان ابا نواس قال

لا تسدين الى عارفة * حتى اقوم بشكر ما سلفا

انت امرؤ جللتنى نعما * اوهت قوى شكرى فقد ضعفا

فذكر ان نعم الممدوح قد غلبت الشكر فاستعفاه من نعمة اخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة وابو تمام قال لولا ما اخففها به من الشكر لم اطق حملها ثم احسن والطف فى قوله فانى خائف منها على عنق ومعنى ابى نواس اجود وابرع وقال فى قوله

اعلى النتف واطلى وقديما * كان صعبا ان تشعب القاروره

من قول الاعشى

كصدع الزجاجة ما تستطيع * كف الصناع لها ان تحيرا

قلت ووقع فى شعر الاعشى ايضا قوله

فبانت وفى الصدر صدع لها * كصدع الزجاجة لايلتئم

وهذا معنى متداول مشهور مبذول من معانيهم فى الزجاج قدنطق به الناس واكثروا فيه حتى سقط ان يقال ان ابا تمام اخذه من الاعشى وقد تقدم فيه المسيب بن علس فقال

بانت وصدع القلب كان لها * صدع الزجاجة ليس يتفق

وقال اخر

وتفرقت نياتهم فتصدعوا * صدع الزجاجة ما لها تيفاق

ومثله كثير وقال فى قوله

اذا سيفه اضحى على الهام حاكما * غدا العفو منه وهو فى السيف حاكم

من قول مسلم بن الوليد

يعدو عدوك خائفا فاذا رأى * ان قد قدرت على العقاب رجاكا

والمعنيان مختلفان لان ابا تمام قال اذا حكم سيف الممدوح على الهام حكم عفوه على السيف ومسلم قال ان عدو الممدوح يخافه فاذا راى ان قد قدر على العقاب رجاه فليس هذا المعنى من ذلك فى شئ وقال فى قوله

فان هز تم سللناها وقد غنيت * دهرا وهام بنى بكر لها غمد

من قول سعيد بن ناشب

فان اسيافنا بيض مهندة * عتق وآثارها فى هامهم جدد

والمعنيان مختلفان لان ابا تمام قال وهام بنى بكر لها غمد وهذا قال وآثارها فى هامهم جدد فهذا غير ذلك وقال فى قوله

فلو كانت الارزاق تجرى على الحجى * هلكن اذا من جهلهن البهائم

من قول ابى العتاهيه

انما الناس كالبهائم فى الرزق   سوآ جهولهم والحليم

وبين المعنيين خلاف لان ابا العتاهية اراد ان رزق كل نفس ياتيها جاهلة كانت او عالمة كما ياتى البهائم وهذا قائم فى الفطرة والعقول فتتفق الخواطر فى مثله وابو تمام قال ان الرزق لوجرى على قدر العقل لهلكت البهائم وهذه زيادة فى المعنى حسنة وان كان الى مذهب ابى العتاهية يؤول   وقال فى قوله

واشجيت ايامى بصبر حلون لى * عواقبه والصبر عند اسمه صبر

من قول ابى الشيص

يصبرنى قوم برآء من الهوى * وللصبر تارات امر من الصبر

فقول الناس الصبر مر والصبر كاسمه صبر وقولهم الصبر محمود العاقبة وان كان مرا لايكون مسروقا فيقال ان واحدا اخذه من آخر وقول ابى الشيص ان للصبر تارات يكون فيها امر من الصبر اى له تارات يكون فيها شديد المرارة وقول ابى تمام اشجيت ايامى بصبر حلت لى عواقبه ثم قال والصبر مر عواقبه يريد فى الحلق لو جرعته لكان مقطعه شديد المرارة وانما قال هذا ليجتمع له فى البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه هذا تفسير على ما رواه ابن ابى طاهر ولم يقل ابو تمام والصبر مر عواقبه وانما قال والصبر عند اسمه صبر وقال فى قوله

لئن ذمت الاعدآء سوء صباحها * فليس يودى شكرها الذئب والنسر

من قول مسلم لو حاكتك فطالبتك بذحلها * شهدت عليك ثعالب ونسور

وذكر وقوع الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القتلى معنى متداول ومعروف وهو فى بيت ابى تمام غيره فى بيت مسلم لان مسلما قال لممدوحه ان حاكتك يريد الفرقة والعصب التى لقيتك فى مطالبتك من قتلت منها لشهدت عليك الثعالب والنسور وابوتمام قال على سبيل الاستهزآء لئن ذمت الاعدآء سوء صباحها فليس يودى الذئب والنسر شكرها لكثرة ما اكلا منها وهذا المعنى غير ذاك والله اعلم

* تم الجزء الاول من الموازنة على ما جزاه مولفه والحمد لله *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال ابو القاسم

الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى عفا الله عنه قد ذكرت فى الجزء الاول احتجاج كل فرقة من اصحاب ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وابى عبادة الوليد ابن عبيد الله البحترى على الاخرى فى تفضيل احدهما على الآخر وقلت انى ابتدى بعد هذا الباب بذكر معايبهما لاختم الكتاب بوصف محاسنهما فاتبعت ذلك بما خرجته من سرقات ابى تمام وبيضت آخر الجزء لالحق به ما وجدته منها فى دواوين الشعرآ فعلمت عليه وما اجده بعد ذلك فانه كثير السرقة وقد سمعت ابا على محمد بن العلا السجستانى يقول انه ليس له معنى انفرد به فاخترعه الا ثلاثة معان وهى قوله

تابى على التصريد الا نائلا * الا يكن ماء قراحا يمزق

نزرا كما استكرهت عاير نفحة * من فارة المسك التى لم تفتق

وقوله بنى مالك قد نبهت خامل الثرى * قبور لكم مستشرفات المعالم

رواكد قيس الكف من متناول * وفيها على لا ترتقى بالسلالم

وقوله واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

ولست ارى الامر على ما ذكره ابو على بل ارى ان له على كثرة ماخذه من اشعار الناس ومعانيهم مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة وانا اذكرها عند ذكر محاسنه ان شآ الله تعالى ومع هذا فلم ار المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير عيوبه لانه باب ما يعرى منه احد من الشعرآء الا القليل بل الذى وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطه واحالته واغاليطه فى المعانى والالفاظ وتاملت الاسباب التى ادته الى ذلك فاذا هى ما رواه ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الورقه عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن احمد ان ابا تمام يريد البديع فيخرج الى المحال وهذا نحو ما قاله ابو العباس عبد الله ابن المعتز بالله فى كتابه الذى ذكر فيه البديع وكذلك ما رواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم ابن مهرويه عن ابيه ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وان ابا تمام تبعه فسلك فى البديع مذهبه فتحير فيه كأنهم يريدون اسرافه فى طلب الطباق والتجنيس والاستعارات واسرافه فى التماس هذه الابواب وتوشيح شعره بها حتى صار كثير مما اتى من المعانى لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها الا مع الكد والفكر وطول التامل

ومنه ما لايعرف معناه الا بالظن والحدس ولوكان اخذ عفو هذه الاشيآ ولم يوغل فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعانى مجاذبة ويقسرها مكارهة وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجهامه غير متعب ولا مكدود واورد من الاستعارات ما قرب فى حسن ولم يفحش واقتصر من القول على ما كان محذوا حذو الشعرآء المحسنين ليسلم من هذه الاشيآء التى تهجن الشعر وتذهب ماءه ورونقه ولعل ذلك ان يكون ثلث شعره او اكثر منه لظننته كان يتقدم عند اهل العلم بالشعر اكثر الشعرآء المتاخرين وكان قليله حينئذ يقوم مقام كثير غيره لما فيه من لطيف المعانى ومستغرب الالفاظ لكن شره الى ايراد كل ما جاش به خاطره ولجلجة فكره فخلط الجيد بالردى والعين النادر بالرذل الساقط والصواب بالخطا وافرط المتعصبون له فى تفضيله وقدموه على من هو فوقه من اجل جيده وسامحوه فى رديئه وتجاوزوا له عن خطائه وتاولوا له التاول البعيد فيه وقابل المنحرفون عنه افراطا فبخسوه حقه واطرحوا احسانه ونعوا سيئاته وقدموا عليه من هو دونه وتجاوز ذلك بعضهم الى القدح فى الجيد من شعره وطعن فيما لا يطعن عليه واحتج بما لا تقوم حجة به ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى الف فى ذلك كتابا وهو ابو العباس احمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف بالفريد ثم ما علمته وضع يده من غلطه وخطئه الا على ابيات يسيرة ولم يقم على ذلك الحجة ولم يهتد لشرح العلة ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه الابيات التى تضمن بعد الاستعارة وهجين اللفظ وقد بينت خطاه فيما انكر من الصواب فى جزء مفرد ان احب القارى ان يجعله من جملة هذا الكتاب ويصله باجزائه فعل ذلك ان شاالله تعالى فالذى تضمن ( اى الجزء ) يدخل فى محاسن ابى تمام التى ذكرت انى اختم كتابى هذا بها وبمحاسن البحترى وانا الان اذكر ما غلط فيه ابو تمام من المعانى والالفاظ مما اخذته من افواه الرجال واهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة وما استخرجته انا من ذلك واستنبطته بعد ان اسقطت منه كل ما احتمل التاويل ودخل تحت المجاز ولاحت له ادنى علة وانا ابتدى بالابيات التى ذكرت ان ابا العباس انكرها ولم يقم الحجة على تبيين عيبها واظهار الخطأ فيها ثم استقصى الاحتجاج فى جميع ذلك لعلى بكثرة من لايجوزه على الشاعر ويوقع له التاويل البعيد ويورد الشبه والتمويه وبالله استعين وهوحسبى ونعم الوكيل

انكر ابو العباس احمد بن عبيد الله على ابى تمام قوله

هاديه جذع من الاراك وما * تحت الصلا منه صخرة جلس

قال هـذا من بعيد خطـائه ان شبه عنق الفرس بالجذع ثم قال جـذع من الاراك ومتى راى عيدان الاراك تكـون جـذوعا وتشـبه بهـا اعناق الخيـل واخطـا ابو العبـاس فى انكاره عـلى ابى تمام ان شبه عنق الفرس بالجذع وذلك عادة العرب وهو فى اشعارها اكثر من ان يحصى وقد بينت ذلك فيما غلط فيه ابو العباس على ابى تمام واصاب ابو العباس فى انكاره ان تكون عيدان الاراك جذوعا وان لم يلخص المعنى لان عيدان الاراك لاتغلظ حتى تصير كالجذوع ولا تقاربها فان قيـل ان الشجرة من الاراك قد تعظم حتى تصير دوحة يستظل بهـا الجماعة من الناس والسرب من الوحوش وذلك معروف موجود وقد قال الراعى

غذاه وحولى الثرى فوق متنه * مدب الاتى والاراك الدوائح

والدوائح العظام منه جمع دوحة قيل ان الامر وان كان كذلك فى بعض شجر الاراك من علوهـا وتشعب اغصانهـا فان قائم الشجرة وعيدانهـا لاتغلظ ولا تمتلى امتلاء يقارب الجذوع ولاما هو دونهـا فى الغلظ ولو انتهت الى هذه الحـالة وذلك غير معلوم لما قيل لها ايضا جذوع لان الجذع انما هو للنخلة فقط وقد يقـال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة قال الراجز

بكل طرف اعوجى صهـال * يمشى اذا ما قيد مشى المختـال

تحت هواد كجذوع الاوقال

فقال كجذوع الاوقال جمع وقلة وهى شجرة المقل لان فيها شبها من النخل من جهة الخوص والليف فان قيـل فقد قال ذو الرمة

وهاد كجذع الساج سام يقوده * معرف احناء الصبيين اشدق

قيـل ذو الرمة انمـا قال ذلك عـلى التشبيه لان العود من السـاج يشبه الجذع المنحوت فى غلظه وهيئته وعود الاراك من ابعد شى من ذلك لانه لا يمتد ولايستوى استواء الجذع ولاغيره من اجناس الشجر التى تمتد ابدانها علوا امتدادا مستويا وذلك لرقته وشدة التوائه وتشعبه وانكر ابوالعبـاس قول ابى تمام

رقيق حواشى الحلم ان لو حلمه * بكفيك ما ماريت فى انه برد

وقال هذا الذى اضحك الناس منذ سمعوه الى هـذا الوقت ولم يزد عـلى هذا شيـا

والخطا فى هذا ظاهر لانى ما علمت احدا من شعرآء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقة وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ونحو ذلك كما قال النابغة

واعظم احلاما واكبر سيدا * وافضل مشفوعا اليه وشافعا

وكما قال الاخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * واعظم الناس احلاما اذا قدروا

وكما قال ابو ذويب

وصبر على حدث النائبات وحلم رزين وقلب ذكى

وكما قال عدى الرقاع فى مثل ذلك

فى شدة العقد والحلم الرزين وفى القول الثبيت اذا ما استنصت الكلم

وقال ايضا

ابت لكم مواطن طيبات * واحلام لكم تزن الجبالا

وكما قال عدى ايضا

الجامع الحلم الاصيل وسؤددا * غمرا يقاس به وحكمة حازم

وكما قال ايضا

قرم له مع دينه وتمامه * حلم اذا وزن الحلوم ثقيل

وقال الفرزدق

احلامنا تزن الجبال رزانة * وتخالنا جنا اذاما نجهل

وقال ايضا

انا لنوزن بالجبال حلومنا * ويزيد جاهلنا على الجهال

وكما قال الاخر

وعظيم الحلم لو وازنته * بثبير او برضوى لرجح

ومثل هذا كثير فى اشعارهم الا ترى انهم اذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون خفيف الحلم وقد خف حلمه وقال عياض بن كثير الضبى

قبائله سود خفاف حلومهم * ذووا نيرب فى الحى يغدو ويطرق

وقال علقمة بن هبيرة الاسدى

كان جرادة صفرآ طارت * باحلام الغواضر اجمعينا

جعلها صفرا لانها ذكر وهى اسرع من الانثى واخف وقال ابن قبس

الرقيات ووجدتهما فى ديوانه والصحيح انهما لابى العباس الاعمى

بحلوم اذا الحلوم استخفت * ووجوه مثل الدنانير ملس

وقال قيس بن عمير الكنانى

كمثل الحصى بكر ولكن خيانة * وغدر واحلام خفاف عوازب

فهذه طريقة وصفهم الحلم انما مدحوه بالثقل والرزانة وذموه بالطيش والخفة وايضا فان البرد لايوصف بالرقة وانما يوصف بالمتانة والصفاقة واكثر مايكون الوانا مختلفة كما قال يزيد ابن الطثريه

اشاقتك اطلال الديار كانما * معارفها بالابرقين برود

والابرق والبرقا من الارض ما كان فيها حجارة ورمل فقيل برقا لاختلاف الالوان فيها ومن ذلك الحبل الابرق الذى فتل من قوى مختلفة الالوان فلذلك شبه الشاعر معارف الديار بالبرود لاختلاف الوان البرود ولولا انه قال رقيق حواشى الحلم ما ظننت انه شبهه بالبرد الا لمتانته وهذا عندى من الخش الخطأ ثم قوله بكفيك كلام فى غاية السخافة واظن ابا العباس بن عمار انما انكر هذه اللفظة فقط وانى لاعجب من اتباع البحترى اياه فى البرد مع شدة تجنبه الاشيا المنكرة عليه حيث يقول

وليال كسين من رقة الصيف فخيلن انهن برود

وكيف لم يجد شيا يجعله مثلا فى الرقة غير البرد ولكن الجيد فى وصف الحلم قوله متبعا للمذهب الصحيح المعروف خفت الى السودد المجفو نهضته ولو يوازن رضوى حلمه رجحا وقوله فلو وزنت اركان رضوى ويذبل * وقيس بها فى الحلم خف ثقيلها وابوتمام لايجهل هذا من امر الحلم ويعلم ان الشعرا اليه تقصد واياه تعتمد ولعله قد اورد مثله ولكنه يريد ان يتبدع فيقع فى الخطا وانكر ابو العباس على ابى تمام قوله

من الهيف لو ان الخلاخل صورت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

ولم يذكر موضع العيب فيه ولا اراه علمه وهذا الذى وصفه ابوتمام ضد ما نطقت به العرب وهو اقبح ما وصف به النساء لان من شان الخلاخيل والبرين ان توصف بانها تعض فى الاعضاد والسواعد وتضيق فى الأسوق فاذا جعل خلاخيلها وشحا تجول عليها فقد اخطأ الوصف لانه لايجوز ان يكون الخلخال الذى من شانه ان يعض بالساق وشاحا جائلا على جسدها لان الوشاح هو ما تقلده المراة متشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب

جانبه الاخر على الظهر حتى ينتهي الى العجب وتلتق طرفاه على الكشح الايسر فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرجل واذا كانت هذه صورة الوشاح فغير جائز ان يوصف بالسعة والطول ليدل على تمام المراة وطولها ويكون ذلك لانفا بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقنا الخط وانما يوصف الوشاح بالقلق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر لانه يقلق هنا اذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا بل حركته تدل على ضمر البطن اكثر وليس دوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خمص واذا كان الخلخال وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها وشاحا للمراة فانه ياخذ اعلى جسدها كله واذا كانت كذلك فقد مضحت الى غاية القماءة والصغر وصارت فى هيئة الجعل وقد تصف العرب الخصر بالدقة ولكن نعطى كل جزء من الجسد قسطه من الوصف كما قال امرؤ القيس

طوال المتون والعرانين والقنا * لطاف الخصور فى تمام واكمال

الا تراه لما قال لطاف الخصور قال فى تمام واكمال ولو قال هذا الشاعر لو ان الخلاخيل صيرت لها حقبا لصح له المعنى كما قال منصور النمرى

فلو قست يوما حجلها بحقابها * لكانا سوآ لابل الحجل اوسع

فجعل حجلها وهو الخلخال اوسع من حقابها والحقاب ما تديره المراة على خصرها فهو يختص بالخصر وكذلك النطاق والوشاح لايختص بالخصر وانما يعلق حتى ينتهى اليه اذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا فاتبع ابو تمام منصورا فى المعنى فاخطا ومن عادة العرب انها لاتكاد تذكر الهيف وطى الكشح ودقة الخصر الا اذا ذكرت معه من الاعضاء ما يستحب فيه الامتلا والرى والغلظ على ما عرفتك كما قال ذو الرمة

عجزآ ممكورة خمصانة قلق * منها الوشاح وتم الجسم والقصب

وكما قال ايضا

اناة تلوث المرط منها بدعصة * ركام وتجتاب الوشاح فيقلق

وكما قال

ترى خلفها نصفا قناة قويمة * ونصفا نقا يرتج او يترمرم

وكما قال الشنفرى

فدقت وجلت واسبكرت واكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت

اى دق منها ما ينبغى ان يدق وجل منهـا ما ينبغى ان يجل فهذا هو تمام الوصف
وقال تميم بن ابى بن مقبل

هيف المردى رداح فى تاودهـا * مخطوفة منتهى الاحشـا عطبول

فقـال هيف المردى ثم قال رداح والرداح العظيمة العجز وهذا كقول ذى الرمـة خلفهـا نصفا قناة قويمة وقوله عطبول قويمة العنق وقال ايضـا تميم

من الهيف ميدان ترى نطقاتها * بمهلكـة اخـراصهن تذبذب

فجعلها هيفاً وهى الخميصة البطن ثم قال ميدان فصار البدن لايمنع من الهيف ولا يضاده وقال تميم ايضـا

ومن دق منها الخصر حتى وشاحها * يجول وقـد عم الخـلاخيل والقلبا

وقال على بن ابى علقمة الجرى

ترى جلها ملآن ليس بزائد * يجول ولم يملك وشاحا ولا عقدا

قال ذلك من شـان الوشاح لان من سبيله ان يكون جائلا اذا انتهى الى خصرها لدقته ومن شـان العقد ان يجول ايضـا على عنقها وترائبها لقلة اللحم هناك وذلك المحمود من الوصف وقال امرؤ القيس على هضيم الكشح ريا المخلخل
وقال طرفة بن العبد

وملأى السوار مع الدملجين * واما الوشاح عليها فجـالا

وقال علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملأى القرط خرعبة * كانهـا رشـا فى البيت ملزوم

وقال المرار

بيض العوارض بدن ابدانها * رجح الروادف ضمر الاخصـار

وقـال كثير

كسون الريط ذا الهدب اليمانى * خصـورا فوق اعجاز ثقـال

وقال كثير ايضـا

يجول الوشاح باقرابهـا * وتابى خلاخلها ان تجولا

وقال اخر

عقيلية اما مـلاث ازارهـا * فدعص واما خصرها فبتيل

يريد كانه لدقته مقطوع مما يليه وهذا كله ضد ما قاله ابو تمام فان حمل بعض من

يريد اقامة العذر له نفسه على ان يقول انما ذهب فى قوله جالت عليها الخلاخل الى قولهم فلان يدخل فى الخاتم لظرفه ولين اخلاقه لا لضيق مفاصله قيل هذا من كلام العامة وقول ابى تمام من الهيف يمنع هذا التأول ويحجز عنه لان الهيف الخميصات البطون الواحدة هيفآ والى هذا ذهب لا الى وصف الاخلاق والطباع فان قال قائل انما قال لو ان الخلاخيل صيرت لها وشحا اى لو ساغ ذلك وجاز كما يقال لودخل احد فى سم الخياط لرقته وحسن اخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر لوكان ذو حافر من سرعة طارا وكما قال الآخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لسوددهم او مجدهم قعدوا

قيل هذا مذهب حسن معروف من مذاهبهم ولكن ليس بينه وبين قول ابى تمام شبه وانما كان يشبهه لو قال لو ان الخلاخيل تكون مكان الوشاح لجال عليها ولو قال هذا ايضا لكان بعدمخطيأ لانه سوآء عليه قال هذا او قال قصر ظهرها او بعض خلقها او ضم بعض اعضائها الى بعض حتى يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها ومثل هذا لايتوله احد الا الكشجى وابوالعبرولفظ بيته اقبح من هذا واشنع لانه انما اخرجه مخرج الحقيقة او ما يقارب الحقيقة نحو قول القائل لو تغطت هند بشعرها لغطاها ولو سترت وجهها بذراعها لسترته ولو مستها لتاخت الاصبع فيها او لادمتها وهذا ضرب من المبالغة وهو الى الحقيقة اقرب وليس من الابيات المذكورة فى شى ولا على سياقة ذلك اللفظ والاحالة فيما مخرجه مخرج الحقيقة اقبح من الاحالة فيما مخرجه مخرج التوسع وكان ينبغى لابى تمام لما وصف النسآ فى البيت الثانى بالطول والتمام فقال * قنا الخط الا ان تلك ذوابل * ان يصف الوشح بالطول والتمام لان الوشاح من المراة فى موضع حمائل السيف فكيف يجعلها مثل الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلها وقد يبالغ الشاعر فى اشيآ حتى يخرج منها الى المحال ويخرج بعضها مخرج النادر فيستحسن ولا يستقبح نحو قول الشاعر

من راى مثل حبتى * تشبه البدر اذ بدا
يدخل اليوم خصرها * ثم اردافها غدا

ومثل هذا كثير وقد قال النابغة فى وصف عنق المراة بالطول فقال * اذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها * ومن يتعلق حيث علق يفرق * فجعل القرط يخاف ان يسقط

من هناك فيهلك وانما اخرج هذا كالمثل اى لو كان مما يقع منه الخوف لخاف وقال ذو الرمة * والقرط فى حرة الذفرى معلقة * تباعد الحبل منه فهو يضطرب فدل بقوله تباعد الحبل منه على طول عنق المراة فهذه المبالغة لائقة مستحسنة لانه دل على الوصف بالشيء الذى يخص الموصوف لا بالشيء الذى يخص غيره ولو كان ابو تمام قال لو ان الخلاخيل صيرت لها نطقا لكان اتى بالصواب لان النطاق هو كل ما يدار على الخصر مثل المنطقة من سير كان او ثوب اوغيرهما او لو قال حقبا لان الحقاب والنطاق بمنزلة واحدة واظنه اراد ان يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح وقد بالغ ابو العتاهية فى وصف الخصور بالدقة فقال

ومخصرات زرننا * بعد الهدو من الخدور

تفج روادفهن يلبسن الخواتم فى الخصور

لم يرد ان خواتمهن فى خصورهن لان هذا محال وانما ذهب الى مثل قولهم جفنة يقعد فيها خمسة اى لوقعدوا فيها لوسعتهم وقال الآخر

لها حافر مثل قعب الوليد   يتخذ الفار فيه مغارا

اى لو اتخذ فيه مغارا لوسعه فكذلك قوله يلبسن الخواتم فى الخصور اى تصلح خصورهن ان تدخل فى خواتمهن لدقتها وكل ما دنا من المعانى بالحقائق كان الوط بالنفس واحلى فى السمع فهذا ما انكره ابو العباس مما ابوتمام فيه غالط وهوثلاثة ابيات ومما اخطافيه الطآى البيت الذى بعد قوله

من الهيف لوان الخلاخل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

وهوقوله مها الوحش الا ان هاتا اوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل

وانما قيل للقنا ذوابل للينها وتثنيها فنفى ذلك عن قدود النسآ التى من اكمل صفاتها التثنى واللين والانعطاف كما قال تميم بن ابى بن مقبل

يهززن للمشى اوصالا منعمة * هز الجنوب ضحى عيدان يبرينا

اوكاهتزاز ردينى تداوله * ايدى التجار فزادوا متنه لينا

فشبه تميم قدودهن بالردينى للينه وتثنيه لاغير وهذا اجود من كل ما قاله الناس فى مشى النسآ وحسن قدودهن وقوله مها الوحش الا ان ها تا اوانس فوضع المشبه به فى مكان المشبه وهذا فى كلامهم شائع مستفيض ومما اخطا فيه الطائى اقبح خطأ قوله

قسم الزمان ربوعها بين الصبا * وقبولها ودبورها اثلاثا

لان الصبا هي القبول وليس بين اهل اللغة وغيرهم فى ذلك خلاف فان قيل انما سميت الصبا قبولا لانها تقابل الدبور فلعله استعار هذا الاسم للدبور فقال بين الصبا وقبولها يريد الدبور لانها تقابل الصبا ومقابلتها اى الريح المقابلة لها قيل هذا غلط من وجوه منها انه قد ذكر الدبور فى البيت مرة فلا يجوز ان ياتى بها مرة ثانية ومنها انه ما سمع من العرب زيد قبولك اى مقابلك ولادار زيد قبول دار عمرو بمعنى مقابلتها فانما خصت الصبا وحدها بهذا الاسم لانها تاتى من الموضع الذى يقبل منه النهار وهو مطلع الشمس وقيل لها دبور لانها ضدها اخذه من اقبل وادبر ولو جاز هذا فى كلامهم وساغ فى لغتهم او كان مثله مسموعا منهم لسـ غ ان تسمى الشمال ايضا قبولا لانها تقابل الجنوب وان تسمى الجنوب قبولا لانها تقابل الشمال وما اظن احدا يدعى هذا ولا يستجيز ان يعارض بمثل هذه المعارضة ولاان يحدث لغة غير معروفة وينسب الى العرب ما لم تعلمه ولم تنطق به ومنها وهى اولاها فى فساد هذا التاويل انه قال بين الصبا وقبولها ودبورها اثلاثا وقوله اثلاثا يدلك انه اراد ثلاث رياح وانه توهم ان القبول ريح غير الصبا وهذا واضح والجيد قول البحترى

متروكة الريح بين شمالها * وجنوبها ودبورها وقبولها

فجاء بالرياح الاربع وقال البحترى ايضا

شنئت الصبا اذ قيل وجهن قصدها * وعاديت من بين الرياح قبولها

فقوله وجهن يعنى الحمول والهاء فى قبولها راجعة الى الرياح وهذا مما يوهمك انه اراد ريحين وانما اراد ريحا واحدة وسماها باسميها فقال شنئت الصبا وعاديت القبول اى ابغضت هذين الاسمين لان حمول الظاعنين توجهت نحوها ولم يقل ان الحمول توجهن الى وجهين مختلفين وحكى ابن الاعرابى اوحكى عنه انه قال القبول كل ريح طيبة المس لينة لا اذى فيها سميت قبولا لان النفس تقبلها واظن الاخطل ان كانت الرواية الصحيحة لهذا قال

فان تبخل سدوس بدرهميها * فان الريح طيبة قبول

اى طيبة لا تمنعها الانصراف والسير وهذه ليست من الريح التى ذكرها ابو تمام فى شئ لان هذه على هذا الوصف قد تكون الشمال وتكون الجنوب وتكون

الصبا وذلك انما اراد ريحا بعينها لانه قال بين الصبا وقبولها فجعلها مضافة اليها كما لو قال بين الشمال وجنوبها لانهما ريحان معروفتان وهما اختان مختلفتان تعتقبان وكذلك لوقال بين الصبا ودبورها وكذلك لوقال بين القبول ودبورها او بين القبول وشمالها فاذا ذكرت القبول مع هذه الرياح المعروفة التى هى الصبا وليس هذا موضع القبول التى هى الريح اللينة المس الطيبة على ما ذكر لانه وصف مجهول ويجوز ان يكون لكل ريح ولايقع فى هذا الموضع لانك اذا عنيتها بقولك قد نفيت الصبا وقبولها لم يدر اى ريح هى فى معنى اضافتها الى الريح المعروفة التى هى اذا لان مسها جاز ان تسمى بذلك الاسم هذا خلف من القول اذا قيل وايضا ان ابا تمام انما اراد ان هذه الرياح عفت هذه الديار وذهبت بها فاوجه ذكره لريح طيبة لينة المس مع الدبور هذا محال ان يكون اراده كيف والديار يدعى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة ليلا تعفوها الاترى قول ابى تمام

ارسى بناديك الندى وتنفست * نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

وقال البحترى

واذا هبت الرياح نسيما * فعلى ربع دارها والجناب

فشرط ان تكون الرياح مريضة ليلا تعفوها وتمحوها فان قيل فلعله اراد بين الصبا وقبولها اى بين الصبا وسهلها ولينها ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف وانما يريد الاسم الذى يقع للريح اللينة المس فكانه قال بين القبول وقبولها يقال جآنا عباس وعباسه اى ووجهه العباس واتانا الضحاك وضحاكه اى ووجهه الضحاك لان التعبيس والضحك فى الوجه وقد فتنتنا حورآ بحورآئها اى بعينها الحورآء قيل هذا كله لفظ سائغ مستقيم غيرانا ما سمعنا مثل هذا فى الريح ولا علمناه فى اللغة ولا وجدنا فى الشعرآء احدا قال الصبا وقبولها ولا الجنوب وقبولها ولا الشمال وقبولها اى سهلها ولينها ولو اراد الطآى ذلك كان ايضا مخطئا لان الريح لينها وشديدها ريح واحدة وقد قال ابو تمام اثلاثا فدل على انه اراد ثلاث رياح وان كان اراد ريحا اخرى غير الصبا فقد قدمت القول فى ان ذلك غير سائغ ولا مستقيم وقد استقصى اصحاب الانوآ فى كتبهم ذكر الرياح واوصافها ونعوتها واستشهدوا باكثر ما سمعوه من اشعار العرب فيها وبالغ ابو حنيفة الدينورى فى ذلك فما منهم احد ذكر ان القبول غير الصبا وانما قال ابن الاعرابى فى نوادره ان العرب

تسمى كل ريح طيبة لينة المس قبولا قال الاخطل

فان تبخل سدوس بدرهميها * فان الريح طيبة قبول

فانما اراد الصبا لانها ريح محبوبة تنسب الى الطيب وهى دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى اكثر اوقاتها اى فان منعت سدوس نائلها فان الريح طيبة قبول اى هى صبا ما تمنعنا من الانصراف والرحيل فان كان ما ذكره ابن الاعرابى صحيحا وهو الصحيح ان شاء الله فانهم انما قالوه لكل ريح طيبة لينة قالوا هذه الصبا وهذه القبول اى كالصبا او كالقبول فاسقطوا حرف التشبيه وجعلوا المشبه فى مكان المشبه به كما تقول شممت رائحة طيبة العرف هذه المسك واذا رايت وجها جميلا قلت هذا هو البدر وان شئت كان المعنى هذه المسك حقا وهذا هو البدر يقينا ولوهبت شمال شديدة مزعجة حتى تقول هذه هى الدبور بعينها لكان هذا من اسوغ كلام وافصحه وان كانت العرب سمت الشمال والجنوب اذا هبتا هبوبا سهلا لينا قبولا فانما شبهوها بالصبا واعاروها اسمها وانما قيل لها قبول لانها تاتى من مطلع الشمس وهو الموضع الذى يقبل منه النهار وقيل للدبور دبورا لانها تهب من حيث يدبر وقد قيل غير ذلك وهذا هو الصحيح وقد قيل عن النضر بن شميل انه قال القبول ريح تلى الصبا ما بينها وبين الجنوب وهذا غير معروف ولا معول عليه الا ان يكون قاله على هذا الذى ذكرته والله اعلم وبيت ابى تمام لا يحتمل ان يتاول فيه هذه الريح لانه اراد محو الديار ولا تذكر فى محو الديار القبول الخفيفة الهبوب الطيبة المس مع الدبور التى لا تكاد تهب فان هبت لم تات الا شديدة مزعجة وقال آخر ممن لا تمييز له اراد بين الصبا وقبولها اى الريح التى قبلتها كانها قابلتها فقبلتها فهى قبولها يعنى ريحا من الرياح كما يقال فاخرته ففخرته وخاصمته فخصمته قيل هذا خطا من وجوه منها ان الريح التى تقابل الصبا مقابلة صحيحة هى الدبور وقد ذكرت فى البيت فلا يجوز ان يرددها ومنها انك لا تقول قابلت زيدا فقبلته مثل فاخرته ففخرته لانك اذا قابلته فقد صرت قبالته وصار قبالتك فليس احدكما فى هذا بافضل من الآخر وذلك مثل قوله واجهته وآزيته وساويته وحاذيته لانك فى هذه الاحوال مثله وهو مثلك فلا يجوز ان تقول فيه فعلته اى غلبته ومنها انك اذا قلت زيد ضارب عمرو او ضروب عمرو وقاتل بكر او قتول بكر لم تدل على انه كانت مضاربة بينهما او مقاتلة لانه يجوز ان يكون الضرب

وقع من احدهما ولم يقع من الآخر ولذلك اصل فلذلك لايدل قولك قبولها انه كانت هناك مقابلة كما لايدل قولك زيد ضارب عمرو على انه كانت مضاربة بينهما حتى غلب زيد عمرا بالضرب واذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة ومن خطائه قوله

وصنيعة لك ثيب اهديتها * وهى الكعاب لعائذ بك مصرم

حلت محل البكر من معطى وقد * زفت من المعطى زفاف الأيم

غلطه وقع فى البيتين جميعا وقالوا اراد بقوله وصنيعة لك اى للممدوح ثيب اى قد افترعت اهديتها وهى الكعاب لعائذ بك اى لعائذ بك مصرم اى قليل المال وجاء بالكعاب على انها تقوم مقام البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصح له القسمة اى هذه الصنيعة ثيب عندك اى قد اصطنعت مثلها مرارا وهى الكعاب يريد البكر عند هذا العائذ بك لانه اول ما اصطنعته اليه او لانها اكبر صنيعة صنعتها عنده قالوا والكعاب التى كعب ثديها وقد تكون بكرا وتكون ثيبا فليست ضدا للبكر فى البيت ولا تصح بها قسمته لان اسم الكعاب لايزول عنها اذا افترعت حتى ينهد ثديها ويرتفع قالوا واعتمد ان يشرح هذا فى البيت الثانى فقال

حلت محل البكر من معطى وقد * زفت من المعطى زفاف الايم

وذلك معنى قوله وهى الكعاب لعائذ بك ثم قال زفت من المعطى زفاف الايم وهو يريد معنى قوله وصنيعة لك ثيب على ان الايم هى الثيب وقالوا هذا خطا لان الايم هى التى لازوج لها بكرا كانت او ثيبا قال الله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم افتراه قال انكحوا الثيبات من النساء دون الابكار انما اراد تبارك اسمه انكحوا النساء اللواتى لا ازواج لهن فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل فى الآية قال الشماخ

يقر بعينى ان احدث انها * وان لم انلها ايم لم تزوج

وهذا هو المعروف فى كلامهم وهذا الذى ذكروه من غلطه فى الايم هو كما ذكروه فاما ما ادعوه فى البيت الاول من الغلط فى الكعاب لمن اقامها مقام البكر فليس ذلك بغلط والمعنى صحيح وقد جاء مثله فى اشعار العرب قال قدامة بن ضرار الحنفى

غداة خطبنا البيض بالبيض عنوة * وابن الينا ثيبات وكعبا

اراد بالكعب الابكار وقال جرير يهجو امراة

وقد حلت ثمانية وتمت * لتاسعة ونحسبها كعابا

فاقام الكعاب مقام البكر وجعلها ضد الثيب ومثله فى كلامهم موجود وانما فعلوا ذلك وان كان الكاعب قد تكون بكرا وتكون ثيبا لان اول احوال الكواعب ان يكن قد ناهزن حد البلوغ وبدأت ثديهن بالتكعيب فهن فى هذه الحال اكثر ما يكن ابكارا وغير ذات ازواج قال عمرو بن معدى كرب

تركوا السوام لنا وكل خريدة * بيضاء خرعبة واخرى ثيب

فاقام الخريدة مقام البكر وجعلها ضد الثيب فى البيت والخريدة هى الحيية حكى اللحيانى قال سمعت اعرابيا من كلب يقول الخريده الدرة التى لم تثقب وهى من النساء البكر والخرعبة اللينة المفاصل الطويلة وهذه قد تكون ثيبا الا انه جعلها بكرا لان الحيا اكثر ما يكون فى الابكار فقد صح معنى بيت ابى تمام الاول فى الكعاب وبقى الغلط قائما فى الايم وجعلها فى البيت الثانى ضد الثيب فان قيل فلم لا يكون لابى تمام اقامة الايم فى البيت الثانى مقام الثيب اذ كانت الايم قد تكون ثيبا كما اقام الكعاب فى البيت الثانى مقام البكر اذ كانت الكعاب قد تكون بكرا وتتجاوز له فى هذا كما تجاوزت فى تلك قيل لفظة كعاب تدل بصيغتها على صغر السن كما عرفتك فهى فى الاكثر تكون بكرا غير مفترعة فلذلك استحسنوا ان اقاموا الكعاب مقام البكر ولفظة ايم لا تدل على حد فى السن من صغر ولا كبر ولا بكورة ولا افتراع فلا يجوز اقامتها مقام الثيب بحال وقد غلط فى الايم بعض كبار الفقها فجعلها مكان الثيب وذلك لحديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم على انه لحقه السهو فى تاويله فحمله على غير معناه فلعل ابا تمام من هذا الوجه قد لحقه الغلط وقد ذكر ابو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر فقال وقد ذكر صنيعة ايضا

وليست بالعوان العنس عندى * ولا هى منك بالبكر الكعاب

والعوان هى التى بين المسنة والصغيرة السن وهى التى قد عرفت الامور وجرت عليها التجربة فلذلك قيل العوان لا تعلم الخمرة ومنه قيل حرب عوان وهى التى قوتل فيها مرة بعد مرة وانما استعير لها اسم المراة فى هذه الحال كما قال الشاعر الحرب اول ما تكون فتية * فاستعار لها اول ما تبدا وتنشا اسم الفتاة واراد ابو تمام ان هذه الصنيعة ليست بالعوان عندى اى ليست صنيعة قد تقدمتها لك لدى صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ولا هى بالبكر التى ليست مع ذلك لكبر صنائعك

بل اسديت كثيرا مثلها الى غيرى وهذا هو المعنى الذى قصده فى البيتين المتقدمين الا انه جعل العنس هنا فى موضـع العانس فغلط فقـال العنس والعانس هى التى حبسهـا اهلهـا عن التزويج حتى تجاوزت حد الفتاة والعنس اسم من اسمـاء الناقة وهى التى قد انتهت فى شدتها وقوتها فاين وصف الناقة من وصف المراة فان قيل ان ابا تمـام لم يرد غير العنس ولم يرد العـانس لانه لو اراد العانس لكان مخطيئـا من وجه غير الذى ذكرته وهو ان العوان فيما ذكـر بعض اهل اللغة الثيب وقيل انها التى كان لها زوج وجرير قد افصح انها ذات الزوج فى قوله

واعطوا كما اعطت عوان حليها * اقـرت لبعل بعد بعل تراسـله

فكيف يكون العـانس وصفا للعوان والعـانس هى التى حبست عن التزويج قال عامر بن جوين الطـآى ووالله ما احببت حبك عانسا * ولا ثيبا لو ان ذلك اتانى فجعلها ضد الثيب والعنس اولى بان تكون وصفـا للعـوان من العانس ويكونان جميعا من اوصـاف الناقة وهى دون المسـنة وفوق الفتية فهى حينئذ الكاملة والعنس الناقة التى قد انتهت فى قوتهـا فهما صفتان متفقتان استعارهما الشـاعر للصنيعة من اوصـاف النوق كما استعار البكر الكعاب من اوصـاف النسـآء قيل هذا غلط من الاحتجـاج وتعسف من التاول وانما يستدل ببعض الالفـاظ على بعض كما يستدل على المعنى بما يقترن ويتصل به فيكون فى ذلك بيان وايضـاح اما العوان والبكـر وان كان قد وصف بهما غير المـراة من البهائم وغير البهـائم فان البكر فى البيت لاتكون مستعـارة الا من اوصاف النسآء من اجل ما اقترن بهـا من لفظ الكعاب التى هى مخصوصة بوصف الجارية التى كعب ثديها فلا تكون العوان فى صدر البيت من اوصـاف النوق والبكر فى آخره من اوصـاف النسآء فعلمنا انه لم يرد بالعنس الا العـانس فغلط كانه اراد هذه الصنيعة ليست فى حال ما هى عندى بالعوان العـانس ولا فى حال ما هى عندك بالبكر الكعـاب لان المراة تكون كاعبا وبكرا فى حال وعوانا عانسـا فى حال اخرى فتنتقل فى هذه الاوصـاف والعنس لا موضع لها ههنـا واما قوله انه لو اراد العـانس كان مخطيئـا لان العانس هى التى حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفا للعـوان لان العوان عند اهل اللغة الثيب فيقـال انما انه كان يسوغ لك هـذا التاويل لو زال اسم العنوس عن المراة اذا تزوجت فاما وهو باق عليها بعد التزويج التى صـارت به ثيبا

فلم لايكون وصفا للعوان التى هى ايضا ثيب عندك الا ترى الى قول كثير

فان طلابى عانسا ام ولدة * لمما تمنى النفوس الكواذب

فقال عانسا وجعلها ام ولدة فان قال فلعل ابا تمام لم يرد هذا وانما اراد بالعنس مصدر عنست المراة تعنس عنسا وعنوسا فجعل المصدر وهو عنس وصفا للعوان مكان العانس والمصادر قد تجعل اوصافا فى مكان اسماء الفاعلين قيل له المصدر المعروف فى مصدر عنست المراة هو العنوس ولم يسمع العنس وعلى ان الاصمعى قد انكر عنست مخففا وقال انما هو عنست تعنس تعنيسا حكى ذلك عنه يعقوب بن السكيت وهب قد جاء العنس مصدر عنست فليس فى كل موضع يسوغ ان تكون المصادر اوصافا وانما تكون اوصافا على وجه من الوجوه وطريقة من اللفظ وهى قولهم انما زيد دهره اكل ونوم وانما عمرو ابدا قيام وقعود فتقيم المضاف اليه مقام المضاف لانه يدل عليه او تجعل زيدا نفسه الاكل والنوم وعمرا القيام والقعود على المبالغة لان ذلك كثير منهما كما قالت الخنساء

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار

فجعلت الناقة هى الادبار والاقبال لان ذلك كثر منها وان شئت كان المعنى ذات اقبال وادبار فاقمت المضاف اليه مقام المضاف فهذه طريقة الوصف بالمصادر واذا تاولت بالعنس المصدر فى قوله وليست بالعوان العنس كان ذلك كقولك ليست هند بالصبية الصغر تريد الصغيرة ولا دعد بالهرمة الكبر تريد الكبيرة فهذا لايسوغ فى منطق ولا يعد فى لغة ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفا على نحو ما ذكرته فيقال هند الحسن كله ودعد الجمال اجمعه وزيد الهرم اقصاه وعبد الله البغض نفسه والتيه عينه وان شئت كان المعنى هند صاحبة الحسن كله ودعد ذات الجمال اجمعه وزيد اخو الهرم وعبد الله ذو التيه فاقمت المضاف اليه مقام المضاف كما قال الله عز وجل واسئل القرية التى كنا فيها يريد اهل القرية وان شئت جعلت هندا هى الحسن ودعدا هى الجمال على المبالغة لما كانتا متناهيتين فى هذين الوصفين ولو كان ابو تمام اقتصر على ذكر العوان والبكر وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء فى هذا المعنى ولم يخلط بهما العنس والكعاب والثيب والايم لكان قد سلك الطريق المستقيم فاتى باللفظ المالوف المستعمل وتخلص من فاحش الخطا وانما اراد معنى قول الفرزدق

وعند زياد لو تريد عطاءه * رجال كثير قد ترى بهم فقرا

قعود لدى الابواب طالب حاجة * عوان من الحاجات او حاجة بكرا

اى منهم طالب حاجة عوان اى حاجة قد عرفها وصارت عادة له ورسما يتطلبه فى كل حين ومنهم طالب حاجة بكر اى اول ما يلتمسه منه ويترجاه عنده فاحب ابوتمام ان يزيد على هذا المعنى ويغرب فاخرجه ذلك الى الخطا وقد احسن محمد ابن حازم الباهلى فى قوله

ابا جعفر يابن الجحاجحة الغر * بدت حاجة والحر ياوى الى الحر
وقد لبستنى منك بالامس نعمة * فهل لك فى اخرى عوان الى بكر
على انه ان امكنت او تعذرت * فانك بين الشكر منى والعذر

فهذه طريقة الشعرآ فى العوان والبكر ومن خطائه قوله

الود للقربى ولكن عرفه * للابعد الاوطان دون الاقرب

لانه نقص الممدوح مرتبة من الفضل وجعل وده لذوى قرابته ومنعهم عرفه وجعله فى الابعدين دونهم ولا اعرف له فى هذا عذرا يتوجه وقد عارضنى فى هذا البيت غير واحد ممن ينتحل نصرة ابى تمام فقال بعضهم ان العرف ما يتبرع به الانسان فلذلك جعله فى الاباعد فاما الاقارب فان برهم وصلتهم من الحقوق الواجبة اللازمة قلت ان كنت تريد الحقوق التى تلزم فان ذلك انما هو للاباء والاجداد والامهات والاولاد والاعمام والاخوال والاخوة والاخوات اذا كانوا فقرآء محتاجين فيجب لهم من الانفاق عليهم بقدر القوت والكفاية وهذا لايخرج ان يسمى معروفا الا تراهم يقولون انل اباك من معروفك او انل امك من معروفك فلا يكون هذا قبيحا بل حقا وقال الله عز وجل فيما فرض على النسآ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فقد صار الفرض ههنا معروفا لان المعروف هو الحسن الجميل من القول والفعل الذى قد عرفت المصلحة فيه فصار معهودا اذا اورد لم تنفر النفوس منه فتنكره وهذا لايكون الانسان محمودا به اذا اعطاه هذه الطبقة من اهله حتى يمدح به ويفتخر له به بل يكون مذموما اذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه من الاقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم وهم بنوا الاعمام الذين هم الاعضاد والعدة وبهم تكون النصرة وكذلك بنوا الاخوات وبنوا الاخوال لم يجعل المعروف الذى هو يتبرع به فى الاباعد دونهم ويخرجون منه وان اردت الحقوق التى يلزمها الانسان نفسه تكرما وتفضلا فذلك حقيقة العرف الذى يتبرع المرء به ويحمد

عليه ويتمدح بفعله اياه واعطائه له ويذم اذا منعه والاقارب على الاختلاف فى طبقاتهم وانسابهم اولى به من الاباعد فمن جعله فى الاباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ونهاية العقوق وعين الحمق وان وصفه واصف فقد بالغ فى ذمه وتناهى فى هجائه فقال قوله الود للقربى قد جمع لهم الود والعرف وغيره لان المودة تشتمل على ذلك كله والعرف الذى خص به الابعدين لايجمع الوداد اذ ليس كل من اسديت اليه معروفا فقد وددته فقد اعطى ذوى القربى اكثر مما اعطى الابعدين فقلت له وليس كل من وددته ايضا فقد اسديت اليه نائلا ولا معروفا ولا يتضمن لفظ الود غير المحبة فقط وعلى ان قوله دون الاقرب توكيد يوجب اخراج الاقارب عن العرف وتخليصه للابعدين فما معنى هذا التاويل الذى تاولته فاقام على ان الود يجمع العرف والصلة وهذا غير معروف ولا موجود فى كلام الناس وقال المقنع الكندى

فان الذى بينى وبين بنى ابى * وبين بنى عمى لمختلف جدا

اذا جمعوا صرمى معا وقطيعتى * جمعت لهم منى مع الصلة الودا

فافصح هذا بانه يجمع لهم بين الصلة والود وقال البحترى

مودة وعطاء منك نلتهما * ورب معطى نوال غير مودود

فقال مودة وعطاء منك نلتهما فلو كانت المودة لاتكون الا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول معنى وكذلك البيت قبله وقال رب معطى غير مودود ورب مودود غير معطى نوال الا ترى الى قول الاعشى

بانت وقد اسأرت فى النفس حاجتها * بعد أئتلاف وخير الود ما نفعا

فاراد ان الود قد يكون ولا نفع معه وقال ابو تمام

قرانى اللهى والود حتى كانما * افاد الغنى من نائلى وفوائدى

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سوآ فاجبته بمثل هذا الجواب وقلت له ان كان الامر على ما تزعم وتركناك على شهوتك فى ان الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض اذا هذا الشاعر نفسه فى البيت فانه ان كان اراد بقوله الود للقربى المحبة والمعروف جميعا فقد قال فى عجز البيت ولكن عرفه فى الابعد دون الاقرب فاخرج الاقرب بقوله دون فلو كنت تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الاقرب كان ذلك اقل قبحا من المناقضة فقال انما اراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاوطان دون

الاقرب افراد العرف للابعد والا تجمعه له مع الود كما جمعهما للاقرب فقلت قوله دون يفسد عليك هذا التاول وما اراك الا قد اوضحت فيه الاحالة والمناقضة وبينتهما لانك فى هذا كقائل قال الود والمال جميعا لزيد والمال لعمرو مفردا دون زيد فكيف يجمع المال مع الود لزيد اولا ويفرد عمرا به دون زيد آخرا وهذا اقبح ما يكون من المناقضة وانما كان يصح هذا الكلام بان لو قال الود والمال لزيد والمال لعمرو دون الود فيكون قد اخرج عمرا من الود اخراجا موكدا بقوله دون الود فاما الكلام الاول فمتناقض كما عرفتك وكذلك بيت ابى تمام كان يتاول على هذا ان لو قال دون الود لا دون الاقرب وما ظننت ان احدا يدعى مثل هذه الدعوى ولا ان حاجة تدعو الى مثل هذا الاحتجاج ويجب ان يقال لهذا المعارض هل يجب عندك ان تكون مودة لامعروف معها اذ ليس كل من وددته فقد انلته معروفا فان قال لا كابر وسقط كلامه وان قال نعم قيل قد اخرجت لفظة الود عن ان تدل بمجردها على المعروف الا بشىء يقترن بها وقال آخر انما اخرج اقاربه من المعروف لانهم فى غنى وسعة لغناه وسعة حاله فلذلك افردهم بالود قلت له فان كانوا اغنياء بغناه فقد اوسعهم من معروفه فما كان ينبغى للشاعر ان يشرط للاباعد دونهم وقلت له وكيف يعلم انهم اغنياء وليس فى داخل البيت دليل عليه قال كذا نوى واراد قلت ليس العمل على نية المتكلم وانما العمل على توجيه معانى الفاظه ولو حملت قول كل قائل وفعل كل فاعل على نيته لما نسب احد الى خطا فى قول ولا فعل ولكان من سدد سهما وهو يريد غرضا فاصاب به عين رجل فذهبت غير مخطىء لانه ما اعتمد الا الغرض ولا نوى غير القرطاس وقال آخر اراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاوطان دون الاقرب اى بعد الاقرب تقول جاءنى الامير فمن دونه اى فمن بعده قلت فانما معنى فمن دونه اى فمن هو ادون منه فى الرتبة بعده كان مجيئه او قبله وقال آخر انما اراد ابو تمام بقوله دون الاقرب اى فضلا عن الاقرب اى فكيف الاقرب وان كان هذا مذهبا للناس ان يضعوا دون فى هذا الموضع فيقولوا انا ارضى بالقليل دون الكثير اى فضلا عن الكثير وانا اقنع بقرص من شعير دون ما سواه اى فضلا عما سواه وهذا مذهب صحيح معروف قلت له هذا توهم منك فاسد وتاول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود لان معنى دون عند اهل اللغة التقصير عن الغاية فمعنى قوله انا ارضى بالقليل دون الكثير

أى أرضى بالقليل ولا انتهى الى الكثير اى لا اطمح اليه وارضى بنـزرص من شعير ولا انتهى الى ما سواه فهذه حقيقة معنى اللفظ واما ما تاولته فانما هو بمعنى بله التى تاتى فى الكلام وموضعها دع كقول كثير

بسطت لباغى العرف كفا بسيطة * تنال العدى بله الصديق فضولها

اى تنال العدى فدع الصديق اى لاتصل الى العدى الا بعد ان تصل الى الصديق ودون لاتتضمن هذا المعنى ولا تؤديه قال فقد تاتى دون بمعنى فوق كما تاتى فوق بمعنى دون فى قـول الله عز وجل ان الله لايستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقهـا ذكـر ان معناه فما دونها لان فوق قد تكون دون عند ما هو فوقهـا ودون قد تكون فوق عندما هو تحتهـا فيجوز ان يكون اراد الشاعر بقوله دون الاقرب اى فوق الاقرب بمعنى زيادة على ما اعطاه الاقرب اوتكون دون ههنا بمعنى امام لان بعض اهل اللغة جعلها من الاضداد وانها تاتى بمعنى خلف وبمعنى امام مثل وراء فيكون معنى قوله دون الاقرب اى امام عرفه فى الاقرب اى قبله قلت له اما ما قيل فى قوله عز وجل فما فوقها معناه فما دونها فان اهل العربية على خلاف ذلك وليس لهذه اللغة عندهم الا وجهـان احدهمـا ان يكون فما فوقها فمـا هو اكبر منهـا لان البعوضة غاية فى الصغر فيكون المعنى انه عز وجل لا يستحى ان يضرب مثلا ما بين الشئ الـذى هونهاية الصغر الى ما هو فوقه اى ما زاد عليه وتجاوز والوجه الآخر فما فوقها فى الصغر وهذا قول ابى العباس محمد بن يزيد المبرد وابى اسحـاق الزجاج والكسـآئى من قبلهمـا وابى عبيدة وما اظن غيرهـولاء يقول الا مثل ذلك واما ما ذكرت من ان دون تاتى بمـعنى خلف وامام فانهـا عند اهل العربية من الاضداد نحو ورآ فقد اخبرتك ان معنـاها عند اهل العربية التقصير عن الغاية واذا كان الشئ ورآء الشئ او امامه او يمنة اوشامة صلح فى ذلك كله ان تقول هو دونه الاترى انك اذا قلت بيوت بنى فـلان دون الحرة صلح ان تكـون دونهـا الى مهب الشمـال او الى مهب الجنوب او الى غـيرهـا من الجهـات فلا يعلم المخاطب اى الجهات التى تعنى فليس هذا من الاضداد فى شئ وانما جعلها قوم من الاضداد لما راوها تستعمل فى هذه الوجوه لما فيها من الابهام وكذلك ورآء انمـا هى من المواراة والاستتار فما استتر عنك فهو ورآء خلفك كان اوقدامك هذا اذا لم تره ولم تشاهده فاما اذا رايته فلا يكون امامك وورآك وانما

قال لبيد

اليس ورآى ان تراخت منيتي * لزوم العصى تحنى عليها الاصابع

بمعنى اليس امامى لانه قال ذلك قبل ان يرى ويشاهد نفسه وقد لزم الغلط وقد قال الله عز وجل وكان وراهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا قالوا انه كان امامهم وصلح ذلك لانهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه فقد وضح لك الآن معنى دون انها لا تخرج عن بابها التى وضعت له الا ترى انك تقول نزلت فى القرية دون النخل فيجوز ان تكون القرية امام النخل وخلفه ويكون المعنى انك افردت القرية بنزولك ولم تعرج على النخل وكذلك لقيت زيدا دون عمرو واكلت السمك دون اللبن اخرجت عمرا من لقائك واللبن من اكلك وكذلك قول الطائى دون الاقرب قد اخرجهم من العرف وهذا لا شئ اوضح منه وقد حمل بعضهم نفسه على ان قال اراد الطائى لكن عرفه فى الابعد الاوطان دون عرفه فى الاقرب وهذا من الحش الخطا لان قوله دون الاقرب مثل قولك ودى لزيد دون عمرو فليس معناه كمعنى قوله ودى لزيد دون لعمرو لانك فى الاول قد اخرجت عمرا من الود وافردت زيدا به وفى الثانى جعلت الود لزيد دون الود لعمرو اى اقل منه فهذا معنى وراك معنى آخر وايضا فلو اعتمد ابو تمام هذا المعنى لكان قد اخرج لكن التى تدخل للاستدراك من ان يكون استدرك بها شيئا فلا يكون لها فى البيت معنى البتة وقال آخر ممن يلتمس العذر لابى تمام انما هذا على طريق الايثار كما يوثر الانسان على نفسه فكذلك يوثر على اقاربه قيل له الايثار على النفس حسن جدا وصاحبه ممدوح كما قال الله عز وجل ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وكما قال ابو خراش

ارد شجاع الجوع قد تعلمينه * واوثر غيرى من عيالك بالطعم

وكما قال عروة بن الورد

اقسم جسمى فى جسوم كثيرة * واحسو قراح الماء والماء بارد

والايثار انما يكون ايثارا ويقع الحمد به اذا آثر الانسان غيره على نفسه او على ولده وفى بعض الاحوال فاما اذا آثر بعض الطالبين على بعض بغير سبب يعلم فهو بذلك مذموم غير ممدوح فكيف اذا آثر البعيد على القريب وقد جاء فى اشعار العرب من الحث على بر الاقارب ومن حمد من وصلهم وذم من حرمهم ما هو اشهر واكثر

من ان يخفى قال زهير

وليس مانع ذى قربى وذى رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

وقال ابو داود الايادى

اذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم * فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

وقال حاتم الطآئى

لا تعذلينى على مال وصلت به * رحما قريبا فخير المال ما وصلا

وقال اوس بن حجر

اليس بوهاب مفيد ومتلف * وصول لذى قربى هضيم لمهتضم

وقال زهير

وذى نسب ناء بعيد وصلته * بمال وما يدرى بانك واصله

وقال كثير

بسطت لباغى العرف كفا بسيطة * تنال العدى بله الصديق فضولها

هذا المعنى اولى بالصواب من قول الطآئى لانه اراد ان عرفه ينال العدى فضلا عن الصديق لان قوله بله الصديق اى فدع الصديق لانه لا يصل الى العدى الا بعد ان يصل الى الصديق وقال كثير ايضا

لاهل الود والقربى عليه * صنائع بثها بر وصول

وللفقرآء عائدة ورحم * فلا يقصى الفقير ولا يعيل

الا تراه بدأ باهل وده وقرابته فجعل منافعه فيهم ثم ثنى بالفقرآء فجعل لهم عائدة ورحما اى رحمة وقال كثير ايضا

ولم يبلغ الساعون فى المجد سعيه * ولم يفضلوا افضاله فى الاقارب

جزيل الجوازى عن صديقك نصره * وقربت من ماوى طريد وراغب

وصاحب قوم معصم بك حقه * وجار ابن ذى قربى واخر جانب

رايتك والمعروف منك سجية * تعم بخير كل جاد وغائب

جاد يقال يجدو ويجتدى اى تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك فجعل كثير كما ترى معروفه عموما فى الاقارب وفى الاباعد الى الحاضر والغائب

وقال ابن هرمة

كم نائل وصلات قد نفحت بها * ونعمة منك لا تحصى اياديها

عند الاقارب والاقصين نفعهما * بيض روائحها تحدو غواديها

وقال كنانة بن عبديا ليل الثقفى

صلاة وتسبيح واعطاء نائل * وذو رحم تناله منك اصبع

يريد بقوله اصبع ذو رحم ونائل وقال اسماعيل بن يسار النسائى

واذا اصبت من النوافل رغبة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها

وقال المسيب بن علس فى منع الاقارب

من الناس من يصل الا بعدين * ويشقى به الاقرب الاقرب

وقال الحارث بن كلدة الثقفى يذم فاعل ذلك

من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات اقاربه

فان يك خير فالبعيد يناله * وان يك شر فابن عمك صاحبه

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب وقال مسافر بن ابى عمرو بن امية فى ذلك

تمد الى الاقصى بثديك كله * وانت على الادنى صرور مجدد

وانك لو اصلحت من انت مفسد * توددك الاقصى الذى تتودد

الصرور الضيق حلمة الثدى والمجدد الذى قد انقطع لبنه وهذه طريقة القوم فى هذا وهو مذهب سائر الامم واما قول ابى تمام

وربما عدلت كف الكريم عن القوم الحضور ونالت معشرا غيبا

فليس هو من بيته الاول فى شئ وقد ادرك فيه الغرض كانه يعذر من فعل هذا اى ربما اتفق ان يفعله من غير قصد وليس هذا بمحمود وقد ذهب البحترى الى نحو ما ذهب اليه ابو تمام فقال

بل كان اقربهم من سيبه نسبا * من كان ابعدهم من جذمه رحما

الا انه لم يخرجهم من معروفه وان كان ايضا قد دخل تحت الاساءة ونحو هذا قول البحترى ايضا

غدا قسمه عدلا ففيكم نواله * وفى سرنبهان بن عمرو ما آثره

وما عجب ان يشهد الطعن دونه * وما عشرتكم فى نداه عشائره

فاى قسمة عدل ههنا ان يجعل نداه فى غير قومه ويقتصر بهم على ان يحروا الفخر لمآثره وان كان قد دل بقوله وما عشرتكم فى نداه عشائره على انه لم يحرمهم نواله البتة والاحسن فى هذا قوله

فان ينفرد عنا يسير بمجده * فلم ينفرد عنا بنائله الجزل

فاعطاهم المجد والنائل جميعا وشبيه بهذا اوقريب منه قوله

عطاوك ذا القربى جزيل وفوقه * عطاوك فى اهل الشناءة والبعد

فقال عطاوك ذا القربى جزيل ثم قال وفوقه عطاوك فى اهل الشناءة والبعد فقوله وفوقه اى اجزل منه وقد يكون فوقه بمعنى زيادة عليه والمعنى الاول بالبيت اليق والجيد فى هذا البعيد من العيب قوله

ظل فيها البعيد مثل القريب المجتبى والعدو مثل الصديق

ولا اعرف لابى تمام فيما قال عذرا يتوجه ولا وجدت فيما تصفحته من الاشعار العرب ما يجانسه الا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى

لمن زورك من اشرافنا لطف * وذى القرابة ادناء وتقريب

واظن اباتمام عثر به واستغربه فاخذ المعنى وزاد عليه زيادة اخرجته الى ذم الممدوح لان هذا الشاعر قال لمن زورك من اشرافنا لطف اى بر ولذى القرابة ادناء وتقريب ولم يقل ادناء وتقريب دون البر كما قال ابو تمام لان البر واللطف اذا كانا للغريب الزائر وكان الادناء والتقريب فى تلك الحال لذى القرابة فقد يجوز ان يهجه البر اليه فى وقت ايصاله الى الغريب وهذا ان كان يقع فى الاكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله ولله در ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى اذ يقول

فان ذاك الندى يدنى اليه يدا * سماحة من بعيد الدار والرحم

وقوله

وما اضعت الحق فى اجنب * فكيف تنسى واجبا فى شقيق

ومن خطائه قوله

يدى لمن شاء رهن لم يذق جرعا * من راحتيك درى ما الصاب والعسل

لفظ هذا البيت مبنى على فساد لكثرة ما فيه من الحذف لانه اراد بقوله يدى لمن شاء رهن اى اسابقه وابايعه معاقدة او مراهنة ان كان من لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل ومثل هذا لايسوغ لانه حذف ان التى تدخل للشرط ولا يجوز حذفها لانها اذا حذفت سقط معنى الشرط وحذف من وهى الاسم الذى صلته لم يذق فاختل البيت واشكل معناه والحذف لعمرى كثير فى كلام العرب اذا كان المحذوف مما تدل عليه جملة الكلام قال الله عز وجل او لم

يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى اراد جل وعز او لم يتفكروا ليعلموا واشباه هذا كثير ومن باب الحذف والاختصار قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم قال ابو عبيدة العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما اريد كانه اراد فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات يفسر ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وفى الشعر مثل هذا موجود قال الشاعر

لو قلت ما فى قومها لم تأثم * يفضلها فى حسب وميسم

يريد احد يفضلها فحذف احد لان الكلام يدل عليه ذكر ذلك سيبويه وانشد فى باب الحذف

وما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

يريد فمنهما تارة اموت فان تاول متاول هذا البيت على الفاظ اخر محذوفة غير اللفظ الذى ذكرته فالاختلال بعد قائم لكثرة ما حذف منه وسقوط الدليل عليه ومن خطائه قوله

شهدت لقد اقوت مغانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد

جعل الوشائع حواشى البرد او شئا منها وليس الامر كذلك انما الوشائع غزل من اللحمة ملفوف يجره الناسج بين طاقات السدى عند النساجة قال ذو الرمة

به ملعب من معصفات نسجنه * كنسج اليمانى برده بالوشائع

فاما قول كثير

ديار عفت من عزة الصيف بعد ما * تجد عليهن الوشيع المنمنما

انما اراد بالوشيع هنا ما سد به الخصاصة بين الشيئين وهذه وشائع الغزل مأخوذ من المنمنم من النمام اى بعد ما كانت هذه الديار تجد بالوشيع اى بخصص جنابها ومثل ابى تمام لايسوغ الغلط فى مثل هذا لانه حضرى وانما يسامح فى ذلك البدوى الذى يريد الشىء ولم يعاينه فيذكر غيره لقلة خبره بالاشيا التى تكون بالامصار واما ابو تمام فليست هذه حاله بل ما جهل هذا ولكنه سامح نفسه فيه الا ترى الى قوله فى موضع آخر يصف قصيدة

الجد والهزل فى توشيع لحمتها * والنبل والسخف والاشجان والطرب

فقال فى توشيع لحمتها ومن خطائه قوله

لو كان فى عاجل من آجل بدل * لكان فى وعده من رفده بدل

ولم لايكون فى عاجل من آجل بدل والناس كلهم على اختيار العاجل وايثاره وتقديمه على الآجل الا ترى قول القائل الذى قد صار مثلا والنفس مولعة بحب العاجل والعاجل ابدا هو المطلوب المرغوب فيه حتى ان قليله يوثر على كثير الآجل كما قال الآخر

اعاذل عاجل ما اشتهى * احب من الاكثر الرائث

كانه يريد عاجل ما اشتهى مع القلة احب الى من الاكثر المبطى فمن شان الوجل ابدا ان يكون افضل الاعواض والابدال من كل آجل اذا كان فى الخير فعاجل الخير خير من آجله كما ان عاجل الشر شر من آجله لان العاجل شى قد وقع ان كان خيرا فقد حصل نفعه او شرا فقد تعجل شره وآجل الخير يخشى فوته وربما وقع الاخفاق منه كما ان اجل الشر يرجى زواله وربما لم يقع فكيف لايكون العاجل بدلا او خلفا من الآجل فان قال قائل ان الذى اراده ابو تمام وقاله صحيح ومذهبه فيه مستقيم لان العاجل لايكون ابدا بدلا ولا خلفا من الاجل لان المبدل لايكون قبل المبدل منه ولا الخلف يتقدم على ما هو خلف له لانه انما قيل له خلف لاتيانه خلف الذى هو قدامه فابو تمام انما انكر ان يكون العاجل بدلا او خلفا من الاجل على هذه السبيل قيل هذا غلط من التاويل او مغالطة لانه ليس على هذا الوجه منع ابو تمام من ان يكون العاجل بدلا من الاجل فيحتج بان هذا اولى بالتقديم وهذا اولى بالتاخير من طريق الترتيب وانما اراد انه لايقوم مقامه فى الحاجة اليه فكيف يكون الاول يقوم مقام الثانى والمتقدم مقام المتاخر وكان وجه الكلام الذى يصح به المعنى ويستقيم ان يقول لو كان فى عاجل قول بدل من آجل فعل لكان فى وعده من رفده بدل فان قال فهذا الذى اراد ابو تمام قيل ليس الامر كذلك لان طريقة لفظه فى البيت ان يكون معناه لو كان فى شى عاجل من شى آجل بدل وبعد فلو اراد ما ظننته وذهبت اليه وذلك ليس بمعلوم ولا فى البيت عليه دليل لم يلتفت الى ارادته لانك اذا فصلت الاضافة من عاجل قول او آجل فعل ففرقت بين المضاف والمضاف اليه لم يدل احدهما على الآخر لان لفظة عاجل لاتدل غير مضافة على ما تدل عليه لفظة عاجل قول كما ان لفظة آجل لاتدل على آجل فعل ولا يدلان ايضا على شى مضمر كما ان قولك زيد اول ناطق وآخر ساكت

وعمرو اول خارج واخر قادم وبكر اول آخذ واخر تارك اذا افردت اول واخر لم يد لا على شئ مما اضيف اليه الاترى ان الاصمعى انكر على ذى الرمة قوله يصف الوتر كانه فى نياط القوس حلقوم فقال حلقوم ما ذا اذ كان يجب ان يقول حلقوم طائر اوحلقوم قطاة اوغيرهما مما يشبه الوتر فى الرقة والا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل اوحلقوم بعيروهذا من الاصمعى انكار صحيح وان كان لا يلزم ذا الرمة فيه ما يلزم ابا تمام لان العرب لا تشبه الوتر الا بحلقوم الطائر وذلك قول الراجز لام ممر مثل حلقوم الوتر اخذه ابو تمام فقال لام كحلقوم القطاة تغترف وابو تمام انما اراد ان هذا الممدوح يقيم وعده لصحته مقام عطيته واحب الاغراق على رسمه فاخطأ فى تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل لانه اطلق القول عموما فلا يدل على خصوص والجيد النادر فى هذا قول البحترى

لو قليل كفى امرأ من كثير * لاكتفينا بقوله من فعاله

واحسن الراعى فى قوله

ضافى العطية راجيه وسائله * سيان افلح من يعطى ومن يعد

ومن خطائه قوله

بيوم كطول الدهر فى عرض مثله * ووجدى من هذا وهذاك اطول

فجعل للدهر وهو الزمان عرضا وذلك محض المحال وعلى انه ما كانت اليه حاجة لانه قد استوفى المعنى بقوله كطول الدهر فاتى على العرض فى المبالغة فان قيل فلم لا يكون سعة ومجازا قيل هذه الفاظ صنعتها صنعة الحقيقة وهى بعيدة من المجاز لان المجاز فى هذا له صورة معروفة والفاظ مألوفة معتادة لا يتجاوز فى النظر بها الى ما سواها وهى قول الناس عشنا فى خفض ودعة زمانا طويلا عريضا وما زلنا فى رخاء ونعمة الدهر الطويل العريض وانما ارادوا تمامه وكماله وسعته نحو قولهم ثوب طويل عريض اى تام واسع وارض طويلة عريضة اى تامة فى الطول والسعة وكذلك اذا وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة فانما يريدون التمام والكمال الاترى الى قول الراعى

انت ابن فدعى قريش لوتقاسمها * فى المجد صار اليك العرض والطول

اى لها سعة وتمام وكمال والفضائل المحاسن وكذلك قوله

اذا ابتدر الناس المكارم بزهم * عراضة اخلاق ابن ليلى وطولها

اى نزهم منه اخلاقه وتمامها وكمالهـا فى الفضل لان الاخلاق تمدح بالسعة وتذم بالضيق الا ان اكثر ما يأتى فى كلامهم العرض المراد به السعة اذا جاء مفردا عن الطول نحو قولهم فلان فى نعمة عريضة وله جاه عريض وكما قال الله جل وعز وجنة عرضها السموات والارض اى سعتها وكما قال الله عز وجل فى موضع آخر واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وكما قال تميم بن ابى بن مقبل

يقطعن عرض الارض غير لواغب * وكان بجريها لهن صحار

اى يقطعن سعة الارض وكما قال الآخر

ساجعل عرض الارض بينى وبينهم * واجعل بيتى فى غنى واعصر

وكما قال العجاج

اذا تغشوا بعد ارض ارضا * حسبتهم زادوا عليها عرضا

اى سعة وكثرة وكما قال تميم ايضا

حتى اذا الريح خبت بالسفا خببا عرض البلاد اشت الامر واختلفا

اى سعة البلاد فهذا اذا جرى على هذا اللفظ المستعمل حسن ولم يقبح واذا عدل به عن هذه الطريقة وهذه الالفاظ المألوفة الى ما يشبه الحقائق او يقاربها كنت مخطئا لانك اذا قلت مضى لنا فى الخفض والدعة دهر طويل كان طوله كعرضه لم يجز ذلك لان هذا الترتيب كان وصفا لاشياء مجسمة كما قال الطائى * بيوم كطول الدهر فى عرض مثله * فكان هذا اللفظ كانه تدرع ثوبا او تمسح ارضا او يصف بالاجتماع والتزوير رجلا كما قال تميم بن ابى بن مقبل

وكل يمان طوله مثل عرضه * فليس له اصل ولا طرفان

فان قيل فاذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز لم لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز قيل له العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة والزمان لا عرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقة مجازا فان قيل فان الزمان لا يوصف بالسعة كما لا يوصف بالعرض فلم استعرت له العرض الذى هو السعة قيل العرض وان جاء وصفا وحلية للزمان فى قولهم عاش فلان فى نعمة زمنا طويلا عريضا فانما صلح لانك وصلته بالطول وقرنته به فكان المعنى عاش فى زمن تم له وكمل واتسع كما اخبرتك والزمان قد يوصف بالسعة فيقال قد اتسع لك الوقت والزمان فى مثل كذا ولا يقال عرض لك والعرض ههنا هو السعة ولكن اجرى

هذا على حسب ما استعملوه وانما فى الوقت فسحة لك وامتداد يراد به معنى الطول وقال ضرار بن الخطاب * وما لاقيت فى الزمن العريض * وذكر العرض مفردا عن الطول اى الزمن الذى اتسع لك وقد يجوز ان قلت عاش فى الخبر دهرا عريضا ان تريد بالعرض سعة الخبر فيه لا سعته فى نفسه كما قالوا ليل نائم اى ينام فيه ولح باصر اى يبصر فيه وانما تستعار اللفظة لغير ما هى له اذا احتملت معنى يصلح لذلك الشئ الذى استعيرت له ويليق به لان الكلام انما هو مبنى على الفائدة فى حقيقته ومجازه واذا لم تتعلق اللفظة بالعرض على الحقيقة وهذا محال لما كان فى بيت ابى تمام معنى لانه انما اراد ان يبالغ فى طول وجده اذ كل الوجد يوصف بالطول كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما فيقال طال وجدى وطال شوقى وطال غرامى وكذلك الزمان انما يوصف بالطول فيقال طال ليلى وطال نهارى فما كانت حاجة الى العرض وانما فضل وجده على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر من جهة الطول لا من جهة العرض الاتراه قال * ووجدى من هذا هذاك اطول * وقد ذكر ابو تمام العرض فى بيت آخر فقال

ان الثناء يصير عرضا فى الورى * ومحله فى الطول فوق الانجم

كيف جعل سير الثناء عرضا فى الورى وهو لم يحدد موضعا بعينه فيحسن فيه ذكر الطول والعرض فيكون كما قال الراعى

وجرى على حرب الصوى فطردته * طرد الوسيقة فى السماوة طولا

فحسن ان يقول طولا لانه ذكر السماوة كما قال النابغة ويقال انه محمول عليه

جنين مع الغطاط يقدن حتى * قطعن الحزن عرضا والرمالا

فصلح لانه ذكر انهن قطعن ارض الحزن والرمال ومثل قول ابى تمام قول المرار

فلو كانت تجوب الارض عرضا * ولكن جوبهن الارض طولا

وله ولبيت ابى تمام معنى غامض يحتملان به وانا اذكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر ابى تمام ومما يشبه قول ابى تمام * بيوم كطول الدهر فى عرض مثله * او يقارب به قول الكميت يصف عدة قوم بالكثرة * كالليل لا بل يضعفو * ن عليه من باد وحاضر * وكيف يحصل مقدار الليل حتى يحصل ضعفه وهذا ايضا يصح على التمييز والتفتيش اذا حصل معناه وذلك ان الليل لا يغشى الارض كلها بظلمته وانما يغشى بعضها فلعل الكميت اراد انهم ياخذون من الارض ضعف ما اخذه الليل منها

اذا غشيها على سبيل المبالغة كما قال الاحمر بن شجاع الكلبي

بحارا تغشى الناظرين كانها * دجى الليل بل هي من دجى الليل اكثر

وقال ابو تمام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة * كوسعه لم يضق عن اهله بلد

وهذا ايضا غلط من اجل ان كل بلد يضيق باهله وليس ضيقه من جهة ضيق الارض لان الارض لو كانت عشرة اضعافها فى المقدار او الف ضعف مثلها ما كان ذلك بموجب ان يكون الحزن والصمان اونجدا او المدينة اومكة او الكوفة او البصرة فى قدر مساحة كل ناحية منها اوسع وازيد مما هى عليه الآن اذ لم يختط البصرة والكوفة من اختطهما ولا اسس مكة والمدينة من اسسهما على قدر سعة الارض وضيقها ولاصار قدر الحزن والصمان هذا القدر فى ذرعهما ومساحتهما على قدر مساحة الارض وذرعها بقسط اخذاه منها وانما ذلك على حسب الاخلاق فى كل سعة وعلى حسب ما ادى اليه الاجتهاد والاختيار ممن اسس كل بلدة ومصر كل مصر وكان ينبغى ان يقول ورحب صدر لو ان الارض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك وضاقت عنها السماء او ان يقول لو ان سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن اهله بلد وكان حينئذ يكون المعنى لائقا مستقيما والجيد الصحيح فى هذا المعنى قول البحترى * مفازة صدر لم تطرق ولم يكن * ليسلكها بردا سليك المقانب اى لم يكن ليسلكه الا بدليل لسعته وايضا فان الجزء من الارض هو ما يكون فيه من الحيوان والنبات وانما مقداره على ما يقوله اهل الهندسة الربع من الارض واقل من الربع والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزا من الف جزء من ذلك فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة انما هو من اجل ضيق الارض فان قيل لا يدل قوله الارض وهو لفظ عموم على البلدان التى هى مخصوصة ولا يكون اللفظ الا هكذا ان يريد القائل لفظة تدل على معنى فياتى باخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة

ومن خطائه قوله

وكلما امست الاخطار بينهم * هلكى تبين من امسى له خطر

لو لم تصادف شياة البهم اكثر ما * فى الخيل لم تحمد الاوضاح والغرر

فالاوضاح هى البياض فى الاطراف وقد يكون ايضا فى البهم وكذلك ايضا الغرر

قد توجد فى البهم كثيرة وهـذا فساد فى ترتيب البيت لانه ليس اذا وجدت شياة البهم وهى صغـار الغنم اكثرما فى الخيل اووجدت شـياة الخيل اكثرما فى البهم كان ذلك موجبا لحمد الاوضـاح والغرر وانما كان يصح نظم الكلام لولم توجد الاوضاح والغرر فى البهم حتى تكون مخصوصة بالخيل فيقول لولم تعدم الاوضاح والغرر فى البهم لما حمدت فى الخيل فاما ان توجد شياة البهم فى الخيل كثيرا او شيـاة الخيل فى البهم دائمـا فليس هـذا بموجب حمد الاوضـاح والغرر فى الخيل لان الاوضاح والغرر موجودة فى الغنم وقال طارق بن شهاب

وراحت اصيلانا كان ضروعها * دلآء وفيها واتد القرن لبلب

له رعثات كالشنوف وغرة * شدخ ولون كالوديلة مذهب

فذكر ان له غرة وقال اخر فى وصف عنز

سودآ الا وضحـا فى الشوى * كانما الجوزآ فى الاكرع

فذكر بياض اكرعها وذلك موضع التحجيل بل لوقال لولم تقل الاوضاح والغرر فى البهم لما حمـدت فى الخيل لكان اقرب الى الصواب لانى اظنها فى البهم اقل وفى الخيل اكثر وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك

ومن خطأ المدح قوله

ساجد نصرا ما حييت واننى * لاعلم ان قد جل نصر عن الحمد

فانه رفع الممدوح عن الحمد الذى ندب الله عبـاده اليه بان يذكروه به وينسبوه اليه وافتتح فرقانه فى اول سورة بذكره وحث عليه والعرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها واشـعارها ما فيهم من رفع احدا عن ان يحمد ولامن استقل الحمد للممدوح قال زهير بن ابى سلمى

متصرف للحمد معترف * للرزء نهاض الى الذكر

اى حيث ما راى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها وقال زهير ايضا

اليس بفياض يداه غمامة * ثمال اليتامى فى السنين محمد

فقوله محمد اى يحمد كثيرا وقال الاعشى

ولكن على الحمد انفاقه * وقد يشتريه باغلى ثمن

وقال ايضا

اليك ابيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد محمد

فوصفه بان جعله محمدا اى يحمد كثيرا وقال الآخر

ومن يعط اثمان المحامد يحمد * فهذه هى الطريقة المعروفة فى كلام العرب ولو قال الطآى لو جل احد عن المدح لجلات عنه كان اعذر كما قال البحترى

لو جل خلق قط عن اكرومة * تبنى جلت عن الندى والباس

اى كنت تجل لعلو شانك عن ان يقال سخى اوشجاع اذ كان هذان الوصفان قد يوصف بهما من هو دونك وقال البحترى ايضا

والحمد انفس ما تعوضه امرو * رزىء التلاد ان المرزأ عوضا

فاما قول البحترى

كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف سرى مجده فعاب الثناء

فعيبه الثناء انما معناه عظم ان يدركه و يبلغ حده الاثراه قال كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف اى لاطريق الى كيف الثناء الذى يستحقه ويليق به ثم قال سرى مجده فعاب الثنا قطعا من الكلام الاول * ومن خطائه قوله

ظعنوا فكان بكاى حولا بعدهم * ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

اجدر بجمرة لوعة اطفآوها * بالدمع ان تزداد طول وقود

وهذا خلاف ما عليه العرب وضد ما يعرف من معانيها لان من شان الدمع ان يطفى الغليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة وهو فى اشعارهم كثير موجود يجى به هذا النحو من المعنى فمن ذلك قول امرء القيس

وان شفاآءى عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

وقول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفى نجى البلابل

وقال الفرزدق

فقلت لها ان البكا راحة * به يشتفى من ظن ان لاتلاقيا

وهو كثير فى اشعارهم ماعدل به احد منهم عن هذا المعنى وكذلك المتاخرون هذا السبيل سلكوا وابو تمام من بينهم ركب هذا المعنى وكرره فى شعره متبعا لمذاهب الناس فمن ذلك قوله

نثرت فريد مدامع لم تنظم * والدمع يحمل بعض ثقل المغرم

وقال فى موضع اخر

واقعاً بالخدود والبرد منه * واقع بالقلوب والاكباد

وقال ايضا

فلعل عينك ان تجود بمآئها * والدمع منه خاذل ومواسى

وقال ايضا

فلعل عبرة ساعة اذريتها * تشفيك من ارباب وجد محول

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرت به العادة فى وصف الدمع لكان المذهب المستقيم ولكنه احب الاغراب فخرج الى ما لا يعرف فى كلام العرب ولا مذاهب سائر الامم وقد تبعه على الخطا البحترى فقال

فعلام فيض مدامع تدق الجوى * وعذاب قلب فى اجتناب معذب

قوله تدق الجوى من قولهم لم يدق الارض منه شى اى لم يصل وفى شعر امرء القيس ما فيه مودق اى على اثرى واصله من الدنو فكانه قال تدق الجوى اى تدنى الجوى يقال اتان وديق اى تدنو من الفحل ومنه الوديقة الهاجرة لدنو الحر وقيل لقطر المطر ودق لانحلابه من السحاب ودنوه من الارض * ومن خطائه قوله

رضيت وهل ارضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضى من له الامر

فعنى هذا البيت التقرير والتقرير على ضربين تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع اوعلى فعل هو فى الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به نحو قوله هل اكرمتك هل احسنت اليك هل اودك واوثرك واقضى حاجتك وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينبغى ان يكون قد وقع نحو قوله هل كان قط اليك شئ كرهته هل عرفت منى غير الجميل فقوله فى البيت وهل ارضى تقرير لفعل ينفيه عن نفسه وهو الرضى كما يقول القائل وهل يمكننى المقام على هذه الحال اى لا يمكننى وهل يصبر الحر على الذل وهل يروى زيد ويشبع عمرو وهذه افعال معناها النفى فقوله وهل ارضى انما هو نفى للرضى فصار المعنى ولست ارضى اذا كان الذى يسخطنى ما فيه رضى من له الامر اى رضى الله تعالى وهذا خطأ منه فاحش فان قال قائل فلم لا يكون قوله وهل ارضى تقريرا على فعل هو فى الحال ليوكده من نفسه نحو قوله هل اودك ونحو قول الشاعر

هل اكرم مثوى الضيف ان جا طارقا * وابذل معروفى له دون منكرى

قيل له ليس قول القائل لمن يخاطبه هل اودك هل اوثرك وقوله سل عنى هل اصلح

الخبر او هل اكتم السر او هل اقنع بالميسور مثل قول ابى تمام رضيت وهل ارضى فان صيغة هذا الكلام دالة على انه قد نفى الرضى عن نفسه بادخاله الواو على هل وانما يشبه هذا قول القائل وهل اودك اذا كانت افعالك كذا وهل اصلح للخير عندك اذا كنت تعتقد غير ذلك وهل ينفع فى زيد العتاب كقول الشاعر ❊ وهل يصلح العطار ما افسد الدهر ❊ وقول ذى الرمة وهل يرجع التسليم او يكشف العمى ❊ ثلاث الاثافى والرسوم البلاقع ❊ لان الواو ههنا كانها عطفت جوابا على قول قائل ان فلانا سيصلح ويرجع الى الجميل فقال آخر وهل يصلح العطار ما افسد الدهر وكقول الرمة ❊ امنزلتى مى سلام عليكما ❊ هل الازمن اللآى مضين رواجع ❊ لما علم ان التسليم غير نافع عاد على نفسه فقال وهل يرجع التسليم وكما قال امرؤ القيس وان شفاءى عبرة مهراقة ثم قال وهل عند ربع دارس من معول وكذلك قول ابى تمام رضيت ثم قال وهل ارضى اذا كان مسخطى انما معناه ولست ارضى فكان وجه الكلام ان يقول رضيت وكيف لا ارضى اذا كان مسخطى ما فيه رضى الله تعالى وكذا اراد فاخطا فى اللفظ واحال المعنى عن جهته الى ضده فان قيل ان هل ههنا بمعنى قد وانما اراد الطائى رضيت وقد ارضى كما قال الله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر اى قد اتى قيل هذا انما قاله قوم من اهل التفسير وتبعهم قوم من النحويين واهل اللغة جميعا على خلاف ذلك اذ لم يات فى كلام العرب واشعارها هل قام زيد بمعنى قد قام زيد واذا كان ذلك معدوما فى كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز ان يوخذ به او يعول عليه وقد قال ابو اسحق الزجاج وجماعة من اهل العربية فى قوله عز وجل هل اتى على الانسان معناه المرئات على سبيل التقرير وهب الامر فى هذا كما ذكروا والخلاف ساقط فيه فان بيت ابى تمام لا يحتمل من التاويل ما احتملته الآية لان هل انما شبهها من شبهها بقد اذا وليت لفظ الماضى خاصة وابو تمام انما اوقعها على الفعل المستقبل فسقط عنها ان تضارع قد لان قد حينئذ قد تكون بمعنى ربما وهل ليس فيها ذلك وبعد فان كان الرجل انما اراد بهل معنى قد فلم لم يقل رضيت وقد ارضى فياتى بلفظة قد نفسها اذ انما يريد الخبر ولا ياتى بهل فيلتبس الخبر الذى اياه قصد بالاستفهام فان البيت كان يستقيم بهل ويغنينا عن الاحتجاج الطويل وقد استقصيت القول فى هذا البيت وماذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قد وهل ولخصته فى جزء مفرد وانما فعلت ذلك لكثرة من عارضنى فيه

وادعى الدعاوى الباطلة فى الاحتجاج لصحته * ومن خطائه قوله فى الكا على الدار

دار أجل الهوى عن ان الم بها * فى الركب الا وعينى من منائحها

وهذا لفظ محال عن وجهه لان الا ههنا تحقيق وايجاب فكيف يجوز ان تكون عينه من منائحها اذا لم يلم بها وانما وجه الكلام دار اجل الهوى عن ان لم بها وليس عينى من منائحها وقد كنت اظن ان ابا تمام على هذا نظم الشعر وان غلطا وقع عليه فى نقل البيت حتى رجعت الى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى واضرابه فوجدت البيت فى غير نسخة مثبتا على هذا الخطا

( ومن خطائه ايضا فى وصف الربع وساكنه قوله )

قد كنت معهودا باحسن ساكن * ثاو واحسن دمنة ورسوم

والربع لا يكون رسما الا اذا فارقه ساكنوه لان الرسم هو الاثر الباقى بعد سكانه والصواب قول البحترى

يا مغانى الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عندى ملوما

وقال امرؤ القيس وهل عند رسم دارس من معول فقال ذلك لان الرسم يكون دارسا وغير دارس وقال

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان * ورسم عفت آياته منذ ازمان

( ومن خطائه قوله )

طلل الجميع لقد عفوت حميدا * وكفى على رزئى بذاك شهيدا

اراد وكفى بانه مضى حميدا شاهدا على انى رزئت وكان وجه الكلام ان تقول وكفى برزئى شاهدا على ان مضى حميدا لان حمد امر الطلل قد مضى وليس بشاهد ولا معلوم ورزؤه بما ظهر من تفجعه شاهد معلوم فلان يكون الحاضر شاهدا على الغائب اولى من ان يكون الغائب شاهدا على الحاضر فان قيل انما اراد ان يستشهد على عظيم رزئه عند من لم يعلمه قيل فمن لا يعلم قدر مرزئته التى بعضه ظاهر عليه كيف يعلم ما مضى من حميد امر الطلل حتى يكون ذلك شاهدا على هذا فان قال هذا انما جاء به على القلب قيل له المتاخر لا يرخص له فى القلب لان القلب انما جاء فى كلام العرب على السهو والمتأخر انما يحتذى على امثلتهم ويقتدى بهم وليس ينبغى له ان يتبعهم فيما سهوا فيه فان قيل فقد جاء القلب فى القران ولا يجوز ان يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة لان كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك وهو قوله

ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة وانما العصبة تنوء بالمفاتيح اى تنهض بثقلها وقال عز وجل ثم دنا فتدلى وانما هو تدلى فدنا وقال وانه لحب الخير لشديد اى وان حبه للخير لشديد ولهذا اشباه كثيرة فى القرآن قيل هذا ليس بقلب وانما هو صحيح مستقيم انما اراد الله تعالى اسمه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اى تميلها من ثقلها ذكر ذلك الفرآ وغيره وقالوا انما المعنى لتنئ العصبة وقوله انه لحب الخير لشديد قيل المعنى انه لحب المال لشديد والشدة البخل يقال رجل شديد اى بخيل يريد انه لحب المال لبخيل متشدد يريد انه لحب المال اى لاجل حبه المال بخل وقالوا فى قوله عز وجل ثم دنا فتدلى انما كان تدليه عند دنوه واقترابه وكما قال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه والجوزآ اذا دنت من الافق فقد دنا الافق منها وليس هذا من القلب المستكره ومثله فى الشعر كثير قال الشاعر

ومهمه مغبرة ارجآؤه * كان لون ارضه سمآؤه

قوله كان لون ارضه اى كان لون سمائه من غبرتها لون ارضه وليس الامر فى ذلك بواجب لان ارضه وسمآءه مضافان جميعا الى الهاء وهى كناية عن المهمه فايهما اشبه بصاحبه كانا فيه سوآ وانما تغبر آفاق السمآ من الجدب واحتباس القطر قال الحطيئة * فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما امسك الحبل حافره * قال وكان الوجه ان يقول ما امسك الحافر حبله وكلاهما متقاربان لان الحبل اذا امسك الحافر فان الحافر ايضا قد شغل الحبل فهذا كله سائغ حسن ولكن القلب القبيح لا يجوز فى الشعر ولا فى القرآن وهو ما جآ فى كلامهم على سبيل الغلط نحو قول خداش ابن زهير

وتركب خيلا لاهوادة بينها * وتعصى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما الضياطرة هى التى تعصى بالرماح وكقول الآخر

كانت فريضة ما تقول كما * كان الزنآء فريضة الرجم

وانما الرجم فريضة الزنآء وكقول الفرزدق يصف ذئبا

واطلس عسال وما كان صاحبا * رفعت لنارى موهنا فاتانى

وانما اراد رفعها للذئب وانشده المبرد وقال القلب جائز للاختصار اذا لم يدخل الكلام لبس كانه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتاخرين وما علمت احدا قال للاختصار غيره فلو قال لاصلاح الوزن او للضرورة كما قال غيره كان ذلك اشبه

ويجوز ان يكون الفرزدق فى البيت سهـا او اضطر لاصلاح الوزن وابو تمام وغيره من المتاخرين لايسـوغون مثل هذا لانه القلب المستكره فان قيل انه لم يرد القلب وانما اراد وكفى على رزئى بمحمود امر الطلل شهيدا قيل واى شى استشهد واين شهيده ( ومن خطائه قوله فى باب الفراق )

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة * فلباه طل الدمع يجرى ووابله

اراد ان الشوق دعا ناصرا ينصره فلباه الدمع بمعنى انه يخفف لاعج الشوق ويطفى حرارته وهذا انما هو نصرة للمشتاق على الشوق والدمع انما هو حرب للشوق لانه يثلمه ويتخونه ويكسر منه حده كما قال البحترى

وبكاء الديار مما يرد الشوق ذكرا والحب نضوا ضئيلا

قوله يرد الشوق ذكرا اى يخففه ويثلمه حتى يصير ذكرا لا يقلق ولا يزعج كاقـلاق الشوق وقوله والحب نضوا اى يصغره ويمحقه كما قال جرير

فلما التقى الحبـان القيت العصى * ومات الهـوى لما اصيبت مقاتله

فلو كان الدمع ناصرا للشوق لكان يقويه و يزيد فيه الا ترى انك تقـول قد ذبحنى الشوق اليك فالشوق عدو المشتاق وحربه و الدمع سلم لتخفيفه عنه وهو حرب للشـوق وليس بهذا الخطا خفا وقد تبعه البحترى فى هذا الخطـا فقال ينعى الديار التى وقف عليها

نصرت لها الشوق اللجوج بادمع * تلاحقن فى اعقاب وصل تصرما

(ومن خطائه فى معنى الشوق قوله )

يكفيك شوق قد يطيل ظمآءه * فاذا سقاه سقاه سم الاسود

فقوله شوق يطيل ظماءه غلط لان الشوق هو الظما نفسه الا ترى انك تقول انا عطشان الى رؤيتك وظمآن ومشـتاق بمعنى واحد فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمـا وكيف يكون هو الساقى والمحبوب هو الذى يظمىء ويسقى او البعد او الهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل شوقه ( ومن خطائه قوله )

امر التجلد بالتلدد حرقة * امرت جمود دموعه بسجوم

جعـل الحرقة آمرة التجلد بالتلدد والحرقة التى يكون معناها التلدد تسقط التجلد البتة وتذهب به فاما ان يجعله متلددا فان هذا من احمق المعانى واولاها بالاستحالة وايضا فاى لفظ اسخف من ان يجعل الحرقة آمرة وانما العادة فى مثل هذا ان تكون

باعثة او جالبة او نحو هذا واما الامر فليس هذا موضعه ولو قال بعثت اوجلبت لكان له وجه ( ومن خطائه قوله )

من حرقة اطلقتها فرقة اسرت * قلبا ومن عذل فى نحره غزل

قوله اطلقتها فرقة اى ثورتها واظهرتها وانما قال اطلقتها من اجل قوله اسرت ليطابق بين الاطلاق والاسر وقوله اسرت قلبا يعنى الفرقة وهو معنى ردى لان القلب انما ياسره ويملكه شدة الحب لا الفراق فان لم يكن ماسورا قبل الفراق فما كان هناك حب فلم حضر للتوديع وما كان وجه البكاء والاستهلاك والوجل الذى ذكره قبل البيت والقصة القطيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم وما علم ان للفراق لوعة صعبة عند ورده وفجاته فلا يسمى ذلك اسرا ولا علاقة وانما يسمى محنة نظر على اسير الحب وربما قتلته كما يقتل الاسير والفراق انما له لوعة ثم تبرد ناره وتخمد وقتا وقتا حتى يدرس الحب فالفراق يفك اسر الحب وينسى الخليل خليله اذا امتد به زمان الا ترى الى قول زهير الكلبى

اذا ما شئت ان تسلى حبيبا * فاكثر دونه عدد الليالى
فما انسى خليلك مثل نأى * وما ابلى جديدك كابتذال

وقول الآخر

ينسى الخليلين طول النأى بينهما * ويلتقى طرق شتى فياتلف

هذا هو المعنى الصحيح المعروف وان كان قد تقدم ابا تمام فى هذا المعنى من تبعه وحذا على حذوه والردى لا يؤتم به ولعله سمع معنى سائغا حسنا فافسده لسوء عبارته وكثيرا ما يفعل هذا وكان ينبغى ان يقول من حرقة بعثتها فرقة او اظهرتها فرقة جرحت قلبا حتى يكون اسير الهوى قبل الفراق فان قيل فلم لا يكون اسرت قلبه الحرقة للفراق قيل لا يكون ذلك لان الاسر اذا قبح ان يكون فعلا للفرقة قبح ايضا ان يكون فعلا للحرقة لان الفرقة هى التى جلبت الحرقة فشانها كشانها ( ومن خطائه قوله )

ما لامرء خاض فى بحر الهوى عمر * الا وللبين فيه السهل والجلد

وهذا عندى خطا ان كان اراد بالعمر مدة الحياة لانه اسم واحد للمدة باسرها فهو لا يتبعض فيقال لكل جزء منه عمر كما لا يقال ما لزيد راس الا وفيه شجة او ضربة وما له لسان الا وهو ذرب او فصيح وكذلك لا يقال ما له عمر الا

وهو قصير وانما يسوغ هذا فيما فوق الواحد مثل ان تقول ما له ضلع الا مكسورة وما له يد الا وفيها اثر ولا رجل الا وفيها حنف وليس قولهم ما له عيش الا منغص ولا حيوة الا كدرة مثل قولك ما له عمر الا قصير ولو قلته لان عيش الانس ليس له مدة حياته باسرها لانك قد تقول كان عيشى بالعراق طيبا و كانت حياتى بمكة لذيذة وكان عيشى بالحجاز اطيب من عيشى باليمن ولا تقول كان عمرى لان العمر هو المدة باسرها والعيش والحياة ليسا كذلك لانهما يتبعضان فان قيل فانت تقول ما لزيد راس حسن ولا انف اشم ولا لسان ذرب قيل يصلح هذا من اجل النفى لانك انما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ولا لسان من الالسن الذرية واذا دخلت الا ههنا فقد جعلت المنفى موجبا وحقيقة واذا قلت ليس لزيد راس الا حسن فقد اوجبت له عدة رؤوس وهذا خطا وكذلك سبيل العمر وان كان اراد بالعمر منزله الذى يوطنه و يعمره فذلك هو المعمر وما علمت ان احد اسماه عمرا الا ان يكون دير النصارى فانهم يسمونه عمرا وما كان يمنعه ان يقول وطن مكان عمر لان لفظهما ومعناهما واحد وقد يكون للانسان عدة اوطان توطنها وقد ذكر العمر فى موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحيوة فقال *

اذا مارق بالغدر جاور عمره * فذاك حرى ان تتم حلائله

اراد انه ان جاور عمره اى قاربه بالغدر فقد عرضه للزوال والنفاد وهذا من عويص الفاظه وما اراد بالبيت الاول الا مدة الحيوة لان ما قبل البيت وما بعده عليه يدل وقال فى على ابن الجهم

هى فرقة من صاحب لك ماجد * فغدا اذابة كل دمع جامد
فافزع الى ذخر الشؤون وغربه * فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد
واذا فقدت اخا فلم تفقد له * دمعا ولا صبرا فلست بفاقد

قوله يذهب بعض جهد الجاهد اى بعض جهد الحزن الجاهد اى الحزن الذى جهدك فهو الجاهد لك ولو كان استقام له بعض جهد المجهود لكان احسن والبق وهذا اغرب واظرف وقد جاء ايضا فاعل بمعنى مفعول قالوا عيشة راضية بمعنى مرضية ولمح باصر وانما هو مبصر فيه واشباه هذا كثيرة معروفة ولكن ليس فى كل حال يقال وانما ينبغى ان ينتهى فى اللغة الى حيث انتهوا ولا يتعدى الى غيره فان اللغة لا يقاس عليها وقوله فلم تفقد له دمعا ولا صبرا من الخش الخطا لان الصابر لا يكون

باكيا والباكى لا يكون صابرا فقد نسق بلفظة على لفظة وهما نعتان متضادان ولايجوز ان يكونا مجتمعين ومعناه انك اذا فقدت اخا فادام البكا عليك فلست بفاقد وده ولا اخوته وهو محصل لك غيرمفقود وان كان غائبا عنك والى هذا ذهب الا انه افسده بذكر الصبر مع البكاء وذلك خطا ظاهر ولو كان قال فلم تفقد له دمعا ولا جزعا او دمعا ولا شوقا ولاقلقا لكان المعنى مستقيما وظننته قال غير هذا وان غلطا وقع فى كتابة البيت عند النقل حتى رجعت الى اصل ابى سعيد السكرى وغيره من الاصول القديمة فلم اجد الا دمعا ولا صبرا وذلك غفلة منه عجيبة وقدلاح لى معنى اظنه والله اعلم اليه قصد وهو ان يكون اراد اذا فقدت اخا فلم تفقد له دمعا اى يواصل البكا عليك فلست بفاقده على ما ذكره اى فقد حصل لك وصار ذخرا من ذخائرك وان غاب عنك وغبت عنه وان لم تفقد له صبرا اى وان صبر عنك فلست بفاقد لانه ان صبر وسلاك فليس ذاك باخ يعول عليه فلست ايضا بفاقده لانك لا تعتد به موجودا ولا مفقودا ولكن ذهب على ابى تمام ان هذا غير جائز لانه وصف رجلا واحدا بالوصفين جميعا وهما متضادان ولوكان جعلهما وصفين لرجلين فقال

واذا فقدت اخا لفقدك باكيا * اوصابرا جلدا فلست بفاقد

اى لست بفاقد هذا لانه محصل لك اولست بفاقد هذا لانه غير ناس مودتك لكان المعنى سائغا حسنا واضحا اولو جعله شخصا واحدا وجعل له احد الوصفين فقال

واذا فقدت اخا فاسبل دمعه * اوظل مصطبرا فلست بفاقد

لكان ايضا سائغا على هذا المذهب اوكان استوى له فى ذلك اللفظ بعينه ان يقول فلم تفقد له دمعا ولاصبرا حتى لا يجعل له الا احدهما لساغ ذلك لكنه نسق بالصبر على الدمع فجعلهما جميعا له ففسد المعنى فهذا واشباهه الذى قاله الشيوخ فيه انه يريد البديع فيخرج الى المحال وقال ابو تمام

لما استحر الوداع المحض وانصرمت * اواخر السير الا كاظما وجما

رايت احسن مرئى واقبحه * مستجمعين لى التوديع والعنما

العنم شجر له اغصان لطيفة غضة كانها بنان جارية الواحدة عنمة كانه استحسن اصبعها واستقبح اشارتها اليه بالوداع وهذا خطأ فى المعنى اراه ما سمع قول جرير * اتنسى اذ تودعنا سليمى * بفرع بشامة سقى البشام * فدعا للبشام بالسقيا لانها ودعته

به فسر بتوديعها وابو تمام استحسن اصبعها واستقبح اشارتها ولعمري ان منظر الفراق منظر قبيح ولكن اشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحه الا اجهل الناس بالحب واقلهم معرفة بالغزل واغلظهم طبعا وابعدهم فهما وقال *

فلويت بالمعروف اعناق الورى * وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

حطم ظهر الوعد بالانجاز استعارة قبيحة جدا والمعنى ايضا فى غاية الرداءة لان انجاز الموعد هو تصحيحه وتحقيقه وبذلك جرت العادة ان يقال قد صح وعد فلان وتحقق ما قال وذلك اذا انجز فجعل ابو تمام فى موضع صحة الوعد حطم ظهره وهذا انما يكون اذا اخلف الوعد وكذب الا تراهم يقولون قد مرض فلان وعده وعلاه ووعد وعدا مريضا واذا اخلف وعده فقد اماته فالاخلاف هو الذى يحطم ظهر الموعد لا الانجاز ولاخفاء بفساد ما ذهب اليه وكان ينبغى ان يقول وحطمت بالانجاز ظهر المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان يصح ويسلم ويتلف المال وقال *

اذا وعد انهلت يداه فاهدتا * لك النجح محمولا على كاهل الوعد

وكاهل الوعد اذا حمل النجح من سبيله ان يكون صحيحا مسلما لا ان يكون محطوما كما قال فى البيت الاول فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت وان كان كاهل الوعد قبيحا ومثل هذا البيت الاول فى الفساد او قريب منه قوله

اذا ما رحى دارت ادرت سماحة * رحى كل انجاز على كل موعد

وهذا اتلاف الموعد وابطاله لانه جعله مطحونا بالرحى وانما ذهب الى ان الانجاز اذا وقع بطل الوعد وليس الامر كذلك لان الموعد ليس بضد للانجاز فاذا صح هذا بطل ذلك بل الوعد الصادق طرف من الانجاز وسبب من اسبابه فاذا وقع الانجاز فهو تمام الوعد وتصحيح له وتحقيق وتصديق فهو فى هذه الاستعارة غالط والمعنى الصحيح قوله

ابلهم ريقا وكفا لسائل * وانضرهم وعدا اذا صوح الوعد

فتصويح الوعد هو ان يخلفه الواعد فيبطل ولا يصح لانه من صوح النبت اذاجف ومثله فى الصحة قوله * تزكو مواعده اذا وعد امرء * انساك احلام الكرى الاضغاثا * فهذا هو المعنى الصحيح ان يكون الوعد يزكو لا ان يبطل ويذهب ولله در ابى اسحاق ابراهيم بن هرمة اذ يقول * يسبق بالفعل ظن سائله *

ويقتل الريث عنده العجل * فهذه الاستعارة الصحيحة ان يقتل العجل الابطاء لا ان يقتل الانجاز الوعد فاما قوله نؤم ابا الحسين وكان قدما * فتى اعمار موعده قصار * وقول البحترى * وجعلت فعلك تلو قولك ناصرا * عمر العدوبه وعمر الموعد * فان عمر الموعد مدة وقته فاذا انجز صار مالا فنفاد وقته ليس بمبطل له بل ذلك نقله من حال الى حال اخرى الا ترى الى البحترى كيف كشف عن هذا المعنى وجاء بالامر من فصه فقال * يوليك صدر اليوم ما فيه الغنى * بمواهب قد كن امس مواعدا * فبطلان الموعد هو بطلان الشئ الذى الموعد واقع به وصحته هو صحة ذلك الشئ ثم اتبع البحترى هذا البيت بان قال

شيم السحائب ما بدان بوارقا * فى عارض الا انثنين رواعدا

فجعل البوارق مثالا للمواعيد وجعل الرواعد هى البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة مثالا للغيث الذى هو العطايا فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق بل هى هى لان تلك نور يحدثه ازدحام السحاب والرعد صوت ذلك الازدحام فالبرق يرى اولا والرعد يسمع آخرا وهوهو وذلك ان العين اسبق الى الابصار من الاذن للاستماع لان العين ترى الشىء فى موضعه والاذن لا تسمع الصوت الا اذا وصل اليها فشبهها بالمواعد التى تجر المواهب وهذا احسن ما يكون من التمثيل واصحه وانما اقام الرواعد مقام المواهب لانه قد يكون برق ولا مطر فيه ولا يكاد يكون رعد الا ومعه مطر ثم ان التشبيه صح بان صار الرعد بعد البرق وما احسن ما قال خلف بن خليفة الاقطع *مواعدهم فعل اذا ما تكلموا * فتلك التى ان سميت وجب الفعل * يعنى قولهم نعم فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه وقد مثل البحترى ايضا الموعد وكيف تحول عطاء تمثيلا آخر حسنا فقال

وشكرت منك مواهبا مشكورة * لو سرن فى فلك لكن نجوما

ومواعدا لو ان شيئا ظاهرا * تفضى اليه العين كن غيوما

وذلك لان الغيم يصير مطرا كما ان الموعد يصير عطاء وابو تمام فيما يذهب اليه غالط لانه وضع الاستعارات فى غير موضعها * (ومن خطائه قوله)

فلو ذهبت سنات الدهر عنه * والقى عن مناكبه الدثار

لعدل قسمة الارزاق فينا * ولكن دهرنا هذا حمار

قوله والقى عن مناكبه الدثار لفظ ردى وليس من المعنى الذى قصده فى شى وصدر البيت لائق بالمعنى فلو كان اتبعه بما يكون مثله فى معناه بان يقول فلو ذهبت

سنات الدهر عنه لاستيقظ من رقدته وانتبه من نومته وانكشف الغطاء عن وجهه لكان المعنى معنى مستقيما لان من كان فى سنة او نوم اومغطى على وجهه او عينيه فانه لايبصر الرشد ولا يكاد يهتدى لصواب وانما هـذه كلها استعارات والمراد بها هداية القلب وابصاره وفهمه وقد جرت العادة باستعارتها فى هذا المعنى فاما دثار المناكب فليس من هذا الباب فى شىء اذ قد يبصر الانسان رشده ويهتدى لصواب امره وعلى مناكبه دثار وعلى ظهره ايضا حمل ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين لانه انما راد نوم القلب والتغطية عليه لان الانسان انما يقال له قد عمى قلبك وقد عميت عن الصواب عينك وقد غطى على فهمك ولا يقال قدغطيت بالدثار عن الصواب مناكبك ولا ظهرك ولفظة الدثار ايضا انما تستعمل لمنع الهواء والبرد لا لمنع الفهم والرشد ومن خطائه قوله

وارى الامور المشكلات تمزقت * ظلماتها عن رأيك المتوقد
عن مثل نصل السيف الا انه * مذ سل اول سلة لم يغمد
فبسطت ازهرها بوجه ازهر * وقبضت اربدها بوجه اربد

فقال الامور المشكلات وجعل لها ظلمات فكيف يقول فبسطت ازهرها والزهر هى النيرات والمشكلات لا يكون شئ منها نيرا وكانه يريد ان الامور المشكله منها جيد قد اشكل الطريق اليه ومنها ردى قد جهلت ايضا حاله فهى كلها مظلمة فيمزق ظلماتها برايه ويكشف عن الجيد منها ويبسطه اى يستعمله ويكشف عن رديها ويقبضه اى يكفه ويطرحه ولكن ما كان ينبغى له ان يقول بوجه ازهر وبوجه اربد لانه لاصنع ههنا للوجه ولا تاثير لان الصنع انما هو للراى والعقل فاذا راى ذو الراى امرا استبان منه الاشياء المظلمة وانفتحت المغلقه اوراى ان يغلق امرا مفتوحا اذ كان الصواب موجبا ذلك عنده فاراى على الاحوال كلها ازهر مسفر والوجه على الاحوال كلها ابيض وليس يريد ابيض فى لونه والعاجز اذا ورد عليه الامر يبهظه تبينت الكاآبة فى وجهه ولله در منصور النمرى حيث يقول

ترى ساكن الاوصال باسط وجهه * يريك الهوينا والامور تطير

فقال ساكن الاوصال باسط وجهه فدل على قلة اكتراثه بالامور التى ترد عليه وقول ابى تمام بوجه اربد لامعنى له لانه من صفات الغضبان او المكتئب من امر ورد عليه وهو عندى فى ذلك غالط وفى ذلك مسيء * ومن خطائه قوله

كالارحبي المذكى سيره المرطى * والوخد والملع والتقريب والخبب

فالارحبي من الابل منسوب الى ارحب حي من همدان تنسب اليهم النجائب والمذكى الذي قد انتهى فى سنه وقوته والمرطى من عدو الخيل فوق التقريب ودون الاهذاب والوخد الاهتزاز فى السير مثل وخد النعام والملع من سير الابل السريع والتقريب من عدو الخيل معروف والخبب دونه وليس التقريب من عدو الابل وهو فى هذا الوصف مخطئ وقد يكون التقريب لاجناس من الحيوان ولا يكون للابل وانا ما راينا بعيرا قط يقرب تقريب الفرس والمرطى ايضا من عدو الخيل لم اره فى اوصاف الابل ولا سيرها * ومن خطائه قوله

ومشهد بين حكم الذل منقطع * صاليه او بحبال الموت متصل

جلبت والموت مبد حر صفحته * وقد تفرعن فى افعاله الاجل

وقوله بين حكم الذل لو كان حكم الذل اشيآ متفرقة لصحت فيها بين غير ان حكم الذل والذل بمنزلة واحدة وكذلك حكم العز والعز فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال وكذا لان بين انما هى وسط بين شيئين فان قال ان حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومن يصلاها فكانه ذهب بقوله بين الى معنى وسط اى ومشهد وسط حكم الذل قيل وسط لا يحل محل بين وبين لا يحل محل وسط لانك تقول البر وسط الدار ولا تقول البر بين الدار وتقول المال بيننا نصفين ولا تقول المال وسطنا والمعنى الذى بنى ابو تمام البيت عليه سياقة لفظه ان يقول ومشهد بين حكم الذل وحكم العز اى ومشهد بين الذل والعز محجم من يصلاه وهو الذليل او مقدم وهو العزيز جليته وكشفته يعنى الممدوح فحذف احد القسمين الذى لا يصلح بين الا به مع القسم الآخر وجعل قوله منقطع فى موضع محجم ومتصل فى موضع مقدم وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع وقد اغراه الله بوضع الالفاظ فى غير مواضعها من اجل الطباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به وقوله وقد تفرعن فى افعاله الاجل معنى فى غاية الركاكة والسخافة وهو من الفاظ العامة وما زال الناس يعيبونه به ويقولون اشتق للاجل الذى هو مطل على كل النفوس فعلا من اسم فرعون وقد اتى الاجل على نفس فرعون وعلى نفس كل فرعون كان فى الدنيا * ومن خطائه قوله

سعى فاستنزل الشرف اقتسارا * ولولا السعى لم تكن المساعى

قوله سعى فاستنزل الشرف اقتسارا ليس بالمعنى الجيد بل هو عندى هجآ مصرح

لانه اذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف وذلك انك اذا ذممت رجلا شريفا شريف الاباء كان ابلغ ما تذمه به ان تقول قد حططت شرفك ووضعت من شرفك وقد وكده بقوله اقتسارا وقوله ولولا السعى لم تكن المساعى فبئس السعى والله سعى لان الشرف لا يحط الا بالأم ما يكون من الافعال وكانه انما اراد سعى لحوى الشرف نفسه فافسد المعنى بذكر استنزاله اياه كأنه لو لم يستنزله ما كان يكون حاويا له فهلا قال ترقى الى الشرف الاعلى لحواه او بلغ النجم او علا على الشمس كما قال الآخر *

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بسؤددهم او مجدهم قعدوا

ومن خطائه قوله

يقظ وهو اكثر الناس اغضا * ء على نايل له مسروق

قوله على نايل له مسروق خطا لان نائله هو ما يذله كيف يكون مسروقا منه وهل يكون الهجو الا هكذا ان يجعل نائله ماخوذا منه على طريق السرقة وانما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه اذ كان من شان المتيقظ ان لايغفل حتى يستتم عليه السرق وقد كان يصح هذا المعنى لو قال على مال له مسروق حتى يكون يعطى ما له اختيارا بجوده ويغضى اذا سرق منه لكرمه ومن خطائه قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى * من لذة وقريحة لم تحمد

ويروى من لذة او من فرجة اى من لذة وافتراح اى ابتداع واستخراج وهذا عندى غلط لان هذا الوصف الذى وصفه داعية ان يتناهى الحامد له فى الحمد ويجتهد فى الثنا بان يدع جده وانما ذهب الى ان الانسان انما يحمد على الشئ الذى يتكلفه ويتجشمه ويتحمل المشقة فيه لا على الشئ الذى له بواعث شهوة من نفسه وشدة صبابة اليه ومحبة لفعله ومن كان غرامه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب ان يحمد ويمدح فاما قول البحترى

ولقد ابدت الحمد حتى لو بنت * كفاك مجدا ثانيا لم تحمد

فذهب صحيح يريد انك قد افنيت الاوصاف والمحامد فان جئت بنوع من المكارم تبنى به مجدا آخر لم يقدر من يحمدك ويثنى عليك على اكثر مما تقدم ومن خطائه قوله

تناول الفوت ايدى الموت قادرة * اذا تناول سيفا منهم بطل

قوله تناول الفوت ايدى الموت عويص من عويصاته وهذا ايضا محال وانما سمع قول سعد بن مالك

هيهات حال الموت دون الـفوت وانتضى السلاح

والفوت هو النجاة اى حال الموت دون النجاة وهذا صحيح مستقيم فقال هو تناول الفوت ايدى الموت وهذا محال لان النجاة لا تتناولها يد الموت ولا تصل اليها والا لم تكن نجاة وهذا من تعقده الذى يخرجه الى الخطا وانما قصد الى ازدواج الكلام فى الفوت والموت ولم يتامل المعنى والوجه الصحيح قول البحترى

تتدانى الآجال ضربا وطعنا * حين يدنو فيشهد الهيجاء

ومن خطائه قوله

واكتست ضمر الجياد المذاكى * من لباس الهيجا دما وحميما

فهى بكر تلوكها الحرب فيه * وهى مقورة تلوك الشكيما

فهذا معنى قبيح جدا ان جعل الحرب تلوك الخيل من اجل قوله تلوك الشكيما وتلوك الشكيما ايضا ههنا خطأ لان الخيل لا تلوك الشكيم فى المكر وحومة الحرب وانما تفعل ذلك واقفة لا مكرلها فان قيل انما اراد ان الحرب تلوكها كما تلوك هى الشكيم قيل هذا تشبيه وليس فى لفظ البيت عليه دليل والفاظ التشبيه معروفة وانما طرح ابا تمام فى هذا قلة خبره بامر الخيل الا ترى الى قول النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والصيام ههنا القيام اى خيل واقفة مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهى واقفة وخيل تحت العجاج فى الحرب وخيل تعلك اللجما قد اسرجت والجمت واعدت للحرب والشاعر الحصينى كان احذق من ابى تمام واعلم بامر الخيل قال

واذ احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

والا فتى رأى فرسا يجرى وهو يلوك شكيمه فاما قول انس بن الريان

اقود الجياد الى عامر * عوالك لجم تمج الدماء

فان القود قد يكون فى خلاله تلبث وتوقف تلوك فيه الخيل لجمها والمكر لا يستقيم ذلك فيه فاما قول ابى حزانة التميمى

خاض الردى فى العدى قدما عنصله * والخيل تعلك من الموت باللجم

فانما جعل نن الموت مثلا والثن حطام النبات اليابس ولم يرد ان الخيل تعلك اللجم على الحقيقة

ومن خطائه قوله

والحرب تركب راسها فى مشهد * عدل السفيه به بالف حليم
فى ساعة لو ان لقمانا بها * وهو الحكيم لكان غير حكيم
جثمت طيور الموت فى اوكارها * فتركن طير العقل غير جثوم

فالبيتان الاولان جيدان وقوله جثمت طيور الموت فى اوكارها بيت ردىء فى القسمة ردى فى المعنى لانه جعل طير الموت فى اوكارها جاثمة اى ساكنة لا ينفرها شى وطير العقل غير جثوم يعنى انها نفرت فطارت يريد طيران عقولهم من شدة الروع وما كان ينبغى ان يجعل طير الموت جثوما فى اوكارها وانما كان الوجه ان يجعلها جاثمة على رؤوسهم او واقعة عليهم فاما ان تكون جاثمة فى اوكارها فانها فى السلم او فى الامن جاثمة فى اوكارها ايضا وطير العقل ليست بضد لطير الموت وانما هى ضد لطير الجهل وطير الحيوة هى الضد لطير الموت ولو كان قال

جثمت طيور الموت فوق رؤوسهم * فتركن اطيار الحيوة تحوم

لكان اشبه واليق او لو قال

سقطت طيور الموت فوق رؤوسهم * فتركن اطيار العقول تحوم

لكان ايضا قريبا من الصواب لانهم يقولون طار عقله من الروع فاذا ثاب اليه عقله وسكن قيل قد افرخ روعه وهذا مثل وذلك ان الطائر اذا افرخ لزم عشه وفراخه وقد يجوز ان يكون افرخ روعه اى ذهب لان الطائر اذا افرخ فطارت فراخه انتقل عن ذلك العش وقولهم جثم الطائر انما هو ان يلصق جثمانه بالارض يذهب الى ان طيور الموت ساكنة وطيور العقل منزعجة طائرة وقولهم غير جثوم لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة لان الطائر قد يكون جاثما وقد يكون قائما على رجليه ساكنا مطمئنا وهذه حاله فى اكثر اوقاته فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ولا يودى التادية الصحيحة عنه

ومن خطائه قوله فى وصف الفرس

ما مقرب يختال فى اشطانه * ملآن من صلف به وتلهوق

قوله ملآن من صلف يريد التيه والكبر وهذا مذهب العامة فى هذه اللفظة فاما

العرب فانها لا تستعملها على هذا المعنى وانما تقول قد صلفت المراة عند زوجها اذا لم تحظ عنده وصلف الرجل كذلك اذا كانت زوجته تكرهه وقال جرير

اني اواصل من اردت وصاله * بحبال لا صلف ولا لوام

والصلف الذى لاخير عنده ومثل يضرب رب صلف تحت الراعدة يعنون الرعد بغير مطر فهذا معنى الصلف فى كلامهم وعلى هذا قد ذم ابو تمام الفرس من حيث اراد ان يمدحه والتلهوف هو لطف المدارة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ومنه قول الاغلب العجلي يصف مداراة رجل له امراة حتى نال منها

فلم يزل بالحلف النجي * لها وبالتلهوف الخفي

ان قدخلونا بفضاء فى * وغاب كل نفس محشى

وقد ذكر ابو عبيدة القاسم فى الغريب المصنف فى اول نوادر الاسمآ التلهوف وقال وهو مثل التملق وما ارى ابا تمام فى وضع هاتين اللفظتين الاغالطا وقال ابو تمام

عطفوا الخدور على البدور ووكلوا * ظلم الستور بنور حور خرد

وثنوا على وشى الخدود صيانة * وشى البرود بمسجف وممهد

البيت الاول حسن حلو واخذ قوله وثنوا على وشى الخدود صيانة وشى البرود من قول الكميت

وارخين البرود على خدود * يزين الفراحم بالاسيل

وقوله بمسجف وممهد فالمسجف يريد ستر باب الحجله وكل باب مشقوق فكل ستر منهما سجف وكذلك سجف الخبآء والمسجف المرخى والتسجيف ارخاء السجفين وقوله بمسجف اى من مسجف وممهد فجعل البآ فى موضع من كما قال عنترة

شربت بمآء الدحرضين فاصبحت * زورآء تنفر عن حياض الديلم

اى من مآ الدحرضين والممهد الوطآ الذى يوطا تحت المراة فكيف يكون ذلك مشرفا على السجف الذى ذكر انهم ثنوه على وشى الخدود والممهد ليس هذه حاله فيعطفه عليه فان قيل كيف لا يكون محمولا على قول الشاعر

ورايت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد وقول الآخر وزججن الحواجب والعيونا والعيون لا تزجج وانما اراد

ذلك متقلدا سيفا وحاملا رمحا واراد هـذا وزججن الحواجب وكحلن العيونا قبل متقلد السيف هو حامله ايضا فحسن ان يعطف عـلى السيف لانهمـا جيعا محمولان وكذلك زججن وكحلن هما جيعا زينة فحسن ان يعطف احدهما على الآخر والممهد لا يشرك الستر فى شئ من تغطية الوجه ولاصيانته ولا بنيت الفاظ البيت الا على ستر الخدود بالستور ولا يتعلق الممهد بالمعنى باضمـار لفظ ولا غيره ومن خطائه قوله

بقاعية تجرى علينا كؤوسها * فتبدى الذى تخفى وتخفى الذى تبدى

ذهب فى هذا الى ان الخمر تخفى الذى نبديه فى حال الصحو من الحلم والوقار والكف عن الهزل واللعب وتبدى الذى تخفى اى الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله لانه فى الطبيعة والغريزة والذى كنا نظهره انما هو تصنع وتكلف ويدخل فى هذا ما يبوح به المحب من الحب الذى كان يكتمه فى صحـوه ويظـهر ضـده او ما يبوح به من بغض زيد وكان يظهر فى صحوه مودته ومنافعه وكذلك ما يظهر السكر من بخل البخيل ومنع ما كان يتحمله ببذله فى الصحو او ما يظهر من السماحة التى كان لا يسمح بمثلهـا فى صحوه خوف العـاقبة ونحو هـذا وما سقط من قول الحكمـاء ان الشراب يثير كل ما وجد اى يظهر كل ما فى النفس من خـير وشر وحسن وقبيح فكل شئ يظهره الانسان وليس فى اعتقاده ولانيته فان الذى يضمره ويكتمه فى نفسه فهو ضده فاذا اظهر السكر اعتقـاد المعتقد الـذى هو الصحيح فان ضده مما كان يتجمل باظهاره يبطل ويتلاشى لان الشراب يخفيه ويطويه فى الضمير حتى يكون مكتوما كما كانت الحقيقة مكتومة هـذا محال لان القلب هو محل المعتقدات فلا يجوز ان يجتمع فيهـا الشئ وضده والاعتقـادات لا تكون باللسان لان اللسـان يكذب والقلب لا يتضمن الا الحقيقة وقول ابى تمام فتبدى الذى تخفى قول صحيح وقوله وتخـفى الذى تبدى اللفظ فاسد لان تخفى معناه تكتم وتستر والذى قد ابطلته وازلته لا يجوز ان يعبر عنه بانك اخفيته ولا كتمته فان قيل ولم لا يكون هذا توسعـا ومجازا قيل المجاز فى مثل هذا لا يكون لان الشئ الذى تكتمه وتطويه انمـا انت خازن له وحافـظ فهو ضد للشئ الـذى تزيله وتبطله والاضداد لا يستعمل احدها فى موضع الآخر الا على سبيل المجاز

ومن خطـائه قوله فى وصف فرس

وبشعلة نبذ كأن فليلها * فى صهوتيه بدء شيب المفرق

قوله قليلها يريد ما تفرق منها فى صهوتيه والصهوة موضع اللبد وهو مقعد الفارس من الفرس وذلك الموضع ابدا ينحت شعره لغمز السرج اياه فينبت ابيض لان الجلد ههنا يرق وانت تراه فى الخيل كلها على اختلاف شياتها وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل فهذا خطأ من هذا الوجه وهو خطأ من وجه آخر وهو ان جعله شعلة والشعلة لا تكون الا فى الناصية او الذنب وهو ان يبيض عرضها وناحية منها فيقال فرس اشعل وشعلاً وذلك عيب من عيوب الخيل فان كان ظهر الفرس ابيض خلقة فهو ارحل ولا يقال اشعل وقد اخذ البحترى قوله بده مشيب المفرق فجاء به حسنا جدا ثم سلم من العيب فقال

وبشعلة كالشيب مر بمفرق * غزل لها عن شيبه بغرامه

فقال بشعلة ولم ينص على موضعها ومعلوم انه اراد بياضا فى الناصية وقال مر بمفرق غزل فاوضح انه ذلك الموضع اراد وقال لها عن شيبه بغرامه فاتى بشئ يفوق كل حسن الا ان البياض فى الناصية من عيوب الخيل وكذلك البياض فى الذنب ليس بين الناس فى ذلك اختلاف ويقال لبياض الناصية ايضا السعف وايضا فان البحترى وصف فرسا ادهم فقال

جذلان تلطمه جوانب غرة * جاءت مجئ البدر عند تمامه

فاى حسن يكون لبياض ناصية على بياض غرة ومن قبيح وصف شيات الخيل قول ابى تمام فى هذا الفرس ايضا

مسود شطر مثل ما اسود الدجى * مبيض شطر كابيضاض المهرق

شطر الشئ جانبه وناحيته قال الله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام اى ناحيته وقد يراد بالشطر نصف الشئ يقال قد شاطرتك مالى اى ناصفتك فهذا هو الاكثر الاعم فيما يستعملون وذلك من اقبح شيات الابلق على ظاهر هذا المعنى ولم يرده ابو تمام وانما اراد بالشطر ههنا البعض او الجزء اى مسود جزء مبيض جزء فجاء بالشطر لانها لفظة احسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع والجيد النادر قول البحترى

او ابلق يلق العيون اذا بدا * من كل لون معجب بنموذج

وقد جعله ابو تمام فى اول الابيات اشعل بقوله بشعلة ثم جعله هنا ابلق فهذا الفرس هو الاشعل الابلق على مذهبه فى هذا التشبيه ولا ينكر مثل هذا من ابتداعاته

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى قد ذكرت فى الجزء الثانى الموازنة بين شعر ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وشعر ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى وخطا ابى تمام فى الالفاظ والمعانى وبيضت اخر الجزء لالحق به ما يمر من ذلك فى شعره واستدركه من بعد فى قصائده وانا اذكر فى هذا الجزء الرذل من الفاظه والساقط من معانيه والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه على ما رايت فى اشعار المتاخرين يتذاكرونه وينعونه عليه ويعيبونه وعلى انى وجدت لبعض ذلك نظاير فى اشعار المتقدمين فعلمت انه بذلك اغتر وعليه فى العذر اعتمد طلبا منه للاغراق والابداع وميلا الى وحشى المعانى والالفاظ وانما كان يندر من هذه الانواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيت او البيتان يتجاوز له عن ذلك لان الاعرابى لايقول الا على قريحته ولايعتصم الا بخاطره ولايستقى الا من قلبه واما المتاخر الذى يطبع على قوالب ويحذو على امثلة ويتعلم الشعر تعلما وياخذه تلقنا فمن شانه ان يجتنب المذموم ولايتبع من تقدمه الا فيما استحسن منهم واستجيد لهم واختير من كلامهم او فى المتوسط السالم اذا لم يقدر على الجيد البارع ولايوقع الاحتطاب والاستكثار مما جاء عنهم نادرا ومن معانيهم شاذا ويجعله حجة له وعذرا فان الشاعر قد يعاب اشد العيب اذا قصد بالصنعة سائر شعره وبالابداع جميع فنونه فان مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرجة سهل التاليف الى سوء التكلف وشدة التعمل كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره لان لكل شئ حدا اذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطا وما وقع الافراط فى شى الا شانه واعاد الى الفساد صحته والى القبح حسنه وبهاه فكيف اذا تتبع الشاعر مالاطايل فيه من لفظة شنيعة لمتقدم اومعنى وحشى فجعله اماما واستكثر من اشباهه ووشح شعره بنظائره ان هذا لعين الخطا وغاية فى سوء الاختيار

﴿ باب ما فى شعر ابى تمام من قبيح الاستعارات ﴾

فمن مرذول الفاظه وقبيح استعاراته قوله

يادهر قوم من اخدعيك فقد * اضججت هذا الانام من خرقك

وقال

صبا شكر فرجة اللبب الرخى * ولين اخادع الدهر الابى

وقال

فضربت الشتاء فى اخدعيه * ضربة غادرته عودا ركوبا

وقال

تروح علينا كل يوم وتغتدى * خطوب كأن الدهر منهن يصرع

وقال

الا لا يمد الدهر كفا لسئ * الى مجتدى نصر فتقطع من الزند

وقال

والدهر الأم من شرقت بلؤمه * الا اذا اشرقته بكريم

وقال

تحملت مالو حل الدهر شطره * لفكر دهرا اى عبأيه اثقل

وقوله يصف قصيدة

بحل بفاع المجد حتى كأنه * على كل راس من يد المجد مغفر

لها بين ابواب الملوك مزامر * من الذكر لم تنفخ ولاهى تزمر

وقوله

به اسلم المعروف بالشام بعدما * ثوى منذ اودى خالد وهو مرقد

اما وابى احداثه ان حادثا * حدى بى عنك العيس للحادث الوغد

وقوله

جذبت نداه غدوة السبت جذبة * فخر صريعا بين ايدى القصائد

وقوله

لولم تفت مسن المجد مذ زمن * بالجود والباس كان الجود قد خرفا

وقوله

لدى ملك من ايكة الجود لم يزل * على كبد المعروف من فعله برد

وقوله

فى علة اوقدت على كبد السنا * ثل نارا اخنت على كبدة

وقوله

حتى اذا اسود الزمان توضحوا * فيه فغودر وهو فيهم ابلق

وقوله

ايسار شزر القوى راى جسد المعروف اولى بالطب من جسده

وقوله

وما ذكر الدهر العبوس بانه * له ابن كيوم السبت الا تبسما

وقوله

وكم احرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القد

وقوله يصف الارض

اذا الغيث غادى نسجها خلت انه * مضت حقبة حرس له وهو حايك

وقوله

ولا اجتذبت فرش من الارض تحتكم * هى المثل فى لين بها والا رايك

وقوله

اذا للبستم عار دهر كانما * لياليه من بين الليالى عوارك

وقوله يرثى غالبا

انزلته الايام عن ظهرها من * بعد اثبات رجله فى الركاب

وقوله

كاننى حين جردت الرجاء له * غضا صببت لها ماء على الزمن

وقوله يصف فرسا

فكان فارسه يصرف اذ بدا * فى متنه ابنا للصباح الابلق

واشباه هذا ما اذا تتبعته فى شعره فجعل كما ترى مع غثاثة هذه الالفاظ للدهر اخدعا ويدا تقطع من الزند وكانه يصرع ويحلب ويشرق بالكرام ويتبسم وان الايام تنزله والزمان ابلق وجعل للممدح يدا ولقصائده مزامر الا انها لاتنفخ ولا تزمر وجعل المعروف مسلما تارة ومرتدا اخرى والحادث وغدا وجذب ندى الممدوح بزعمه جذبة حتى خر صريعا بين يدى قصائده وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف وان له جسدا وكبدا وجعل لصروف النوى قدا وللامن فرشا وظن ان الغيث كان دهرا حايكا وجعل للايام ظهرا يركب والليالى كانها عوارك والزمان كانه صب عليه ماء والفرس كانه ابن الزمان الابلق وهذه استعارات فى غاية القباحة والهجانه والبعد من الصواب وانما استعارت العرب المعنى لما ليس له اذ كان يقاربه

أو يدانيه اويشبهه فى بعض احواله اوكان سببا من اسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشى الذى استعيرت له وملايمة لمعناه نحو قول امرء القيس

فقلت لهـا لما تمطى بجوزه * واردف اعجـازا وناء بكلكل

وقد عاب امرء القيس بهـذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعـانى ولا المجـازات وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة وهو انما قصد وصف اجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف اعجـازه واواخره شيا فشيا وهذا عندى منتظم لجميـع نعوت الليل الطويل على هيئته وذلك اشـد ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرمه فلمـا جعل له وسطا يمتد واعجـازا رادفة للوسط وصدرا متثاقلا فى نهوضه حسن ان يستعير للوسط اسم الصلب وجعله متمطيا من اجل امتـداده لان تمطى وتمدد بمنزلة واحدة وصلح ان يسـتعير للصدر اسم الكلكل من اجل نهوضه وهذه اقرب الاستعارات من الحقيقة واشد ملايمة لمعناهـا لما استعيرت له وكذلك قول زهير* وعرى افراس الصبا ورواحله * لما كان من شان ذى الصبا ان يوصف ابدا بان يقـال ركب هواه وجرى فى ميدانه وجمح فى عنانه ونحو هذا حسن ان يستعار للصبا اسم الافراس وان يجعل النزوع عنـه ان تعرى افراسه ورواحله وكانت هذه الاسـتعارة ايضا من اليق شئ بمـا استعيرت له ونحو ذلك قول طفيل الغنوى

وجعلت كورى فوق ناجيـة * يقتات شحم سـنامهـا الرحل

لمـا كان شحم السـنام من الاشـيـاء التى تقتات وكان الرحل ابدا يتحوفه وينتقص منه ويذيبه كان جعله اياه قوتا للرحل من احسن الاستعارات واليقها بالمعنى وكذلك قول عمرو بن كلثوم

الا ابلغ النعمان عنى رسالة * فمجدك حـولى ولؤمك قارح

لمـا جعل مجده حديثـا غير قديم حسن ان يقول حولى لان العرب اذا نسبت الشئ الى الصغر وقصر المدة قالوا حولى لان اقل عدد الاحوال وهى السنون حول واحد ولهذا قال حسـان

لويدب الحولى من ولد الذر عليهـا لاندبتهـا الكلوم

لم يرد بالحولى من ولد الذر ما اتى عليـه الحول ولكنه اراد بالحولى اصغر مايكون من الذر وانمـا اخذ ذلك من قول امرى القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول * من الذر فوق الاتب منها لاثرا

ومما يدل على صحة هذا المعنى وان الحولى انما يراد به الصغر دون معنى الحول قول الراجز واستبقت تخذب حولى الحصى فاراد بحولى الحصى اصغره وقول الاخر انشده ثعلب

تلقط حولى الحصى فى منازل * من الحى اضحت بالحيين بلقعا

ولما جعل لؤمه قديما حسن ان يقول قارح ونحو ذلك قول ابى ذؤيب

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

لما كانت المنية اذا انزلت بالانسان وخالطته صح ان يقال نشبت فيه وصح ان يستعار لها اسم الاظفار لان النشوب قد يكون بالظفر وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى اجمه نحو قوله عز وجل واشتعل الراس شيبا لما كان الشيب ياخذ فى الراس ويسعى فيه شيئا فشيئا حتى يحيله الى غير حالة الاولى كالنار التى تشتعل فى الجسم من الاجسام فتحيله الى النقصان والاحتراق وكذلك قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار لما كان انسلاخ الشئ من الشئ وهو ان يتبرأ منه ويتزيل منه حالا فحالا كالجلد من اللحم وماشاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيا فشيا حتى يتكامل الظلام انسلاخا وكذلك قوله عز وجل فصب عليهم ربك سوط عذاب لما كان الضرب بالسوط من العذاب استعير للعذاب سوط فهذا مجرى الاستعارات فى كلام العرب واما قول ابى تمام ولين اخادع الزمن الابى فاى حاجة الى الاخادع حتى يستعيرها للزمن وكان يمكنه ان يقول ولين معاطف الدهر الابى اولين جوانب الدهر اوخلايق الدهر كما تقول فلان سهل الخلايق لين الجوانب وموطأ الاكناف ولان الدهر قد يكون سهلا وحزنا ولينا وصعبا على قدر تصرف الاحوال فيه لان هذه الفاظ كانت اولى بالاستعمال فى هذا الموضع وكانت تنوب عن المعنى الذى قصده ويتخلص من قبح الاخادع فان فى الكلام متسعا الا ترى الى قوله ما احسنه وما اوضحه

ليالى نحن فى وسنات عيش * كان الدهر عنا فى وثاق

وايام لنا وله لدان * غنينا فى حواشيها الرقاق

فاستعار للايام الحواشى وقوله

ايامنا مصقولة اطرافها * بك والليالى كلها اسحار

وابلغ من هذا وابعد من التكلف واشبه بكلام العرب قوله

سكن الزمان فلا يد مذمومة * للحادثات ولا سوام تذعر

فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح والجيد بالردى وانما قرب الاخادع لما جاء به مستعارا للدهر ولوجاء به فى غير هذا الموضع اواتى به حقيقة ووضعه فى موضعه ماقبح نحو قول البحترى * واعتقت من ذل المطامع اخدعى * ونحو قوله * ولا مالت باخدعك الضباع * وما يزيد على كل جيدقول الفرزدق

وكنا اذا الجبار صعرخده * ضربناه حتى تستقيم الاخادع

فاماقوله * فضربت الشتاء فى اخدعيه * فان ذكر الاخدعين على قبحهما اسوغ لانه قال ضربة غادرته عودا ركوبا وذلك ان العود المسن من الابل يضرب على صفحتي عنقه فيذل فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلا ومن القبيح فى هذا قوله

يادهر قوم من اخدعيك فقد * اضججت هذا الانام من خرقك

اى ضرورة دعته الى الاخدعين وكان يمكنه ان يقول من اعوجاجك اوقوم من تعوج صنعك اى يا دهر احسن بنا الصنيع لان الاخرق هوالذى لا يحسن العمل وضده الصنع وكذلك قوله

تحملت ما لوحمل الدهر شطره * لفكر دهرا اى عبأيه اثقل

فجعل للدهر عقلا وجعله مفكرا فى اى العبأين اثقل وما معنى ابعد من الصواب من هذه الاستعارة وكان الاشبه والاليق بهذا المعنى لما قال تحملت ما لوحمل الدهر شطره ان يقول لتضعضع او لانهد او لامن الناس صروفه ونوازله ونحو هذا مما يعتمده اهل المعانى فى البلاغة والافراط وانما راى ابو تمام اشيآء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة فى اشعار القدمآء كما عرفتك لا تنتهى فى البعد الى هذه المنزلة فاحتذاها واحب الابداع والاغراق فى ايراد امثالها واحتطب واستكثر منها فمن ذلك قول ذى الرمة

تيممن يافوخ الدجى فصدعنه * وجوز الفلا صدع السيوف القواطع

فجعل للدجى يافوخا وقول تابط شرا

نحز بقابهم حتى نزعنا * وانف الموت منخره رثيم

فجعل للموت انفا وقول ذى الرمة

يعز ضعاف القوم عزة نفسه * ويقطع انف الكبرياء عن الكبر

فجعل للكبرياء انفا وقال معقل بن خو يلد الهذلى اوغيره

تخاصم قوما لا تلقى جوابهم * وقد اخذت من انف لحيتك اليد

فجعل للحية انفا اى قبضت يدك على طرف لحيتك كما يفعل النادم او المهموم وما اظن ذا الرمة اراد بالانف الا اول الشئ والمتقدم منه كما قال يصف الحمار

اذا شم انف الضيف الحق بطنه * مراس الاواسى وامتحان الكرائم

قال ابو العباس عبدالله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء وهذا البيت غر الطائى حتى اتى بما اتى به وانما اراد ذو الرمة بقوله انف الضيف كقولهم انف النهار اى اوله قال امرؤ القيس

قد غدا يحملنى فى انفه * لاحق الاصلين محبوك ممر

وقوله فى انفه اى فى اول جريه واشده ويقال فى انفه فى انف الغيث الذى ذكره فى اوله يقول لم يطا هذا الغيث احد قبلى ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب ابو العباس وكذلك قول اعرابى يصف البرق

اذا شم انف الليل اومض وسطه * سنا كابتسام العامرية شاغف

انما اراد اذا اشتم اول الليل وقال آخر انشدناه الاخفش عن ثعلب يذم رجلا

ما زال مذموما على است الدهر * ذاحسد ينمى وعقل يجرى

فجعل للدهر استا وقول شاتم الدهر وهو احد شعراء عبد القيس

ولما رايت الدهر وعرا سبيله * وابدى لنا ظهرا اجب مسلعا

ومعرفة حصاء غير مفاضة * عليه ولونا ذا عثانين اجمعا

وجبهة قرد كالشراك ضئيلة * وصعر خديه وانفا مجدعا

فجعل للدهر ظهرا اجب ومعرفة حصاء ولونا ذا عثانين وشبه جبهته بجبهة قرد وجعل انفه انفا مجدعا وهذا الاعرابى انما ملح بهذه الاستعارات فى هجائه للدهر وجاء بها هازيا ومثل هذا فى كلامهم قليل جدا ليس مما يعتمد ويجعل اصلا يحتذى عليه ويستكثر منه ومن ردى استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله

لم تسق بعد الهوى ماء اقل قذى * من ماء قافية يسقيكه فهم

فجعل للقافية ماء على الاستعارة فلو اراد الرونق لصلح ولكنه قال يسقيكه فبئس معنى الرونق لانك اذا قلت هذا ثوب له ماء لم تجعل الماء مشروبا فتقول ما شربت

ماء اعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ورايته على فلان الملك وكذلك لا تقول ما شربت ماء اعذب من ماء قفا نبك او اعذب من ماء كذا لان الاستعارة حدا تصلح فيه فاذا جاوزته فسدت وقبحت فاما قولهم فلان حلو الكلام وعذب المنطق اوكأن الفاظه فتات السكر فهذا كلام الناس على هذه السياقة وليس يريدون حلاوة على اللسان ولا عذوبة فى الفم وانما يريدون عذبا فى النفوس وحلوا فى القلوب كما قال

يستنبط الروح اللطيف نسيمها * ارجا وتوكل بالضمير وتشرب

وكذلك قولهم حلو المنظر انما يريدون حلاوة فى العين ولا تقول ما ذقت احلى من كلام فلان ولا شربت اعذب من الفاظ عمرو لان هذا القول صيغة الحقيقة لا الاستعارة ولكن يقال هذا كلام يصلح ان يتنقل به وزيد يشرب مع الماء لحسن اخلاقه وحلاوته وعمرو يوكل ويشرب لرقة طبعه ولا تقول ما شربت اعذب من عمرو ولا ما اكلت احلى من عبد الله فاعلم هذا فان حدود الاستعارة معلومة فاما قوله

لمكاسر الحسن ابن وهب اطيب * وامر فى حنك الحسود واعذب

فالمكاسر الاخلاق وانما اراد امر فى حنك العدو اذا نطق بها او امر فى حنكه ان يذكرها او يخبر بها واعذب فى حنك وليه ووديده اذا سترها وكما قال زهير

تلجلج مضغة فيها انيض * اصلت فهى تحت الكشح داء

لانه اراد كلمة فصلح ان يقول انيض اى لم نيضج واصلت تغيرت وانتنت وكذلك لما جعلها مضغة اى لقمة فى فيه فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح ويفسد فتفهمه فانه واضح واما قوله

لا تسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكاىء

فقد عيب وليس بعيب عندى لانه لما اراد ان يقول قد استعذبت ماء بكاى جعل للملام ماء ليقابل ما اراد وان لم يكن للملام ماء على الحقيقة كما قال الله عز وجل وجزآء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان الثانية ليست بسيئة وانما هى جزا عن السيئة وكذلك ان تسخروا منا فانا نسخر منكم والفعل الثانى ليس بسخريه ومثل هذا فى الشعر والكلام كثير مستعمل فلما كان مجرى العادة ان يقول قائل اغلظت لفلان القول وجرعته منه كاسا مرة وسقيته منه امر من العلقم وكان الملام مما يستعمل فيه

النجرع على الاستعارة جعل له ماً على الاستعارة ومثل هذا كثير موجود وقد احتج محتج لابى تمام فى هذا بقول ذى الرمة

ادارا بحزوى هجت للعين عبرة * فماء الهوى يرفض او يترقرق

وقول الاخر وكاس سباها التجر من ارض بابل * كرقة ماء العين فى الاعين النجل

وهذا لايشبه ماء الملام لان ماء الملام استعارة وماء الهوى ليس باستعارة لان الهوى يبكى فتلك الدموع هى ماء الهوى على الحقيقة وكذلك البين يبكى فتلك الدموع هى ماء البين على الحقيقة فان قيل فان ابا تمام ابكاه الملام والملام قد يبكى على الحقيقة فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة قيل لو اراد ابو تمام ذلك لما قال قد استعذبت ماء بكاى لانه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكاء ايضا ولم يكن يستعق منه ومن ردى استعاراته وقبيحها قوله

مقصرا خطوات البث فى بدنى * علما بانى ما قصرت فى الطلب

فجعل للبث وهو اشد الحزن خطوات فى بدنه وانه قد قصرها لانه ماقصر فى الطلب وهذا من وساوسه المحكمة وانما اراد به قد سهل امر الحزن عليه انه ماقصر فى الطلب لانه لو قصر كان ياسف ويشتد جزعه فجعل للحزن خطى فى بدنه قصيرة لما جعله سهلا خفيفا وهذا ضد المعنى الذى اراد لان الخطى اذا طالت يجوز ان يقع قلبه وكبده بين تلك الخطى الطويلة فلايمسها من البث وهو الحزن قليل ولا كثير فان قيل انما اراد ان الحزن هو فى قلبه خاصة وان قوله فى بدنى اى فى قلبى لان قلبه فى بدنه قيل الامر واحد فى ان الخطى اذا طالت على الشئ قلبه كان او ما سواه اخذت منه اقل مما تاخذ اذا قصرت فان قيل اراد بطول الخطى الكثرة وبقصرها القلة قيل هذا غلط من التاويل وليس العمل على ارادته وانما العمل على توجيه معانى الفاظه وبعد فان من اعجب العجب خطوات البث فى البدن ومن ردى استعاراته وقبيحها قوله

جارى اليه البين وصل خريدة * ماشت اليه المطل مشى الاكبد

الهاء فى اليه راجعة الى المحب يريد ان البين ووصل الخريدة تجاريا اليه فكانه اراد ان يقول ان البين حال بينه وبين وصلها واقتطعها عن ان تصله واشباه هذا من اللفظ المستعمل الجارى فعدل الى ان جعل البين والوصل جاريا اليه وان الوصل فى تقديره جرى اليه يريده فجرى البين ليمنعه فجعلهما متجارين ثم اتى بالمصراع

الثانى بنحو من هذا التخليط فقال ماشت اليه المطل مشى الاكبد فالهاآ هنا راجعة الى الوصل اى لما عزمت على ان تصله عزمت عزم متثاقل مماطل فجعل عزمها مشيا وجعل المطل مما شيا لها فيا معشر الشعرآء والبلغآء ويا اهل اللغة العربية خبرونا كيف يجارى البين وصلها وكيف تماشى هى مطلها الا تسمعون الا تضحكون وانشد ابوالعباس بن المعتز فى كتاب سرقات الشعرآء لسلم الخاسر يعيبه بردى الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى

لولا المقا برماحط الزمان به * لابل تولى بانف كلمه دامى

وقال هذا ردى كانه من شعر ابى تمام الطآئى ولولم يكن لابى تمام من ردى الاستعارة الا مثل استعارة سلم هذه اونحوها ونعوذ بالله من حرمان التوفيق

( ماجآ فى شعر ابى تمام من قبيح التجنيس )

وراى ابو تمام ايضا المجانس من الالفاظ شرفا فى اشعار الاوايل وهو ما اشتق بعضه من بعض نحو قول امرى القيس

لقد طمع الطماح من بعد ارضه * ليلبسنى من دآئه ما تلبسا

وقوله ايضا

ولكننى اسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

وقول القطامى

ولما ردها فى الشول شالت * بذيال يكون لها لفاعا

وقول ذى الرمة

كأن البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهى به السيل ابطح

وقول رجل من عبس

وذلكم ان ذل الجار حالفكم * وان انفكم لايعرف الانفا

وقول مسكين الدارمى

واقطع الخرق بالخرقاء لاهية * اذا الكواكب كانت فى الدجى سرجا

وقول حيان بن ربيعة الطآئى

لقد علم القبائل ان قومى * لهم حد اذا لبس الحديد

وقول النعمان بن بشير لمعاوية

الم تبتدركم يوم بدر سيوفنا * وليلك عما ناب قومك نايم

وقول جرير

فما زال معقولا عقال عن الندى　　ومازال محبوسا عن الخير حابس

وقول الفرزدق

خفاف اخف الله عنه سحابة　*　واوسعه من كل ساف وحاصب

وكأن هذين الشاعرين فى تجنيس ماجنسا من هذه الالفاظ وحاجهما اليه يشبه قول النبى صلى الله عليه وسلم عصية عصت الله وغفار غفر الله لها واسلم سالمها الله ونحو هذا مما تعمد الشعراء لتجنيسه قول جندل بن الراعى

فما عمرت عمرو وقد جد سعيها　*　وما سعدت يوم التقينا بنو سعد

ومن الطف ماجاء من التجنيس واحسنه فى كلام العرب قول القطامى

كنية الحى من ذى الغبطة احتملوا　*　مستحقبين فوءادا ماله فادى

ومثل هذا فى اشعار الاوايل موجود لكن انما يأتى منه فى القصيدة البيت الواحد والبيتان على حسب ما يتفق للشاعر ويحضره فى خاطره وفى الاكثر لايعتده وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه فلايرى فيه لفظة واحدة فاعتمده الطائى وجعله غرضه وبنى اكثر شعره عليه فلوكان قال منه واقتصر على مثل قوله * ياربع لو ربعوا على ابن هموم * وقوله * ارامة كنت مألف كل ريم * وقوله * يابعد غاية دمع العين ان بعدوا * واشباه هذا من الالفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى لكان قد اتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب فاما ان يقول

قرت بقران عين الدين وانشترت　*　بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

فانشتار عيون الشرك فى غاية الغثاثة والقباحة وايضا فان انشتار العين ليس بموجب للاصطلام وقوله

ان من عق والديه لملعو　*　ن ومن عق منزلا بالعقيق

وقوله ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت　*　فيه الظنون امذهب ام مذهب

وقوله خشنت عليه اخت بنى خشين * فهذا كله تجنيس فى غاية الشناعة والركاكة والهجانة ولايزيد زيادة على قبح قوله

فاسلم سلمت من الافات ما سلمت　*　سلام سلمى ومهما اورق السلم

فان هذا من كلام المبرسمين وقد عابه ابو العباس عبد الله بن المعتز ببعض هذه الابيات فى كتاب البديع جاء بها فى قبح التجنيس وفى اشعار العرب مايستكره

نحو قول امرى القيس * وسنا كسنيق سناء وسنما * ولم يعرف الاصمعى هذا وقال ابو عمرو وهو بيت مسجدى اى من عمل اهل المسجد وقال الاصمعى السن الثور ولم يعرف سنيقا ولاسنما ويقال سنيق جبل ويقال اكمة وسنم ههنا البقرة الوحشية سناء اى ارتفاعا ويروى سنا ما اى ارتفاعا ايضا من سمت الجبل علوته وقول الاعشى * شاو شلول مشل شلشل شول * وهذا عند اهل العلم من جنون الشعر وقرا هذه القصيدة على ابى الحسن على بن سليمان النحوى قارىء فلما بلغ الى هذا البيت قال ابو الحسن صرع والله الرجل ومازلت اراهم يستكرهون قول ذى الرمة * عصاقس قوس لينها واعتدالها * ويروى عسطوس وقد قيل انه الخيزران وهذا انما جاء عن هولاء مقللا نادرا لانك لو اجتهدت ان ترى لواحد منهم حرفا واحدا ماوجدته والطائى استفرغ وسعه فى هذا الباب وجد فى طلبه واستكثر منه وجعله غرضه فكانت اساءته فيه اكثر من احسانه وصوابه اقل من خطائه

( مايستكره للطائى من المطابق ) وراى الطائى الطباق فى اشعار العرب وهو اكثر واوجد فى كلامها من التجنيس وهو مقابلة الحرف بضده او ما يقارب الضد وانما قيل مطابق لمساواة احد القسمين صاحبه وان تضادا او اختلفا فى المعنى الا ترى الى قولهم فى احد المعنيين اذا لم يشاكل صاحبه ليس هذا طبق هذا وقولهم فى المثل وافق شن طبقه والطبق للشى انما قيل له طبق لمساواته اياه فى المقدار اذا جعل عليه اوغطى به وان اختلف الجنسان قال الله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق اى حالا بعد حال ولم يرد تساويهما فى تمثيل المعنى وانما اراد جل وعز وهو اعلم تساويهما فيكم وتغيرهما اياكم بمرورهما عليكم ومنه قول العباس بن عبد المطلب * اذا انقضى عالم بدا طبق * اى جاءت حال اخرى تتلو الحال الاولى ومنه طباق الخيل يقال طابق الفرس اذا وقعت قوائم رجليه فى موضع قوائم يديه فى المشى اوالعدو وكذلك مشى الكلاب قال الجعدى * طباق الكلاب يطأن المراسا * فهذا حقيقة الطباق انما هو مقابلة الشى لمثله الذى هو على قدره فسموا المتضادين اذا تقابلا مطابقين ومنه قوله زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ماالليث كذب عن اقرانه صدقا

فطابق بين قوله كذب وبين قوله صدقا وقول طفيل الغنوى يصف فرسا * يصان وهو ليوم الروع مبذول * فطابق بين قوله يصان وبين قوله مبذول وقول

طرفة بن العبد بطئ عن الحلى سريع الى الخنا * فطابق بين بطئ وسريع فلو اقتصر الطاآى على ما اتفق له فى هذا الفن من حلو الالفاظ وصحيح المعنى نحو قوله * نثرت فريد مدامع لم تنظم * ونحو قوله * جفوف البلى اسرعت فى الغصن الرطب * ونحو قوله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

واشباه هذا من جيد ابياته وتجنب مثل قوله

قد لان اكثر ما تريد وبعضه * خشن وانى بالنجاح لواثق

وقوله لعمرى لقد حررت يوم لقيته * لو ان القضاء وحده لم يبرد

وقوله وان خفرت اموال قوم اكفهم * من النيل والجدوى فكفاه مقطع

ونحو هذا مما يكثر ان ذكرته ذهب عظيم شعره وسقط اكثر ما عيب عليه منه وهذا باب اعنى المطابق لقب ابو الفرج قدامة بن جعفر فى كتابه المولف فى نقد الشعر المتكافى وسمى ضربا من المجانس المطابق وهو ان تاتى الكلمة مثل الكلمة سوآ فى تاليفها واتفاق حروفها ويكون معناها مخالفا نحو قول الافوه الاودى

واقطع الهوجل مستانسا * بهوجل عيرانة عنتريس

والهوجل الاول الارض البعيدة والهوجل الثانى الناقة العظيمة الخلق الموثقة وقول ابى داود الايادى * عهدت لها منزلا دارسا * وآلا على الماء يحملن آلا * فالال الاول اعمدة الخيام والال الثانى ما يرفع الشخوص وقال زياد الاعجم

نبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيه كاهل وسنام

وما علمت ان احدا فعل هذا غير ابى الفرج فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الالفاظ غير محظورة فانى لم اكن احب له ان يخالف من تقدمه مثل ابى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الانواع والف فيها اذ قد سبقوه الى اللقب وكفوه المؤونة وقد رايت قوما من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة اذا تكررت وترددت نحو قول جرير * تزود مثل زاد ابيك فينا * فنعم الزاد زاد ابيك زادا * وبابه قليل (وهذا باب فى سوء نظمه) وتعقيد الفاظ نسجه ووحشى الفاظه واكثر ما تراه من ذلك فى شعره وتجده اظنه سمع ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زهير بن ابى سلمى لما قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح رجلا الا بما فى الرجال فلم يرتض هذا لشعره واحب ان يستكثر مما ذمه وعابه

وقد فسر اهل العلم هذا من قول عمر وذكروا معنى المعاظلة وهى مداخلة الكلام بعضه فى بعض وركوب بعضه لبعض كقولك تعاظل الجراد وتعاظلت الكلاب ونحوها مما يتعلق بعضه ببعض عند السفاد واكثر مايستعمل فى هذين النوعين وكذلك فسروا حوشى الكلام وهو الذى لايتكرر فى كلام العرب كثيرا فاذا ورد ورد مستهجنا وقالوا فى معنى قوله وكان لا يمدح الرجل الا بما يكون فى الرجال اراد انه لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك ولا يمدح التجار واصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والابطال وحملة السلاح فان الشاعر اذا فعل ذلك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه فذكروا هذه الجمل ثم مثلوا لها امثلة تزيد ما قاله عمر رضى الله عنه وضوحا وبيانا الا ابو الفرج قدامة بن جعفر فانه ذكر ذلك فى كتابه المولف فى نقد الشعر ومثل له امثلة فغلط فى امثلة المعاظلة غلطا قبيحا وقد ذكرت ذلك فى كتاب بينت فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه وانا اذكر ههنا ما اليه قصدت من سائر ما فى شعر ابى تمام من هذه الانواع فانها كثيرة واورد من كل نوع قليلا فيستدل به على الكثير فاقول ان من المعاظلة التى قد لخصت معناها فى الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر الفاظ البيت بعضها ببعض وان يداخل لفظة من اجل لفظة تشبهها اوتجانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال وذلك كقول ابى تمام

خان الصفاء اخ خان الزمان اخا * عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر الى اكثر الفاظ هذا البيت وهى سبع كلمات اخرها قوله عنه ما اشد تشبث بعضها ببعض وما اقبح ما اعتمده من ادخال الفاظ فى البيت من اجل ما يشبهها وهو خان وخان ويتخون وقوله اخ واخا فاذا تاملت المعنى مع ما افسده من اللفظ لم تجد له حلاوة ولافيه كبير فايدة لانه يريد خان الصفاء اخ خان الزمان اخا من اجله اذ لم يتخون جسمه الكمد وكذلك قوله

يا يوم شرد يوم لهوى لهوه * بصبابتى واذل عز تجلدى

فهذه الالفاظ فى قوله بصبابتى كانها سلسلة فى شدة تعلق بضها ببعض وقد كان ايضا استغنى عن ذكر اليوم فى قوله يوم لهوى لان التشريد انما هو واقع بلهوه فلوقال يايوم شرد لهوى لكان اصح فى المعنى من قوله يايوم شرد يوم لهوى واقرب فى اللفظ فجاء باليوم الثانى من اجل اليوم الاول وباللهو الثانى من اجل اللهو الذى

قبله ولهو اليوم ايضا بصبابته هو ايضا من وساوسه وخطائه ولا لفظ اولى بالمعاظلة من هذه الالفاظ ونحو قوله ايضا

يوم افاض جوى اغاض تعزيا * خاض الهوى بحرى حجاه المزبد

فجعل اليوم افاض جوى والجوى اغاض تعزيا والتعزى موصولا به خاض الهوى الى اخر البيت وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه مع ان افاض واغاض وخاض الفاظ اوقعها فى غير موضعها وافعال غير لائقة بفاعلها وان كانت مستعارة لان المستعمل فى هذا ان يقال قد علم ما بفلان من جوى وظهر ما يكتمه من هوى وبان عنه العزآ وذهب عنه العزآ والتعزى فاما ان يقال فاض الجوى او افيض اوغاض او اغيض فانه وان احتمل ذلك على سبيل الاستعارة قبيح جدا وكذلك خوض الهوى بحر التعزى معنى فى غاية البعد والهجانه ثم اضطر الى ان قال بحرى حجاه المزبد فوحد المزبد وخفضه وكان وجهه ان يقول المزبدين صفة للبحرين فجعله صفة للحجى ويقال انه اراد بحرى حجاه المزبد قلبه ودماغه لانهما موطنان للعقل وذلك محتمل الا انه جعل المزبد وصفا للحجى ولا يوصف العقل بالازباد وانما يوصف به البحر وهذا وان كان يتجاوز فى مثله فانه الى الوجه الاردى عدل به وجنب الطريق عن الوجه الاوضح فاذا تاملت شعره وجدت اكثره مبنيا على مثل هذا واشباهه وقد ذكرت من هذه الامثلة من شعره مادل على سواها فان قال قايل ان هذا الذى انكرته وذممته فى الابيات المتقدمة وفى هذا البيت من تشبث الكلام بعضه ببعض وتعلق كل لفظة بما يليها وادخال كلمة من اجل اخرى تشبهها وتجانسها هو المحمود من الكلام وليس من المعاظلة فى شئ الا ترى ان البلغاء والفصحاء لما وصفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا هذا كلام يدل بعضه على بعض وآخذ بعضه برقاب بعض قيل هذا صحيح من قولهم ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم ولاقصدوا هذا النوع من التاليف وانما ارادوا المعانى اذا وقعت الفاظها فى مواقعها وجاءت الكلمة مع اختها المشاكلة لها التى تقتضى ان تجاورها لمعناها اما على الاتفاق او التضاد حسبما توجبه قسمة الكلام واكثر الشعر الجيد هذه سبيله ونحو ذلك قول زهير ابن ابى سلمى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

لما قال ومن يعش ثمانين حولا وقدم فى اول البيت سئمت اقتضى ان يكون فى آخره يسأم وكذلك قوله ايضا

الستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

الستر الاول اقتضى الستر الثانى وكذلك قوله

ومن لايقدم رجله مطمئنة * فيثبتها فى مستوى الارض تزلق

لما قال ومن لايقدم رجله مطمئنة اقتضى ان ياتى فى آخر البيت يزلق وكذلك قول امرئ القيس

الا ان بعد العدم للمرء قنوة * وبعد المشيب طول عمر وملبسا

اقتضى العدم فى البيت ان ياتى بعده قنوة وكذلك اقتضى قوله وبعدالمشيب طول عمر وملبسا وكذلك قوله

فان تكتموا الداء لانخفه * وان تقصدوا لدم نقصد

كل لفظة تقتضى مابعدها فهذا هوالكلام الذى يدل بعضه على بعض ويأخذ بعضه برقاب بعض اذا انشدت صدر البيت علمت ما يأتى فى عجزه فالشعر الجيد او اكثره على هذا مبنى وليست بنا حاجة الى الزيادة فى التمثيل على هذه الابيات واما قول عمر رضى الله عنه فى زهيرانه كان لايتتبع حوشى الكلام فان ابا تمام كان لعمرى يتتبعه ويتطلبه ويتعمد ادخاله فى شعره فن ذلك قوله

اهلس اليس لجا الى همم * تعرف الغيس فى اذيها الليسا

ويروى اهيس اليس والاهيس الجاد وهذه الرواية اجود وهى مثل * احدى ليالك فهيسى هيسى * والهلاس السلال من الهزال فكان قوله اهلس يريد خفيف اللحم والاليس الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة وهو الذى لايكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر او يهلك فهاتان لفظتان مستكرهتان اذا اجتمعتا لم يقنع باهلس اليس ثم قال فى آخر البيت الليسا يريد جمع اليس وقوله

وان بجرية نابت جارت لها * الى ذرى جلدى فاستوهل الجلد

فقال بجرية وجارت لها وهذه الالفاظ وان كانت معروفة مستعملة فانهااذا اجتمعت استقبحت وثقلت وكذلك قوله * هن البجارى يابجير * والبجارى جمع بجريه وهى الداهية وقوله

بنداك يوسى كل جرح يعتلى * راب الاساة بدردبيس قنطر

الدرديس والقنطر من اسماء الدواهي وقوله قدك اتئب اربيت فى الغلوآء ومثل هذه الالفاظ هجنة فى ابتدآء القصيدة وقوله

لقد طلعت فى وجه مصر بوجهه * بلا طائر سعد ولا طائر كهل

وانما سمع قول بعض الهذليين

فلو كان سلمى جاره واجاره * رياح بن سعد رده طائر كهل

ووجدت فى تفسير اشعار هذيل ان الاصمعى لم يعرف قوله طائر كهل وقال بعضهم كهل ضخم وما اظن احدا قال طائر كهل غير هذا الهذلى فاستغرب ابو تمام معنى الكلمة فاتى بها واحب ان لا تفوته فمثل هذه الالفاظ لا يستعملها شاعر الا ان ياتى فى جملة شعره منها اللفظة واللفظتان وهى فى شعر ابى تمام كثيرة فاشية وقد انكر الرواة على زهير مع ما قاله عمر رضى الله عنه انه كان لا يتتبع حوشى الكلام قوله

تقى تقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد

واستشنعوا بحقلد وهى السيئ الخلق ولا يعرف فى شعره لفظة هى انكر منها وليس مجيئه بهذه اللفظة الواحدة قادحا فيما وصفه به عمر رضى الله عنه واكثر ما ترى هذه الالفاظ الوحشية فى اراجيز الاعراب نحو قول بعضهم

فشما جافله حراب هبلع انشده ابو تمام وقول آخر * عربا حروا وجلالا حرحرا وانشد الاصمعى واجد طعم للسقآء سامط * وخاثر عجالط عكالط * اذا ذهب عن اللبن حلاوة الحليب ولم يتغير فهو سامط واذا خثر اللبن جدا حتى ثخن فهو عكالط وقال اخر انشده الاصمعى * ورب حماص * يا كلن من قراص * وحصيص واص * واص نبت متصل بعضه ببعض واذا كان هذا يستحسن من الاعرابى القح الذى لا يتعمل له ولا يطلبه وانما ياتى به على عادته وطبعه فهو من المحدث الذى ليس هو من لغته ولا من الفاظه ولا من كلامه الذى تجرى عادته به احرى ان يستهجن ولهذا انكر الناس على رؤبة استعماله الغريب الوحشى وذلك لتأخره وقرب عهده حتى زهد كثير من الرواة فى رواية شعره الا اصحاب اللغة وقد ذكر ابو العباس عبد الله بن المعتز فى كتابه المولف فى سرقات الشعرآء ومعايبهم عن العنزى قال حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمى الزراع قال حدثنى ابن ابى عائشة قال قال ابو العتاهيه لابن مناذر ان كنت اردت بشعرك

شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئا وان كنت اردت شعر اهل زمانك فما اخذت مأخذنا ارأيت قولك * ومن عاداك يلق المرمريسا اى شئ فى المرمريس اعجبك ووجدت ابا عبيدة ذكر فى كتاب الخيل فى باب ما يستدل به على جودة الفرس وهو يحضر وبيضة مرمريس وهى الضخمة واراد ابن مناذر الداهية وقد جا ابو تمام بالدرديس وهى اخت المرمريس فقال

بنداك يوسى كل جرح يعتلى * راب الاساة بدرديس قنطر

وهى الداهية ايضا وكذا القنطر *

## ﴿ باب ما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن ﴾

وذلك هو ما قاله دعبل بن على الخزاعى وغيره من المطبوعين ان شعر ابى تمام بالخطب وبالكلام المنثور اشبه منه بالكلام المنظوم فمن ذلك قوله

وانت بمصر غايتى وقرابتى * بها وبنو ابيك فيها بنو ابى

وهذا من ابيات النوع الثانى من الطويل ووزنه فعولن مفاعيلن وعروضه وضربه مفاعلن فحذف نون فعولن من الاجزاء الثلاثة الاول وحذف اليا من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى وذلك كله يسمى مقبوضا لانه حذف خامسه وكذلك قوله من هذا النوع

كساك من الانوار ابيض ناصع * واصفر فاقع واحمر ساطع

فحذف النون من اخر فعولن كلها وهى رابعة وحذف اليا من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى ايضا كما فعل فى البيت قبله ومن ذلك قوله من هذا النوع ايضا

يقول فيسمع ويمشى فيسرع * ويضرب فى ذات الاله فيوجع

فحذف النون من فعولن الاول واليا من مفاعيل التى تليها ومن فعول التى هى اول المصراع الثانى وذلك كله يسمى مقبوضا وهى من الزحاف الحسن الجائز الا انه اذا جا على التوالى والكثرة قبح جدا وقال

لم تنتقض عروة منه ولا قوة * لكن امر بنى الامال ينتقض

وهذا من النوع الاول من البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن وعروضه وضربه فعلن فزاد فى عروضه حرفا فصار فاعلن لانه قال قوة فشدد وذلك انما يحسب له فى اصل الدائرة لا فى هذا الموضع فان خففها حتى تصير على وزن فعلن فيتزن البيت كان مخطئا من ثم حين نقص فاعلن الاول من المصراع الالف فصار فعلن وهذا

يسمى مخبونا لانه حذف ثانيه وقال

الى المفدى ابى يزيد الذي * يضل غمر الملوك فى غمر

وهذا من النوع الاول من المنسرح ووزنه مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن فحذف السين من مستفعلن التى هى المصراع فبقى مفتعلن وهذا ينقل الى مفاعلن ويسمى مخبونا لانه حذف ثانيه وحذف الفا من مستفعلن الاخيرة فبقى مستفعلن فينقل الى مفتعلن ويقال له مطوى لانه ذهب رابعه وحذف الواو من مفعولات الاولى والثانية فصار فاعلات ويقال له ايضا مطوى فافسد البيت بكثرة الزحاف وتقطيعه

اللل مفد * دا ابى ى * زيد للذى * يضل غم * رلملوك * فى غمره *
مفاعلن * فاعلات * مستفعلن * مفعاعلن * فاعلات * مفتعلن *

ثم قال فى هذه القصيدة

جلة اعماره وهمدانه * والشم من ازدة ومن اددة

فحذف الفاء من مستفعلن الاولى فعادت الى مفتعلن وحذف الواو من مفعولات الاولى فصارت فاعلات وحذف الفاء من مستفعلن الاخيرة فصارت مفتعلن وتقطيعه

جلة ان * مارهى و * همدانهى * والشمن * ازدهى و * من ادده *
مفتعلن * فاعلات * مستفعلن * مستفعلن * فاعلات * مفتعلن *

وهذه الزحافات جائزة فى الشعر غير منكرة اذا قلت واذا جاءت فى بيت واحد فى اكثر اجزائه فان هذا فى نهاية القبح ويكون بالكلام المنثور اشبه منه بالشعر الموزون ومن هذا النوع من المنسرح قوله

ولم يغير وجهى عن الصنيعة ال * اولى بمسفوع اللون ملتمعه

وتقطيعه

ولم يغى * ير وجهيع * نص صن عتل * اولى بمس * فوعل لون * ملتمعه
مفاعلن * مفعولات * مستفعلن * مستفعلن * مفعولات * مفتعلن

فحذف السين من مستفعلن الاولى فصارت مفاعلن وحذف الفاء من مستفعلن

الاخيرة فصارت مفتعلن ومثل هذه الابيات فى شعره كثير اذا انت تتبعته ولا تكاد ترى فى اشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيا

تم السفر الثانى من الموازنة على ماجزاه مولفه رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين ﴾

قال ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدى لما كنت خرجت مساوى ابى تمام وابتدات بسرقاته وجب ان ابتدى من مساوى البحترى بسرقاته فانه اخذ من معانى من تقدم من الشعراء وممن تاخر اخذا كثيرا وحكى ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه ان ابن ابى طاهر اعلمه انه اخرج للبحترى ستمائة بيت مسروق منها ما اخذه من ابى تمام خاصة مائة بيت فكان ينبغى ان لا اذكر السرقات فيما اخرجه من مساوى هذين الشاعرين لاننى قدمت القول فى ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوى الشعراء وخاصة المتاخرين اذ كان هذا بابا ماتعرى منه متقدم ولامتاخر ولكن اصحاب ابى تمام ادعوا انه اول سابق وانه اصل فى الابتداع والاختراع فوجب اخراج ما استعاره من معانى الناس فوجب من اجل ذلك اخراج ما اخذه البحترى ايضا من معانى الشعراء ولم استقص باب البحترى ولا قصدت الاهتمام الى تتبعه لان اصحاب البحترى ما ادعوا ما ادعاه اصحاب ابى تمام بل استقصيت ما اخذه من ابى تمام خاصة اذ كان من اقبح المساوى ان يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فياخذ من معانيه ما اخذه البحترى من ابى تمام ولوكان عشرة ابيات فكيف والذى اخذه منه يزيد على مائة بيت فاما مساوى البحترى من غير السرقات فقد دققت واجتهدت ان اظفرله بشئ يكون بازاء ما اخرجته من مساوى ابى تمام فى سائر الانواع التى ذكرتها فلم اجد فى شعره لشدة تحرزه وجودة طبعه وتهذيبه الفاظه من ذلك الا ابياتا يسيرة انا اذكرها عند الفراغ من سرقاته فان مر بى شئ منها الحقته به ان شاء الله تعالى * ( سرقات البحترى قال )

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكاس قائمة بغير اناء

اخذه من قول على بن جبلة حيث يقول

كان يد النديم تدير منها * شعاعا لايحيط عليه كاس

وقال البحترى

كالرمح فيه بضع عشرة فقرة * منقادة تحت السنان الاصيد

اخذه من قول بشار

خلقوا قادة فكانوا سوآء * ككعوب القناة تحت السنان

اخذه ابو تمام فقال

جمعت عرى اعماله بعد فرقة * اليك كما ضم الانابيب عامل

وقال البحترى

اعطيتنى حتى حسبت جزيل ما * اعطيتنيه وديعة لم توهب

اخذه من قول الفرزدق

اعطانى المال حتى قلت يودعنى * اوقلت اعطيت مالا قد رآه لنا

وبيت البحترى اجود وقال البحترى

ارد دونك يقظانا ويأذن لى * عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

اخذه من قول قيس بن الخطيم

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه * فى النوم غير مصرد محسوب

وقال البحترى

ملوك يعدون الرماح مخاصرا * اذا زعزعوها والدروع غلائلا

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الفقعسى ولعله منه اخذه

ولاقيا كعب بن عمرو يقودهم * ابو دهشم نسج الحديد ثيابا

وقال البحترى

كوعول الهضاب رحن وما يملكن الاصم الرماح قرونا * وهذا من نوادر المعانى

وماعرف مثله الا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمى ولعله منه اخذه

ترى غابة الخطى فوق بيوتهم * كما اشرفت فوق الصوار قرونها

وقال البحترى

ينال الفتى مالم يومل وربما * اتاحت له الاقدار مالم يحاذر

اخذه من قول الاخر وانشده ثعلب

وحذرت من امر فمر بجانبى * لم يلقنى ولقيت مالم احذر

وقال البحترى

واذا الانفس اختلفن فما يغنى اتفاق الاسماء والالقاب

اخذه من قول الفرزدق

وقد تلتقى الاسما فى الناس والكنى * كثيرا ولكن فرقوا فى الخلائق

وقال البحترى

لم تخط باب الدهليز منصرفا * الا وخلخالها مع الشنف

اخذه من قول ابى نواس قد جمعوا آذانه وعقبه

وقال البحترى

ولست اعجب من عصيان قلبك لى * عمدا اذا كان قلبى فيك يعصينى

اخذه من قول حسين بن الضحاك الخليع

وتطمع ان يطيعك قلب سعدى * وتزعم ان قلبك قد عصاكا

وبيت البحترى اجود وقال محمد بن وهيب

هل الدهر الا غمرة ثم تنجلى * وشيكا والا ضيقة تتفرج

اخذه البحترى فقال

هل الدهر الا غمرة وانجلاؤها * وشيكا والا ضيقة وانفراجها

وقال فى وصف الذئب

فاتبعتها اخرى واضللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

وقال فى هذا المعنى

قوم ترى ارماحهم يوم الوغى * مشغوفة بمواطن الكتمان

اخذه من قول عمر بن معدى كرب الزبيدى

* والضاربين بكل ابيض مرهف * والطاعنين مجامع الاضغان *

الا ان قول عمرو والطاعنين مجامع الاضغان فى غاية الجودة والاصابة لانهم انما يطاعنون الاعداء من اجل اضغانهم فاذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب

وقال البحترى

الى فتى يتبع النعمى نظائرها * كالبحر يتبع امواجا بامواج

اخذه من قول ابى ذهبل الجمحى

وليلة ذات اجراس واروقة * كالبحر يتبع امواجا بامواج

وهذا انما اراد قول امرء القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلى

وقال البحترى

محركا راسه توهمه * من عطسة قائما على شرف

يشبه قول الآخر

كان ابا الشمى اذا تغنى * يحاكى عاطسا فى عين شمس

وقال البحترى

سقم دون اعين ذات سقم * وعذاب دون الثنايا العذاب

اخذه من قول بشار

ذات الثنايا العذاب * من دونهن عذاب

وقال البحترى

وكان فى جسمى الذى * فى ناظريك من السقم

اخذه من قول منصور بن الفرج

حل فى جسمى ما * كان بعينيك مقيما

وقال البحترى

تجد بدر الدجى يدنو بشمس * الى من الرحيق الخسروانى

اخذه من قول الخليع

قمر يحمل شمسا * من رحيق الخسروانى

وقال البحترى

كان سهيلا شخص ظمآن جانح * مع الافق فى نهى من الارض يكرع

اخذه من قول محمد بن يزيد الحصنى السلمى يصف النجوم

حتى اذا ما الحوت فى * حوض من الدلو كرع

وقال البحترى

قوم اذا شهدوا الكريهة صيروا * كمم الرماح جماجم الاقران

اخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول

يكسو السيوف رووس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

واخذه مسلم من قول جرير

كان رؤوس القوم فوق رماحنا * غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

وقال البحترى

ولم لا اغالى بالضياع وقد دنا * على مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لى توسيعها واغتلالها * وكان عليكم عشرها وخراجها

اظنه والله اعلم حذا على قول شبيب بن البرصاء

ترى ابل الجار الغريب كانما * بمكة بين الاخشبين مرادها
يكون عليه نقصها وضمانها * وللجار ان كانت تزيد ازديادها

وقال ابو صخر الهذلى

اغر اسيدى تراه كانه * اذا جد يعطى ماله وهو لاعب

اخذه البحترى فقال

وادع يلعب بالدهر اذا * جد فى اكرومة هزل

وقال عبد الصمد بن المعذل

ظبى كان بخصره * من رقة ظمأ وجوعا
انى علقت لشقوتى * يا قوم ممنوعا منيعا

اخذه البحترى فقال

من غادة منعت وتمنع نيلها * ولو انها بذلت لنا لم تبذل

فزاد على عبد الصمد بقوله بذلت لنا لم تبذل

وقال البحترى

سلبوا واشرقت الدما عليهم * محمرة فكانهم لم يسلبوا

وهذا مثل قول الحسف بن السجف الضبى ويجوز ان يكون اخذه منه

ففرقت بين انثى هميم بطعنة * لها عاند يكسو السليب ازارا

قوله لها عاند يريد الدم وقال عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثى

وانى ليدعونى لان استزيدها * فوادى واخشى سخطها واهابها

ونحوه قول البحترى ويجوز ان يكون اخذه منه

وعنبت من حبيك حتى اننى * اخشى ملامك ان ابثك ما بى

وقال ابو نواس

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

اخذه البحترى فقال

فكم لك فى الاموال من يوم وقعة * طويل من الاهوال فيه عويلها

وقال جابر بن السليك الهمدانى

ارمى بها الليل قدامى فيهشم بى * اذ الكواكب مثل الاعين الحول

اخذه البحترى فقال

وخدان القلاص حولا اذا قا * بلن حولا من انجم الاسحار

وقال عروة بن الورد

مطلا على اعدآئه يزجرونه * بساحاتهم زجر المنيح المشهر

فان بعدوا لا يامنون اقترابه * تشوف اهل الغائب المنتظر

الم به البحترى فقال

فترى الاعادى ما لهم شغل * الا توهم موقع يقعه

وقال البحترى

على نحت القوافى من مقاطعها * وما على اذا لم تفهم البقر

ذكر على بن يحى المنجم ان البيت للمجشم الراسبى وكان شاعرا اتصل بمحمد ابن منصور بن زياد فكسب معه الف درهم فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكى فاساء صحبته فهجاه فقال *

شتان بين محمد ومحمد * حى امات وميت احيانى

فصحبت حيا فى عطايا ميت * وبقيت مشتملا على الخسران

فهذا ما مر بى من سرقة البحترى من اشعار الناس على غير تتبع فخرجتها ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات ابى تمام ونزيد عليها وعلى انى قد بيضت فى اخر الكتاب فهما مر بى شئ الحقته به ان شآء الله تعالى *

---

﴿ وهذا ما اخذه البحترى من معانى ابى تمام خاصة ﴾

مما نقلته من صحيح ما خرجه الضيآ بشر بن تمام الكاتب لانه استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز الى ما ليس بمسروق فكفانا مؤونة الطلب

قال ابو تمام

فسوآ اجابتى غير داع * ودعائى بالقفر غير مجيب

فقال البحترى

وسالت ما لا يستجيب وكنت فى استخباره كمجيب من لا يسال

وقال أبو تمام

فكاد بان يرى للشرق شرقا * وكاد بان يرى للغرب غربا

فقال البحترى

فاكون طورا مشرقا للمشرق الاقصى وطورا مغربا للمغرب

وقال ابو تمام

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

فقال البحترى

ولن تستبين الدهر موضع نعمة * اذا انت لم تدلل عليها بحاسد

وقال ابو تمام

فان تكن وقعة قاسيت سورتها * فالورد حلف لليث الغابة الاجم

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبان بالرتم

فقال البحترى

فلست ترى شوك القتادة خائفا * سموم الرياح الآخذات من الرند

ولا الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وقال ابو تمام

رايت رجاءى فيك وحدك همة * ولكنه فى سائر الناس مطمع

فقال البحترى

ثنى املى فاحتازه عن معاشر * يبيتون والآمال فيهم مطامع

وقال ابو تمام

بمحمد ومسود ومحسد * ومكفر وممدح ومعذل

فقال البحترى

ذاك المحمد والمسود والمكرم والمحسد

وقال ابو تمام

وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه * وسهلت الارض العزاز ركائبه

فقال البحترى

ادار رحاه فاغتدى جندل الفلا * ترابا وقد كان التراب جنادلا

وقال ابو تمام

رافع كفه لبرى فما احسبه جاآني لغير اللطام

فقال البحترى

ووعد ليس يعرف من عبوس انقباضهم او عد ام وعيد

وقال ابوتمام

ونغمة معتف جدواه احلى * على اذنيه من نغم السماع

فقال البحترى

نشوان من طرب السوآل كانما * غناه مالك طيء او معبد

وقال ابوتمام

ومجربون سقاهم من بأسه * فاذا لقوا فكانهم آغمار

فقال البحترى

ملك له فى كل يوم كريهة * اقدام غر واعتزام مجرب

وقال ابو تمام

لا المنطق اللغو يزكو فى مقاومه * يوما ولاحجة الملهوف تستلب

فقال البحترى

ان اغفلوا حجة لم يلف مسترقا * لها وان يهموا فى القول لم يهم

وقال ابو تمام

مجد رعى تلعات الدهر وهوفتى * حتى غدا الدهر يمشى مشية الهرم

فقال البحترى

صحبوا الزمان الفرط الا انه * هرم الزمان وعزهم لم يهرم

وقال ابوتمام

كريم متى امدحه امدحه والورى * معى واذا ما لمته لمته وحدى

فقال البحترى

الشكو نداه بعد ان وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وقال ابوتمام

اليد والعيس والليل التمام معا * ثلاثة ابدا يقرن فى قرن

فقال البحترى

إطلبا ثالثا سوآى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

وقال ابو تمام

وما نفع من قد مات بالامس صاديا * اذا ما السماء اليوم طال انهمارها

فقال البحترى

واعلم بان الغيث ليس بنافع * للناس ما لم يأت فى ابانه

وقال ابو تمام

تكاد مغانيه تهش عراصها * فتركب من شوق الى كل راكب

فقال البحترى

ولو ان مشتاقا تكلف غير ما * فى وسعه لمشى اليك المنبر

وقال ابو تمام

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة * باسقائها قبرا وفى لحده البحر

فقال البحترى

ملان من كرم فليس يضره * مر السحاب عليه وهو جهام

وقال ابو تمام

فليشكروا جنح الظلام ودروذا * فهم لزرود والظلام موالى

فقال البحترى

نجا وهو مولى الريح يشكر فضلها * عليه ومن يولى الصنيعة يشكر

وقال ابو تمام

انت المقيم فما تعدو رواحله * وعزمه ابدا منه على سفر

فقال البحترى

مسافر ومطاياه محلاة * غروضها ومقيم وهو مرتحل

وقال ابو تمام

وتشرف العليا وهل بك مذهب * عنها وانت على المكارم قيم

فقال البحترى

متقلقل العزمات فى طلب العلا * حتى تكون على المكارم قيما

وقال ابو تمام

فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرىء والدراهم

فقال البحترى

ليفر وفرك الموفى وان اعوز * ان يجمم الندى ووفوره

وقال ابو تمام

فوفرت يافوخ الجبال على الردى * وزدت غداة الروع فى نجدة النجد

فقال البحترى

ويغدو ونجدته فى الوغى * تدرب نجدات فرسانه

وقال ابو تمام

ما زال وسواسى لعقلى خادعا * حتى رجا مطرا وليس سحاب

فقال البحترى

وعجيب ان الغيوم يرجيهن * من لايرى مكان الغيوم

وقال ابو تمام

بكل صعب الذرى من مصعب يقظ * اقام متئدا ام سار معتزما

فقال البحترى

لايبرح الحزم يستوفى صريمته * اقام متئدا ام سار معتزما

فقال ابو تمام

رددت تحفة عليه وان علت * عن ذاك واستهديت بعض خصاله

وقال ابو تمام ايضا

وانفح بنار طيب خيمك نفحة * ان كانت الاخلاق مما توهب

فقال البحترى

لا تسل ربك الكثير وسله * خصلة تستفيدها من خصاله

وقال ابو تمام

غريبة تونس الآداب وحشتها * فما تحل على قوم وترتحل

فقال البحترى

ضوارب فى الافاق ليس بنازح * بها من محل اوطنته ارتحالها

وقال ابو تمام

كانما خامره اولق * او غازلت هامته الخندريس

فقال البحترى

وتخال ريعان الشباب يروعه * من جنة اونشوة او أفكل

وقال ابو تمام

حمد حبيت به واجر حلفت * من دونه عنقاً ليل مغرب

فقال البحترى

فانت نصيب المجد حيث تلالات * كواكبه ان انت لم نصب الاجرا

وقال ابو تمام

تدعى عطاياه وفرا وهى ان شهرت * كانت فخاراً لمن يعفوه موتنفا

فقال البحترى

واذا اجتداه المجتدون فانه * يهب العلى فى سيبه الموهوب

وقال ابو تمام

وتلبس اخلاق كراما كانها * على العرض من فرط الحصانة اذرع

فقال البحترى

قوم اذا لبسوا الدروع لموقف * لبسوا من الاحساب فيه دروعا

وقال ابو تمام

لما اظلتنى غمامك اصبحت * تلك الشهود على وهى شهودى

فقال البحترى

ومعترضون ان حاولت امرا * بهم شهدوا على وهم شهودى

وقال ابو تمام

انضرت ايكتى عطاياك حتى * صار ساقا عودى وكان قضيبا

فقال البحترى

حتى يعود الذئب ليثا ضيغما * والغصن ساقا والقرارة نيقا

وقال ابو تمام فما تصطاد غير الصيد

فقال البحترى وتصطاد الفوارس صيدها

وقال ابو تمام

الان حين غرست فى كرم الندى * تلك المنى وبنيت فوق اساس

فقال البحترى

غفل الرجال بنوا على جدد الثرى * لما بنوا وبنيت فوق اساس

وقال ابو تمام

فعلام الصدود من غير جرم * والصدود الفراق قبل الفراق

فقال البحترى

على ان هجران الحبيب هو النوى * لدى وعرفان المشيب هو العذل

وقال ابو تمام

وفتى اذا جنف الزمان خا برى * الا الى عزمانه بتظلم

فقال البحترى

ولو انصفتنى سر من رآه لم اكن * الى العيش من اوطانها اتظلم

وقال ابو تمام

من دوحة الكلم الذى لم ينفكك * وقفا عليك رصينه محبوسا

فقال البحترى

ولك السلامة والسلام فانني * غاد وهن على علاء حبائس

وقال ابو تمام

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بحال

فقال البحترى

وقد زادها افراط حسن جوارها * خلائق اصفار من المجد خلب

وقال ابو تمام

وما العرف بالتسويف الا كخلة * تسليت عنها حين شط مزارها

فقال البحترى

وكنت وقد املت مرا لحاجتى * كطالب جدوى خلة لا تواصل

وقال ابو تمام

آساد موت مخدرات مالها * الا الصوارم والقنا آجام

فقال البحترى

حشدت حولها سباع الموالى * والعوالى غاب لتلك السباع

وقال ابو تمام

ولاذت بحقويه الخلافة والتقت * على خدرها ارماحه ومناصله

فقال البحترى

لاذت بحقويه الخلافة انها * قسم لافضل هاشم بالافضل

وقال ابو تمام

قد جآنا الرشأ الذى اهديته * خرقا ولوشئنا لقلنا المركب

فقال البحترى

حلت عليه فى سبيل فتوة * هى الثغر خلف المجد بل تفضل الثغرا

وقال ابو تمام

وقد تالف العين الدجى وهو قيدها * ويرجى شفآ السم والسم قاتل

فقال البحترى

ويحسن دلها والموت فيه * وقد يستحسن السيف الصقيل

وقال ابو تمام

// اورقت لى وعدا وثقت بنجحه * بالامس الا انه لم يثمر

فقال البحترى

/ والوعد كالورق الجنى تاودت * منه الغصون ونجحه ان يثمرا

وقال ابو تمام

// ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت ان سيكون بدرا كاملا

فقال البحترى

مثل الهلال بدا فلم يبرح به * صوغ الليالى فيه حتى اقمرا

وقال ابو تمام

ترمى باشباحنا الى ملك * ناخذ من ماله ومن أدبه

فقال البحترى

نغدوا فاما استمحنا من مواهبه * فضلا واما استفدنا منه آدابا

وقال ابو تمام

وما خير برق لاح فى غير وقته * وواد غدا ملآن قبل اوانه

فقال البحترى

// واعلم بان الغيث ليس بنافع * للناس ما لم يات فى ابانه

وقال ابو تمام

لايكرم السائل المعطى وان اخذت * منه الرغائب حتى يكرم الطلب

فقال البحترى

علمتني الطلب الشريف وانما * كنت الوضيع من اتضاع مطالبي

وقال ابو تمام

ارسي بناديك الندى وتنفست * نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

فقال البحتري

راحت لاربعك الرياح ضعيفة * واصاب مغناك الغمام الصيب

وقال ابو تمام

الود للقربى ولكن رفده * للأبعد الاوطان دون الاقرب

فقال البحتري

بل كان اقربهم من سيبه سببا * من كان ابعدهم من جذمه رحما

وقال ابو تمام

شرخ من الشرف المنيف يهزه * هز الصحيفة شرخ عمر مقبل

فقال البحتري

ادركت ما فات الكهول من الحجى * في عنفوان شبابك المستقبل

وقال ابو تمام

بعثن الهوى في قلب من ليس هائما * فقل في فواد رعنه وهو هائم

فقال البحتري

فبعثن وجدا للخلي وزدن في * برحاء وجد الهائم المستهتر

وقال ابو تمام

غرة مرة الا انما كنت * اغرا ايام كنت بهيما

فقال البحتري

عجبت لتفويف القذال وانما * تفويفه لو كان غير مفوف

وقال ابو تمام

وما زالت نجد اسى وشوقا * له وعليه اخلاق الرسوم

فقال البحتري

فهيج وجدي ربعها وهو ساكن * وجدد شوقي رسمها وهو مخلق

وقال ابو تمام

تراه يذب عن حرم المعالي * فتحسبه يدافع عن حريم

فقال البحترى

حامى عن المكرمات مجتهدا * ذب المحامى عن ماله ودمه

وقال ابو تمام

تنصل ربها من غير جرم * اليك سوى النصيحة والوداد

فقال البحترى

اقربها لم اجنه متنصلا * اليك على انى اخالك الوما

وقال ابو تمام

وتند عندهم العلى الا علا * جعلت لها مرر القصيد قيودا

فقال البحترى

والمجد قد يابق عن اهله * لولا عرى الشعر الذى قيده

وقال ابو تمام

شك حشاها بخطبة عنز * كأنها منه طعنة خلس

فقال البحترى

فرحت جونتها بخطبة فيصل * مثل لها فى الروع طعنة فيصل

وقال ابو تمام

جم التواضع والدنيا بسودده * تكاد تهتز من اقطارها صلفا

فقال البحترى

ابدى التواضع لما نالها رعة * عنها فنالته فاختالت به تيها

وقال ابو تمام

اذا اطلقوه عن جوامع علة * تيقن ان المن ايضا جوامع

فقال البحترى

وفى عفوه لو يعلمون عقوبة * تقعقع فى الاعراض ان لم يعاقب

وقال ابو تمام

قصر بذلك عمر وعدك تحول * شكرا بعمر عمر سبعة انسر

فقال البحترى

وجعلت نيلك تلو وعدك قاصرا * عمر العدو به وعمر الموعد

وقال ابو تمام

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة * فلباه طل الدمع يجرى ووابله

فقال البحترى

نصرت له الشوق اللجوج بعبرة * تواصل فى اعقاب وصل تصرما

وقال ابو تمام

من ليلة فى وبلها ليلاء * فلو عصرت الصخر صار ماء

فقال البحترى

اشرقن حتى كاد يقتبس الدجى * ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

وقال ابو تمام

بر بدأت به ودار بابها * للخلق مفتوح ووجه مقفل

فقال البحترى

اليم بابك معقود على خلق * وراءه مثل مد النيل محلول

هذا ما اخذه البحترى من ابى تمام

ولعل قائلا يقول قد تجاوزت فى هذا الباب وقصرت ولم تستقص جميع ما خرجه ابو الضيا بشر ابن تميم من المسروق وليس الامر كذلك بل قد استوفيت جميعه فاوضحت وسامحت بان ذكرت ما لعله لايكون مسروقا وان اتفق المعنيان او تقاربا غير انى اطرحت سائر ماذكره ابو الضيا بعد ذلك لانه لم يقنع بالمسروق الذى يشهد التامل الصحيح بصحته حتى تعدى ذلك الى التكثير والى ان ادخل فى الباب ما ليس منه بعد ان قدم مقدمة افتتح بها كلامه وقال ينبغى لمن نظر فى هذا الكتاب ان لا يعجل بان يقول ما هذا ماخوذ من هذا حتى يتامل المعنى دون اللفظ ويعمل الفكر فيما خفى وانما السرق فى الشعر ما نقل معناه دون لفظه وابعد آخذه فى اخذه قال ومن الناس من يبعد ذهنه الا عن مثل بيت امرء القيس وطرفة حين لم يختلفا الا فى القافية فقال احدهما وتحمل وقال الآخر وتجلد قال وفى الناس طبقة اخرى يحتاجون الى دليل من اللفظ مع المعنى وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل فجعل هذه المقدمة توطئة لما اعتمده من الاطالة والحشد وان يقبل منه كل ما يورده ولم يستعمل مما وصى به من التامل واعمال الفكر شيئا ولو فعل ذلك لرجوت ان يوفق لطريق الصواب فيعلم ان السرق انما هو فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية

فى عاداتهم ومستعملة فى امثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده ان يقال اخذه من غيره غير ان ابا الضيا استكثر من هذا الباب وخلط به ما ليس من السرق فى شئ ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب واتى بضرب آخر ادعى فيه ايضا السرق والمعانى مختلفة وليس فيه الا اتفاق الفاظ ليس مثلها ما يحتاج واحد ان يأخذه من آخر اذ كانت الالفاظ مباحة غير محظورة فبلغ غرضه فى توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب وانا اذكر من هذه الابواب امثلة تدل على صحة ما ذكرناه ونجعلها قياسا على ما لم نذكره فان فى البعض غنى عن الاطالة بذكر الكل فما اورده ابو الضياء من المعانى المستعملة الجارية مجارى الامثال وذكر ان البحترى اخذه من ابى تمام قول ابو تمام

جرى الجود مجرى النوم منه فلم يكن * بغير سماح اوطعان بحالم

وقول البحترى

ويبيت يحلم بالمكارم والعلى * حتى يكون المجد جل منامه

وهذا الكلام موجود فى عادات الناس ومعروف فى معانى كلامهم وجار كالمثل على السنتهم بان يقولوا لمن احب شيئا او استكثر منه فلان لا يحلم الا بالطعام وفلان لايحلم الا بفلانة من شدة وجده بها وهذا الزنجى ما حلمه الا بالتمر ولا يقال لمن كانت هذه سبيله سرق وانما يقال له اتفاق فان كان واحد سمع هذا المعنى اومثله من آخر فاحتذاه فانما ذكر معنى قد عرفه واستعمله لا انه اخذه اخذ سرقة وانشد لابى تمام

اذا القصائد كانت من مدائحهم * يوما فانت لعمرى من مدائحها

فذكر ان البحترى اخذه فقال

ومن يكن فاخرا بالشعر يذكر فى * اضعافه فبك الاشعار تفتخر

وهذا غلط على البحترى لان الناس لا يزالون يقولون فلان يزين الثياب ولا تزينه ويجمل الولاية ولاتجمله وفلانة تزيد فى حسن الحلى ولايزيد فى حسنها وفلان تفتخر به الانساب ولا يفتخر بها وهذا ليس من المعانى التى لا يجوز ان يدعى احد من الناس انه ابتدعها واخترعها او سبق اليها ولايجوز ان يكون مثل هذا اذا اتفق فيه خطيبان او شاعران ان يقال ان احدهما اخذه من الآخر

وانشد لابى تمام

ثم انقضت تلك السنون واهلها * فكأنها وكأنهم احلام

وذكران البحتري اخذه فقال

وايامنا فيك اللواتي تصرمت * مع الوصل اضغاث واحلام نائم

وكأنه ما سمع الناس يقولون ما كان الشباب الا حلما وما كانت ايامه الا نومة نائم واما اشبه ذلك من اللفظ فكيف يجوز ان يكون ذلك مسروقا وذكران من ذلك قول ابي تمام قد يقدم العير من ذعر على الاسد وقول البحتري

فجاء مجئ العير قادته حيرة * الى اهرت الشدقين تدمى اظافره

اولم يسمع ماهو كالمجمع عليه من ان العير اذا راى السبع اقبل اليه من شدة خوفه منه حتى صار مثلا يتمثل به كما يتمثل بالفراشة اذا تهافتت فى النار وفى ذلك امثال واشعار كثيرة فما اظن علمها سقط عن البحتري

ومن ذلك قول ابي تمام

هيهات لم يعلم بانك لو ثوى * بالصين لم تبعد عليك الصين

وقول البحتري

يضحى مطلا على الاعداء لو وقعوا * فى الصين من بعدها ما استبعد الصينا

وهذا جار على افواه العامة والخاصة والنساء والصبيان ان يضربوا المثل فى البعد بالصين وان يوقعوا التهدد به فيقولون لو انك بالصين لما بعدت على فكيف لا يهتدى البحتري الى مثل هذا ومن ذلك قول ابي تمام

كان بنى نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

وقول البحتري

فاذا لقيتهم فموكب انجم * زهر وعبد الله بدر الموكب

وهذا معنى متقدم مبتذل جاء به النابغة وغيره وكثر على الالسن حتى صار اشهر من كل مشتهر وبيت ابي تمام خاصة فانما سرقه على سياقه من مريم بنت طارق ترثى اخاها

كنا كانجم ليل بينها قمر * يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

ومن ذلك قول ابي تمام

همة تنطح النجوم وجد * آلف للحضيض فهو حضيض

وقول البحتري

متحير يغدو بعزم قائم * فى كل نائبة وجد قاعد

وهذان المعنيان جنسهما واحد ولفظهما مختلف وهما شائعان فى الكلام وجاريان فى الامثل يقال فلان عالى الهمة وهمته فى الثريا وحاله فى الحضيض وفلان سلم بهمته ولكن قعد به حظه ونحو هذا من اللفظ فليس يجوز ان يعتور هذا المعنى شاعران فيقال احدهما اخذه من الآخر

ومن ذلك قول ابى تمام

وليست فرحة الاوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

وقول البحترى

ما لشئ بشاشة بعد شئ * كتلاق مواشك بين بعد

وهذا معنى مستفيض معروف ومنه قول الحجاج بن يوسف لولا فرحة الاوبات لما عرفتهم الا بالاسفار وغرض كل واحد من هذين الشاعرين فى هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه لان ابا تمام ذكر انه لا يفرح بالقدوم الا من شجاه واحزنه التوديع واراد البحترى انه ليس شئ من المسرة والجذل اذا جاء فى اثر شى ما كالتلاق بعد التفرق فليس وان كان جنس المعنيين واحدا وجب ان يقال ان احدهما اخذ من الآخر لان هذا قد صار جاريا فى العادات وكثيرا على الالسن فالتهمة ترتفع عن ان ياخذ احد عن احد ومن ذلك قول ابى تمام

لهم نشب وليس لهم سماح * واجسام وليس لهم قلوب

وقول البحترى

خلق ممثلة بغير خلائق * ترجى واجسام بلا ارواح

وهذا الكلام ايضا هو اعرف فى كلامهم واشهر من ان يحتاج شاعر ان ياخذه من الآخر وهم دائما يقولون ما فلان الا شبح من الاشباح وما هو الا صورة فى حائط اوجسد فارغ ونحو هذا من القول الشائع المشتهر * ومن ذلك قول ابى تمام

لاتدعون نوح بن عمرو دعوة * للخطب الا ان يكون جليله

وقول البحترى

يا ابا جعفر وما انت بالمد * عو الا لكل امر كبار

ونسى قول الناس اختر لعظيم الحوائج العظيم من الناس ولكبير الامور كبيرهم وقال رجل لابن عباس ان لي اليك حاجة صغيرة فقال اطلب لها رجلا صغيرا

ومن ذلك قول ابى تمام

بيض فهن اذا رمقن سوافرا * صور وهن اذا رمقن صوار

وقول البحترى

انى لحظت فانت جؤذر رملة * واذا صردت فانت ظبى كناس

وهذا تشبيه اعين النساء باعين البقر وتمثيلهن بالصوار وبالظباء وجل كلام العرب عليه يجرى فلا تكون الشعراء فيه الا متفقين * ومن ذلك قول ابى تمام

ولقد جهدتم ان تزيلوا عزه * فاذا ابان قد رسا ويلملم

وقول البحترى

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما * تمكن رضوى واطمأن متالع

وهذا المعنى ايضا شائع من معانيهم وكثير فى اشعارهم ومنه قول الفرزدق

وادفع بكفك ان اردت بقاءنا * شهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وقوله يخاطب جريرا ايضا * فرم حضنا فانظر متى انت ناقله  افترى البحترى ماسمع هذا من قول الفرزدق ولا من قول غيره حتى سمعه ابو تمام فنقله

ومن ذلك قول ابى تمام

وفى شرف الحديث دليل صدق * لمختبر على شرف القديم

وقول البحترى

على انا نوكل بالادانى * وتخبرنا الفروع عن الاصول

وهذا معنى شائع فى الكلام ايضا مشهور كثير على الافواه ان يقولوا ان العروق عليها ينبت الشجر ومن اشبه اباه فما ظلم والعصى من العصية والغصن من الشجرة ودلت على الام السخلة ومثل هذا لا يكون ماخوذا مستعارا

ومن ذلك قول ابى تمام

ولذاك قيل من الظنون جلية * صدق وفى بعض القلوب عيون

وقول البحترى

واذا صحت الروية يوما * فسواء ظن امرء وعيانه

وهذا ايضا من الامثال المشهورة المبذولة السائرة وهو قولهم ظن كيقين ومن ذلك قول اوس بن حجر

الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا

وقول ابى تمام

لا نجم من معشر الا وهمته * عليك دائرة يا ايها القطب

بقى بيت البحترى لم يذكره وهوهذا

ودارت بنوساسان طرا عليهم * مدار النجوم السائرات على القطب

وكانه ماسمع قول الناس فلان قطب هذا الامر وعلى فلان مدار القصة ونحو هذا من القول الذى يستغنى الانسان بما جرى منه فى عادته ان يستعيره من غيره ومن ذلك قول ابى تمام

واقل الاشياء محصول نفع * صحة القول والفعال مريض

وقول البحترى

وما لمثلى فى القول منك رضى * والقول فى المجد غير محسوب

وابوتمام زعم ان رونق القول بالمواعيد لايحصل منه نفع اذالم يكن فعال وجعل الصحة فى القول والمرض فى الافعال مثلين فى الاستعارة والبحترى انما ذكر انه لا يرضى بالقول لان القول لايحتسب به للماجد بغير فعل فالغرضان مختلفان والمعنى معنى واحد شائع جار فى عادات الناس ان يقولوا انما زيد كلام وانما عمرو قول بلا فعل ومثل هذا مع كثرته على الالسن لايقال انه مسروق

ومن ذلك قول ابى تمام

ستر الصنيعة واستحر ملعنا * يدعو عليه النائل المظلوم

وقول البحترى

اكافر منك فضل نعمى * وستر نعمى الكريم كفر

فذكر ابو تمام رجلا ذمه بستر الصنيعة وجعله ملعنا يدعو عليه النائل المظلوم على الاستعارة والبحترى ذكر ان ستر النعمى كفر وكلا اللفظين مستعملان شائعان على الالسن فلا يقال لمن تكلم باحد اللفظين انه استعارة من الآخر

ومن ذلك قول ابى تمام

شهدت جسيمات العلى وهو غائب * ولوكان ايضا شاهدا كان غائبا

وقول البحترى

بشير لكم فيها نذير لغيركم * له شاهد عن موضع الفهم غائب

وهذا المعنى ايضا جار على الافواه ومستعمل فى الكلام تعرفه العامة كما تعرفه

الخاصة وذلك قولهم فلان شاهد كغائب وحاضر كمن لم يحضر وفلان سوآء والعدم ومن ذلك قول ابى تمام

دعينى على اخلاق الصمل التى * هى الوفر او سرب ترن نوادبه

وقول البحترى

وخد القلاص يردنى لك بالغنى * فى بعض ذا التطواف او يردينى

وهذان المعنيان اصلهما واحد وهو قول امرء القيس

نحاول ملكا او نموت فنعذرا وشهرته وكثرة استعمال الناس اياه يغنى البحترى عن ان يقال انه استعاره او اخذه ومن ذلك قول ابى تمام

نحلت بقبح صورته فامسى * لها انسان عينى فى السياق

وقول البحترى

شكوت قذى بعينك بات يدمى * كانك قد نظرت الى طماس

وهذا ايضا من المعانى التى تمنع شهرتها وابتذال العامة والخاصة لها من ان يقال انها مسروقة وان واحدا ائتم فيها بآخر ومما جاء به ابو الضيا على انه مسروق والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب قول ابى تمام

فاقسم اللحظ بيننا ان فى اللحظ لعنوان ما يجن الضمير

وقول البحترى

سلام وان كان السلام تحية * فوجهك دون الرد يكفى المسلما

وابو تمام سأل من يخاطبه ان يقبل عليه ويجعل له قسطا من النظر فان ادامة النظر تدل على المودة كما ان الاعراض يدل على البغض والبحترى انما سلم على الهيثم الغنوى وذكر ان السلام تحية وان وجهه لجماله وطلاقته يكفى المسلم قبل رده والمعنيان مختلفان وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ما ينسب احدهما انه محذو على الآخر او مسروق منه ومن ذلك قول ابى تمام

ورحب صدر لوان الارض واسعة * كوسعه لم يضق عن اهل بلد

وقول البحترى

مفازة صدر لو تطرق لم يكن * ليسلكها فردا سليك المقانب

وابو تمام ذكر ان رحب صدر الممدوح وسعته تزيد على سعة الارض فاسرق واخطا فى المعنى بما قد ذكرته فى باب خطائه فى المعانى والبحترى ذكر سعة صدر

الممدوح وجعل له مفازة على الاستعارة وذكر انه لو تطرق لم يكن ليسلكها سليك الذي لم يكن ليكبر عليه سلوك الارض وان عرضت وطالت وانما ارادا جميعا سعة صدر الممدوح كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح فافرطا ولكن سلك كل واحد منهما معنى غير معنى صاحبه كما ترى * ومن ذلك قول ابي تمام

انما البشر روضة فاذا ما * كان بر فروضة وغدير

وقول البحتري

فان العطاء الجزل ما لم تحله * ببشرك مثل الروض غير منور

فاراد ابو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير واراد البحتري ان العطاء ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور فليس بين المعنيين اتفاق الا في ذكر البشر والروض والالفاظ غير محظورة على واحد ومن ذلك قول ابي تمام

واني ما حورفت في طلب الغنى * ولكنما حورفتم في المكارم

وقول البحتري

اذا ابتدا بخلاء الناس عارفة * يتبعها المن فالمرزوق من حرما

فاراد ابو تمام انه ليس بمجدود ولا محارف في ملتمساته ومطالبه ولكن الذين امهم وطلب ما عندهم حورفوا في مكارمهم فاحسن في المعنى واللفظ كل الاحسان واراد البحتري ان البخيل اذا امتن بمعروفه فالمرزوق من حرم ذلك المعروف فهذا المعنى غير معنى ابي تمام وليس بينهما اتفاق ولا تقارب

ومن ذلك قول ابي تمام

اذا شب نارا اقعدت كل قائم * وقام لها من خوفه كل قاعد

فقال البحتري

ومبجل وسط الرجال خفوفهم * لقيامه وقيومهم لقعوده

وليس احد المعنيين من الآخر في شئ لان ابا تمام اراد ان الممدوح اذا شب نار الحرب اقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته اي تزعج كل واحد خوفا وفرقا وذلك ماخوذ من قول الفرزدق

اتاني ورحلي بالمدينة وقعة * لآل تميم اقعدت كل قائم

وقوله وقام لها من خوفه كل قاعد اي زال عن الطمأنينة والقرار فقام وانما يريد انزعاج الخائف فجعل ذلك قياما له والبحتري انما ذكر ان الرجال انما يخفون

لقيام ممدوحه اى يسرعون بين يديه اذا قام فاذا قعد قاموا اجلالا وهيبة وان من شانه ان لايجلس احد بجلوسه وأن يكون الناس كلهم قياما اذا جلس والمعنيان مختلفان وليس بينهما اتفاق الا فى ذكر القيام والقعود والالفاظ مباحة

ومن ذلك قول ابى تمام

وربَّ يوم كأيام تركت به * متن القناة ومتن القرن منقصفا

وقول البحترى

فى معرك ضنك تخال به القنا * بين الضلوع اذا انثنين ضلوعا

وليس بين المعنيين اتفاق الا فى ان الشاعرين وصفا حال الطعن بالقنا كيف يقع فذكر ذلك (اى ابو تمام) ان ممدوحه يقصف متن القرن ومتن القناة وشبه هذا انطواء الرماح واعوجاجها اذا وقعت بضلوع القوم باعوجاج ضلوعهم وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة وهو المعنى الذى استغربه واستحسنه ابو تمام على ما يرويه الشاميون ومن ذلك قول ابو تمام

بين البين فقدها قل ما يعرف فقد للشمس حتى تغيبا

وقول البحترى

فاضل بين الاخوان عمرى وفى ظلماء ليل تفاضلت شهبه

وليس بين المعنيين تناسب لان ابا تمام ذكر ان موضع فقدها بان وانه قلما يعرف فقد الشمس الا بعد غروبها وهذا جار فى عادات الناس واستعمالهم ان يقولوا لا يعرف فضل الانسان حتى يفقد ولا يعرف فضل العافية الا عند البلية وقدر الدراهم الا عند الحاجة والبحترى اراد ان عمره بين له عن مراتب اخوانه وفضل بعضهم على بعض واراد بالشهب الكواكب وهذا معنى لطيف جدا ليس من معانى ابى تمام فى شئ وهذا مما ادعى ابو الضياء على البحترى فيه السرق والاتفاق فى ذلك اكثر فانما هو من الالفاظ التى ليست محظورة على احد وقد مضى فيما قبل من هذا الباب ابيات فمن ذلك قول ابى تمام

ان الصفائح منك قد نضدت على * ملقى عظام لو علمت عظام

وقول البحترى

مساع عظام ليس يبلى جديدها * وان بليت منهم رمائم اعظم

فاراد ابو تمام ان عظام الرجل الذى رثاه عظيم القدر واراد البحترى ان مساعى

القوم عظام لا يبلى جديدها وان بليت عظامهم وليس ههنا اتفاق الا فى لفظ العظام لاغير ومن ذلك قول ابى تمام

لا يدهمنك من دهمائهم عدد * فان اكثرهم او جلهم بقر

وقول البحترى

على نحت القوافى من مقاطعها * وما على لهم ان تفهم البقر

فاراد ابو تمام انه لا يجب ان ينظر الى كثرة عددهم فان اكثرهم بقر وذكر البحترى ان عليه ان يجيد القول وليس عليه ان تفهمه البقر وما ههنا اتفاق الا فى لفظة البقر ومن ذلك قول ابى تمام لهان علينا ان نقول وتفعلا وقول البحترى

ان الخليفة ليس يرقب فى الذى * حاولت الا ان تقول وتفعلا

والاتفاق ههنا انما هو فى القول والفعل ومن ذلك قول ابى تمام

وما يوم زرت اللحد يومك وحده * علينا ولكن يوم زيد وحاتم

وقول البحترى

بابيض وضاح كان قميصه * يزر على الشيخين زيد وحاتم

افترى البحترى ما سمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطآى اللذين يفخر بهما اليمن كلاهما فيشبه ممدوحه بهما الا من بيت ابى تمام ومن ذلك قول ابى تمام

لعمرك ما كانوا ثلاثة اخوة * ولكنهم كانوا ثلاث قبائل

وقول البحترى

كانوا ثلاثة ابحر افضى بهم * ولع المنون الى ثلاثة اقبر

فجعلهم ابو تمام ثلاث قبائل وجعلهم البحترى ثلاثة ابحر فليس ههنا اتفاق الا فى ذكر ثلاثة ومن ذلك قول ابى تمام

كتائبا من الالوان ابيض ناصع * واحمر قانى واصفر فاقع

وقول البحترى

من واضح يقق واصفر فاقع * ومضرج جسد واحمر قانى

افترى البحترى لم يكن ليهتدى الى اصفر فاقع واحمر قانى لولا بيت ابى تمام ومن ذلك قول ابى تمام

لولا مناشدة القربى لغادركم * فريسة المرهفين السيف والقلم

وقول البحترى

زنت الخلافة اشراقا وقد حبطت * وذدت عن حوزتها بالسيف والقلم
وكذلك ايضا لم يكن البحترى يهتدى الى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما ابو تمام
ومن ذلك قول ابى تمام
ابى لى نجر الغوث ان ارأم التى * اسب بها والنجر يشبهه النجر
وقول البحترى
سيد نجر المعالى نجره * يملك الجود عليه ما ملك
وقد كان ينبغى لابى الضيا ان لايخرج مثل هذا فى السرق ولايفضح نفسه
ومن ذلك قول ابى تمام
متوطئوا عقبيك فى طلب العلى * والمجد ثمة تستوى الاقدام
وقول البحترى
حزت العلى سبقا وصلى ثانيا * ثم استوت من بعده الاقدام
ومثله قول ابى تمام
فى غداة مهضومة كان فيها * ناضر الروض للسحاب نديما
ومايجعل مثل هذا مسروقا الا من لا معرفة له بجلى المعانى فضلا عن خفيها
ومن ذلك قول ابى تمام يصف الفرس
من نجل كل تليدة اعراقه * طرف معم فى السوابق مخول
وقول البحترى
وافى الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقآ على معم مخول
وما فى معم مخول من الغرابة حتى يتلقفه البحترى من ابى تمام على كثرته على الالسن
وقول الناس فى مدح الفرس كريم الابآء والامهات وشريف الانساب
ومن ذلك قول ابى تمام
فاذرت جمانا من دموع نظامها * على الخد الا أن طالعها السفر
وقول البحترى
جرى فى نحرها من مقلتيها * جمان يستهل على جمان
فالاتفاق ههنا انما هو فى لفظ جمان وقول ذلك نظامها على الخد وقول هذا جرى فى نحرها فلا يقتضى ان يكون احدهما ماخوذا من الآخر لان الدمع على الخد جريه والى النحر يصل وهذه حال لا يجهلها احد ممن وصف الدمع

ومن ذلك قول ابى تمام

وهل للقريض الغض اومن يحوكه * على احد الا عليك معول

وقول البحترى

وعليك سقياهم لنا اذ لم يكن * فى نوبة الا عليك معول

فحظر على البحترى لفظة معول وحرمها عليه من اجل ان ابا تمام لفظ بها

ومن ذلك قول ابى تمام

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة * من جاهه فكانها من ماله

وقول البحترى

خان حمدى وللرياح اللواتى * تجلب الغيث مثل حد الغيوم

فمعنى ابى تمام مشترك بين الناس وليس مخترعا لانك ابدا تسمع قول القائل اذا بلغ حاجته بشفاعة ان يقول للشفيع ما اعتد هذه الا من الله ومنك فليس لابى تمام فيه شئ اكثر من ان عبر فيه بعبارة حسنة مكشوفة فالبحترى لم ياخذ المعنى منه لانه فى العادات موجود ولكنه احسن فى التمثيل واغرب وابدع

﴿ وهذا الان ما اخطا فيه البحترى من المعانى قال البحترى ﴾

ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسبل

هذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

بضاف فويق الارض ليس باعزل * فقال فويق الارض بقليل

وقد عيب على امرى القيس قوله

لها ذنب مثل ذيل العروس * تسد به فرجها من دبر

وما ارى العيب لحق امرء القيس فى هذا لان العروس اذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض فهو عيب فليس ينكران يشبه الذنب به وان لم يبلغ ان يمس الارض لان الشى انما يشبه بالشى اذا قرب منه اودنا من معناه فاذا اشبهه فى اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق به ولان امرء القيس لم يقصد طول الذنب ان يشبهه بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ والكثرة والكثافة الا تراه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا بل يكون رقيقا نزر الشعر خفيفا فلا يسد

فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول فانما اشبه الذنب الطويل ذيل العروس من هذه الجهة وكان فى الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب ولا ان يكون ذنب الفرس من اجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر ايضا انه قصد الى ان الفرس يسحبه على الارض وانما العيب فى قول البحترى ذنب كما سحب الرداء فافصح بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول امرء القيس قول خداش بن زهير

لها ذنب مثل ذيل الهدى * الى جؤجؤ أيد الزافر

الهدى العروس التى تهدى الى زوجها وأيد شديد والزافر الصدر لانها تزفر منه فانما اراد بذيل العروس طوله وسبوغه فشبه الذنب السابغ به وان لم يبلغ فى الطول الى ان يمس الارض ومما يصحح ذلك قولهم فرس ذيال اذا كان طويلا طويل الذنب فاذا كان قصيرا طويل الذنب قالوا ذائل وانما قالوا ذلك تشبيها للذنب بالذيل لاغير قال النابغة

بكل مدجج كالليث يسمو * الى اوصال ذيال رفن

رفن ورفل واحد وهو الطويل الذنب وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرء القيس فيما بينته من سهو ابى العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرء القيس من الغلط فى كتابه الذى جمع فيه سرقات الشعراء وقال البحترى

هجرتنا يقظى وكادت على عا * داتها فى الصدود تهجر وسنى

وهذا عندى غلط لان خيالها يتمثل له فى كل احوالها يقظى كانت او وسنى والجيد قوله

ارد دونك يقظانا ويأذن لى * عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

فصحح المعنى وأتى به على حقيقته وكذلك قوله

اذا ما تباذلنا النفائس خلتنا * من الجد ايقاظا ونحن نيام

وقوله نعذب ايقاظا وننعم هجدا * جيد ايضا لانه حملها على ان حالها مع خياله اذا نامت كحاله مع خيالها اذا نام وان كل واحد منهما ينعم مفردا مع خيال صاحبه لانهما ينعمان معا فى حال واحدة اذا نام احدهما فراى خيال الآخر وانما اخذ معنى بيته الاول وعليه بنى اكثر اوصافه للخيال من قول قيس بن الحطيم

انى سربت وكنت غير سروب * وتقرب الاحلام غير قريب

ما تمنى يقظى فقد توتيتـه * فى النوم غير مصرد محسوب

وما اظن احدا سبق قيسا الى هذا المعنى فى وصف الخيال وهوحسن جدا ولكن فيه ايضا مقال لمعترض وذلك هو الذى اوقع البحترى فى الغلط لان قيسا قال ما تمنى يقظى فقد توتيته فى النوم فاراد ايضا انها توتيه نائمة وخيال المحبوب يتمثل فى حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت وكان الاجود لو قال ما تمنى فى اليقظة فقد توتيته فى النوم اى ما تمنيته فى يقظتى فقد توتيتـه فى حال نومى حتى يكون النوم واليقظة معا منسوبة اليه الا انه يتسع من التاويل لقيس ما لا يتسع للبحترى لان قيسا قال فقد توتيته فى النوم فقد يجوز ان يحمل على انه اراد ماتمنى يقظى وانا يقظان فقد توتيتـه فى نومى ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى لان البحترى قال وسنى ولم يقل فى الوسن وقال البحترى فى مدح المعتز بالله

لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

وهذا عندى من اهجن ما مدح به خليفة واقبحه ومن ذا يعنف الخليفة اويصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح وقال البحترى

تشق عليه الريح كل عشية * جيوب الغمام بين بكر وايم

وهذا ايضا غلط لانه ظن ان الايم هى الثيب وقد غلط فى مثله ابو تمام وذكرته فى اغاليطه وسها فيه ايضا بعض كبار الفقهاء فظن البحترى ان الايم هى الثيب فجعلها فى البيت ضد البكر والايم هى التى لا زوج لها بكرا كانت اوثيبا قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم اراد جل ثناؤه اللواتى لا ازواج لهن فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الآية فتكون بكرا وتكون ثيبا وتكون بكرا ومعنسا وكعابا الا ان لفظة ايم لا تزول عن شى من هذه الاوصاف وليست عبارة الا عن التى لا زوج لها لاغير وقد شرحت هذا المعنى شرحا شافيا فى غلط ابى تمام وقال البحترى

شرطى الانصاف ان قيل اشترط * وصديقى من اذا قال قسط

وكان يجب ان يقول اقسط اى عدل وقسط بغير الف معناه جار قال الله تبارك وتعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقال ان الله يحب المقسطين

وقال البحترى

صبغة الافق بين اخر ليل * منقض شانه وآخر فجر

يصف فرسا اشقر او خلوقيا والحمرة لا تكون بين آخر الليل واول الفجر وهو عندى فى هذا غالط لان اول الفجر الزرقة ثم البياض ثم الحمرة عند بدوء قرن الشمس كما ان آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة ثم البياض ثم الزرقة وهى آخر الشفق وقال البحترى

وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه * واول الغيث رش ثم ينسكب

وقال اخر

وان يسجع القمرى فيها اذا غدا * بركبانه قرن من الشمس ازرق

وكان البحترى اراد ان يقول بين اخر ليل منقض شانه واول نهار فيكون قد قابل بين الليل والنهار والحمرة قد تكون بين اخر الليل واول النهار كما تكون بين اخر النهار واول الليل فقال واول فجر صفرة والجيد فى هذا قول ابى تمام يصف فرسا اشقر * كان قد كسفت فى اديمه الشمس وقال البحترى

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

هذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال قد ادنى خطاها كلالها اى قارب من خطوها الكلال وهذا كانه لم يقف لسؤال الدار التى تعرض لان يشفيه سؤالها وانما وقف لاعياء المطى والجيد قول عنترة لانه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بان شبه ناقته بالقصر فقال

فوقفت فيها ناقتى وكانها * فدن لاقضى حاجة المتلوم

قال ذلك ليعلم انه لم يقف بها ليريحها وقد كشف عن هذا المعنى ذو الرمة فاحسن واجاد فقال

انخت بها الوجناء لا من سآمة * لشنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انخت بها لاصلى لا من سآمة بها وقوله لشنتين يريد اللتين يقصرهما المسافر بين اثنين جاء يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل فانما قال قد ادنى خطاها كلالها ليعلم انه قصد الدار من شقة بعيدة قيل العرب لاتقصد الديار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فيقول الرجل لصاحبه او صاحبيه قف وقفا وانما ذلك تعريج على الديار فى مسيرها وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار * وقال البحترى

غريبَ السجايا ما تزالُ عقولنا * مدلهة فى خلة من خلاله

اذا معشر صانوا السماح تعسفت * به همة مجنونة فى ابتذاله

قوله اذا معشر صانوا السماح معنى ردىء لان البخيل ليس من اهل السماح فيكون له سماح يصونه وسوآ عليه قال صانوا السماح او صانوا السخاء او صانوا الجود او صانوا الكرم فان هذا كله لا يملك البخلا منه شيئا وهو منهم بعيد فكيف يصونونه فان قيل انما اقام السماح مقام الشئ الذى يسمح به وفى مجازات العرب ماهو ابعد من هذا قيل البحترى لا يسوغ مثل هذا ولايجوز له لانه متاخر ولاسيما ان ليست ههنا ضرورة لانه قد كان يمكنه ان يقول صانوا الثرى مكان صانوا السماح *وهذا ماعيب به البحترى وليس بعيب* وانما ذكرته ليلا يظن ظان انه صحيح وانى تخطيئته فى ذلك ما نعاه عليه اصحاب ابى تمام وهما بيتان وقد ذكرت احتجاج اصحاب البحترى فيهما فى الجزء الاول من هذا الكتاب وانا اعيد ذكرهما لزيادة عندى فى الاحتجاج يحتاج اليها * انكروا عليه قوله

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

وقالوا لوملئ الاناء دبسا لكانت هذه حاله والمعنى عندى صحيح لاعيب فيه ولا قدح وذلك ان الرجل قد دل بهذا الوصف على ان شعاع الشراب فى غاية الرقة فاعتمد ان وصف الاناء ومافيه وصف الهيئة على ماهى عليه وانما اخذ المعنى من قول على بن جبلة

كان يد النديم تدير منها * شعاعا لاتحيط عليه كاس

الا ترى ان هذا ايضا قد دل على ان الكاس فى غاية الرقة ومثله قول الآخر

انما نعجتنا موسومة * ضمنت حمراء ترمى بالزبد

واذا ما نزلت فى كاسها * فهى والكاس معا شئ احد

وقد انشد ابو العباس ثعلب بيت البحترى هذا فى اماليه وقال انه اخذ المعنى من قول الاعشى

تريك القذى من دونها وهى دونه * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

قال ابو العباس وهذا البيت اجود ماقيل فى وصف الخمرة لانه جمع بين اللون والطعم ونحوه قول الآخر وهو الاخطل

ولقد تباكرنى على لذاتها * صهباء عارية القذى خرطوم

يريد انها صافية فالقذى فيها لا يستتر ولم يعب ابو العباس البحترى ولاطعن فى بيته بل ذلك انشاده وذكره فى موضع السرق على استجادته واستحسانه اياه وانكروا قوله

ضحكات فى اثرهن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده

وقالوا اقام الرعود مقام العطايا وانما كان ينبغى ان يقيم الغيوث مقام العطايا وهذا جهل ممن قاله بمعانى كلام العرب ومعنى التمثيل فى البيت صحيح لان الرعد مقدمة الغيث وقل رعد لايتلوه المطر واذا كان هذا هكذا فقد صار المعنى كانه اول له وانما اخذ البحترى المعنى من قول بشار

وعد الجواد يحث نائله * كالبرق ثم الرعد فى اثره

واظنهما جيعا اخذا المعنى من قول الاعشى

والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا

فاقام الرعد مقام الغيث ونحو قوله بشار

حلبت بشعرى راحتيه فدرتا * سماحا كما در السحاب على الرعد

وانشد ابن الاعرابى فى نوادره

فان لم اصدق ظنهم بتيقنى * فلا سقت الاوصال منى الرواعد

فجعل التى تسقى هى الرواعد وقال الكميت

وانت فى الشتوة الجماد اذا * اخلف من انجم رواعدها

ومثل هذا كثير فى كلامهم لاينكره منكر وقال ابو تمام

وكذا السحائب قلما تدعو الى * معروفها الرواد ما لم تبرق

فجعل البرق عند الرواد دليل الغيث وقد يكون برق لامطر معه كثيرا و برق الخلب هذه حاله فالبحترى فى ان اقام الرعد مقام الغيث اعذر من ابى تمام لانه قد يرتفع سحاب وبرق لامطر فيه فاذا ارعد لايكاد يخلف ومن ذلك قول ابى تمام

يا هلالا اوفى با على قضيب * وقضيبا على كثيب مهيل

وقالوا هذا خطأ لان الكثيب اذا كان مهيلا فانه يذهب ولايستمسك وذلك مذموم من الوصف قالوا والجيد قوله

كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل

وقالوا قد تراه هنا كيف شرط فى الدعص لما مثل العجز به ان جعله غير مهيل

لان العرب اذا شبهت اعجاز النسآء بكثبان الرمل شرطت فيها ان تكون ندية وان تكون ممطورة كانها الكثبان غب سارية ناوية سمان من الني وهو الشحم كقول الاخر مثل الكثيب اذا ما بله المطر وكما قال مرداس بن ابى عامر السلمى

اذا هى قامت فى النسآء حسبت ما * فويق نطاق العقد صعدة مأسم
واسفل منه ظهر دعص اصابه * نجآء السماك فى الكثيب المحسم

وقال الاخضر بن جابر الفزارى

بكرت انثاء اللفاع الانحمى * بمثل دعص الرملة المديم

اراد الذى قد بلته الديمة وهى السحابة وقال جندل بن المثنى الطهوى

لا بل كدعصاء نفاها مثرى * عفرآء حفت برمال عفر

وقال امرؤ القيس

كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه * بما احتسبا من لين مس وتسهال

والحقف المستدير من الرمل لان الريح تنخله وتجمعه وقال يمشى الوليدان فوقه لان الندى اصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة وقد شبه امرؤ القيس ايضا كفل الفرس بالدعص الندى فقال

له كفل كالدعص لبده الندى * الى كاهل مثل الرتاج المضبب

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وان مال الضجيع بها فدعص * من الكثبان ملتبد مطير

قالوا هذا الوصف المجرد والمعنى الصحيح من معانى العرب ولو لا ان تشبيه اردافه بالكثيب المنهال خطأ لما قال البحترى فى بيته الآخر والدعص غير مهيل وهذا المذهب الذى ذهبوا اليه لعمرى صحيح من مذاهبهم الا ان الشعرآء اذا شبهت اعجاز النسآء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فانما تقصد الى تحرك اعجازهن عند المشى كما قال رؤبة بن العجاج

اذا وصلن العوم بالهركل * رجرجن من اعجازهن الخزل
اوراك رمل واج فى رمل

فقال اوراك رمل واج فى رمل وولوجه تحركه ودخول بعضه فى بعض وكما قال الاعشى

ورادفة تثنى الردآء تساندت * الى مثل دعص الرملة المنهيل

فياف كغصن البان ترتج ان مشت * دبيب قطا البطحاء فى كل منهل

فدل بقوله ترتج ان مشت على ان قوله الى مثل دعص الرملة المتهيل انما اراد تحرك عجزها فى حال مشيها وكذلك قول روبة

ميالة مثل الكثيب المنهال * عزز منه وهو معطى الاسهال

صوب السوارى مته بالتهتال

التهيال والهتان واحد فقال مثل الكثيب المنهال لما قال ميالة اى انها تتثنى فى مشيتها وتحرك روادفها وشرط انه عزز منه صوب السوارى اى شده ليمنع من سيلانه وذهابه وانما اراد حالا بين الحالين الا تراه قال وهو معطى الاسهال شدة صوب السوارى وهو مع ذلك يتهيل وقال ابن اخى سفيان الغامدى

ذات شوى عبل وخصر ابتل * وكفل مثل الكثيب الاهيل

فاراد بالاهيل الذى يتدحرج عند المشى وقال المقنع الكندى

اذا قامت تنوء بمرجحن * كدعص الرمل ينهال انهيالا

فجا بذكر الانهيال من اجل ذكره للقيام ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفا وقال عبد الرحمن بن الحكم

كان مابين قصراها وخنصرها * منها نقا دمث من عالج هار

فقصراها آخر الاضلاع وهى القصرى والقصيرى فدل بقوله هار على انه اراد تحرك روادفها فكذلك قول البحترى وقضيب على كثيب مهيل انما اراد تحرك اردافه وقد دل على المشى بقوله ياهلالا اوفى با على قضيب فالمعنيان لا يتناقضان لان الشاعر ان ذكر الانهيال فانه اراد الحركة عند المشى وان لم يذكر ذلك وشرط فى الكثيب الندى واصابة الغيث فانما قصد ان ينص على اجتماعه واستمساكه كما قال روبة ميالة مثل الكثيب المنهال ثم قال عزز منه وهو معطى الاسهال صوب السوارى مته بالتهتال فانتظم الوجهان جميعا والذى شرح هذين المعنيين اتم الشرح وابر فى الوصف على كل محسن تميم بن ابى بن مقبل فى قوله يصف مشى النساء

يمشين هيل النقا مالت جوانبه * ينهال حينا وينهاه الثرى حينا

انما اراد بقوله ينهال حينا تحرك اعجازهن اذا مشين كما يتحرك جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى وهذا لاشئ

اوضح منه ومن ذلك قوله

متى اردنا وجدنا من يقصر عن * مسعاته وفقدنا من يدانيه

وقالوا ليس هذا بالجيد لانه وصف يشرك ممدوحه فيه البقال والمراق وباعة الدوآء ولقاط النوى لان هولآء ايضا متى شئنا وجدنا من يقصر عن مسعاتهم وهو الحجام والكناس والنباش والبيت عندى صحيح وغرض البحترى فيه معروف ومثله قول الاعشى

واخو النسا متى يشا يصرمنه * ويعدن اعدآء بعيد وداد

وهو لايشاء بذلك وانما اراد ان ذلك سهل موجود فى النسآ وكذلك قول البحترى متى اردنا وجدنا اى ان ذلك موجود سهل حاصل وان لم يكن هناك ارادة ولا طلب لان تلك حال قد علمت منه وقد صحح المعنى و وكد المدح بقوله و فقدنا من يدانيه والبقال والمراق وامثالهما غير مفقود من يدانيهم فجعل البحترى احد القسمين فى البيت معلقا بالآخر اى ذلك كله سهل موجود ولو اقتصر على النصف الاول كان لعمرى فيه متعلق ومن ذلك قوله

تهاجر ام لا وصل يخلطه * الا تزاور طيفينا اذا هجرا

قالوا والطيفان لا يهجران وانما اراد اذا هجرانا فقال اذا هجرا وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندى من الصواب وهو ان قال انه اراد الا تزاور نفسينا اذا هجرا فاقام الطيف مقام النفس وقال هجرا ولم يقل هجرنا للفظ الطيف وهو مذكر وقال ان النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فقيل له النفس لعمرى يطلق عليها النوم فاذا نامت رات خيالات الاشيآ التى ترى حقائقها فى اليقظة فالنفس غير الخيال وقد تمثل للنفس فى حال يقظتها وان لم ترها العين فليس النفس من الخيال فى شئ قال فاذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم فلم لا اسميهما خيالين وان كان احدها خيالا والآخر نفسا على المجاز الذى تفعله العرب وهذا عندى احتجاج صحيح ويصح عليه معنى البيت ومما نسبوا فيه البحترى الى سوء التقسيم قوله

فكان مجلسه المحجب محفل * وكان خلوته الخفية مشهد

وقالوا انه ليس فى المصراع الثانى من الفائدة الا ما فى الاول لان مجلسه المحجب هى خلوته الخفية وقوله محفل كقوله مشهد والمعنى عندى صحيح لان المجلس

المحجب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم وفى الاكثر الاعم لا يسمى مجلسا الا وفيه قوم الا ترى الى قول مهلهل واستب بعدك يا كليب المجلس اى اهل المجلس على الاستعارة فجعل البحترى مجلسه الذى احتجب فيه مع ما يخصه كالمحفل والمحفل هو المجمع الكثير والخلوة الخفية قد يكون فيها منفردا وقد يكون معه محبوب فيها وبين المجلس والمحفل فرق فكانه اذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده ومن يشاهده يجوز ان يكون واحدا او اثنين والمحفل لا يكون الا عددا كثيرا فهذا ايضا فرق صحيح وانما اراد البحترى انه لا يفعل فى مجلسه المحجب الا ما يفعله فى المحفل ولا يفعل فى خلوته الخفية الا ما يفعله مع من يشاهده ينسبه الى شدة التصاون وكرم السريرة ومثله قوله

امين الله دمت لنا سليما * ومليت السلامة والدوايا

قالوا وقوله دمت لنا سليما هو قوله مليت السلامة والدوايا فان هذا قبيح جدا وليس الامر عندى كذلك بل القسمة صحيحة لانه لما تقدم ذكر السلامة والدوام فى اول البيت قال فى عجزه ومليت السلامة اى اديمت لك تلك السلامة والملاوة بكسر السين وضمها وفتحها ذكر ابن السكيت لها ثلاث لغات وذلك الدوام وليس بمنكر ان يقول دام لك الدوام كما يقول طال طولك وقر قرارك وضل ضلالك وزال زوالك وذلك كلام مستعمل حسن ومعنى مليت اطيلت واديمت مثل تمليت وهو مأخوذ من الملاوة والملواة وهما الدهر والملوان الليل والنهار ومنه قولهم وقفت مليا وقال البحترى

اليوم اطلع للخلافة سعدها * واضاء فينا بدرها المتهلل

لبست جلالة جعفر فكانها * سحر تجلله النهار المقبل

وقالوا هذا معنى فاسد لان السحر طرة النهار واوله وبدء ضيائه والشئ فى مثل هذا لا يتجلل اوله لان التجلل هو ان يشتمل عليه ويغطيه والسحر امام النهار ابدا فلا يجوز ان يتغشاه لانه المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها فهو يدور حول كرة الارض دائما على صورة واحدة لا يتغير وهذا عندى معارضة صحيحة الا ان هذا معنى يتجاوز فى مثله لان البحترى انما اراد تجلله النهار فى راى اعيننا وما نشاهده لان زرقة السحر لما استطار الضوء صار كانه شى غطى عليها وان كانت حقيقتها انها انقلبت الى قطر آخر من الارض

وقال البحترى

لم ار كالهجر لم يرحم معذبه * والوصل لم يعتمد معطاه بالجود

وهذا بعضهم كان يراه سهوا ويقول ان المعذب بالهجر مرحوم فاما الذى يواصله حبيبه فمغبوط ابدا ومحسود وقد قيل فى ذلك من الاشعار ماهو اشهر واكثر فمنها قول يزيد بن الطثريه

اعوذ بجدبك الكريمين ان يرى * لنا حاسد فى غير الوصل مطمعا

وقول ابى صخر الهذلى

فقد تركتنى احسد الطير ان ارى * اليفين منها لم يروعهما النفر

وقول جرير

ويحسد ان يزوركم ورضى * بدون البذل لو علم الحسود

وقول جميل بن معمر

لولا الوشاة لزرتكم ببلادكم * لكن اخاف مقالة الحساد

وقول عتبة بن مجر الحارثى

ايام تهجرنى ليلى واحسدها * واطيب العيش عندى مضغة الحسد

اى هى تهجرنى وانا احسدها اى احسد عليها وليس الامر عندى فى هذا البيت ما تاوله المتاول وظنه وذلك ان البحترى لم يرد بقوله لم اركالهجر لم يرحم معذبه حسن الهجر ولاحسن الوصل فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل يقال اهلك الناس الدينار والدرهم وانما اراد لم اركالهجر لم يرحم معذبه اى كالهجر الذى هذه حاله ولم يرد كل الرجال وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول

وتحسد ان يسرى الينا من الهوى * عقائل يعتاد الهوى باعتيادها

فكم نافسوا فى حرقة اثرفرقة * تجب من انفاسنا وامتدادها

فقد ترى كيف يزعم انه يحسد على الجوى وعلى الحرق فكيف على الوصل

وقال البحترى

اى ليل يبهى بغير نجوم * وسحاب يندى بغير بروق

عابه بعضهم بهذا وقالوا قد يكون برق ولاغيث معه وهو برق الخلب والرجل لم يقل لابرق الا ومعه مطر وانما قال لامطر الا ومعه برق وسمعت من يعيب قوله

كالروض مؤتلفا بحمرة لونه * وبياض زهرته وخضرة عشبه

ويقول النور هو الابيض والزهر هو الاصفر بلا محالة فاذا قلت فى هذا الروض انوار مختلفة جاز ذلك لانك تضم الى البياض غيره فيجرى الرسم على الجميع على سبيل المجاز كما تقول العمران لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والقمران للشمس والقمر وما اشبه ذلك وكذلك اذا قلت فيها ازهار كثيرة جاز ذلك وان كان فيها ابيض واحمر وما سواهما من الصفرة توسعا ومجازا فاذا فصلت مقيدا لان تخص كل جنس باسم كما فعل البحترى لم يجز ان يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص فتقول حينئذ يعجبنى من هذا الموضع صفرة زهره وبياض نوره وحمرة شقائقه ولا يجوز ان تقول يعجبنى حمرة نوره ولا بياض زهره كما قال البحترى لان ذلك خطا فى اللغة على ما استعملته العرب ولعمرى ان هذا هو الاشهر فى كلامهم والاغلب فى الماثور عنهم الا انهم قد جعلوا الزهر نورا والنور زهرا وجاء ذلك فى الشعر قال عدى بن زيد

حتى تهول مستكا له زهر * من التناوير شكل العهن فى اللوم

اللوم جمع لامة ولومة وهى متلع الرجل من الاشلة والولايا تكون موشاة بالعهن والصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الالوان فقال زهر ثم قال من التناوير وقال شكل العهن وقال زهير بن مسعود

متنور غدق الندى قريانه * مثل العهون من الخواطر مقمر

وقال ابو النجم

فالروض قد نور فى حوائه * مختلف الالوان فى اسمائه

نور تخار الشمس فى حمرائه * مكللا بالنور من صفرائه

فقال بالنور من صفرائه وقال حميد بن ثور

كان على اشداقه نور حنوة * اذا هو مد الجيد منه ليطعما

يصف فرخ الحمامة وصفرة اشداقه ويشبهها بصفرة نور الحنوة ولم يقل زهر حنوة وقال الاعشى

وشمول تحسب العين اذا * صفقت وردتها نور الذبح

والذبح نبت ونوره احمر شديد الحمرة ويقال له الذبح وهذا كله دليل على ان هذه الاسماء تستعمل فى هذه الالوان كما ترى على اختلافها وسمعت من يعيب

قولـه

فجدل وموسـد ومرمـل * ومضرج ومضمخ ومخضب

ويقولون ان قوله مضرج ومضمخ ومخضب بمعنى واحد ذكر انه ان اراد رجلا واحدا انه مضرج ومضمخ ومخضب جاز لان لفظة تكون موكدة للاخرى قال ولكنه اراد منهم مضرج ومنهم مخضب كما فهم فى صدر البيت ولعمرى ان البحترى كذلك اراد وليس بمنكر لان التضرج من التضريج وهى الحمرة المشرقة التى ليسب بقانية والمضمخ يريد غلظ الدم وانه فى متانة الطيب الذى يتضمخ به والمخضب اراد ان الدم قد خضبه كما يخضب بالحناء ففى كل لفظة ما ليس فى الاخرى وان كانت الحمرة قد شملت الجميع لان المضرج يجوز ان يكون اراد به طراوة الدم اى منهم حديث عهد بالقتل والمضمخ من قد خثر عليه الدم كان قتله قد تقدم قبل الاخر والمخضب يجوز ان يكون مضى لقتـله يوم واكثر فقد اسـود عليه الدم وهذه معان كلهـا محتملة وقد يجوز ان يريد بقوله مضرج سـائر جسده وبالمضمخ ان السيف اخذ عوارضه وتحت لحيته وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب واراد بالمخضب ان السـيف اخذ فى راسـه ويديه ورجليـه وذلك مواضع الخضاب وقد يكون المضرج المقطع يقال ضرجته اذا قطعته وهذه معان لطيفة وقد يجـوز ان يعتد بهـا والوجه القوى هو الاول وسمعت قوما ينكرون قوله فى وصف الخمر

وفواقع مثـل الـدموع ترددت * فى صحن خد الكاعب الحسناء

ويقولون ان الدموع لا تتردد فى الخد كما يتردد الحباب فى الكاس وانمـا الدمع يجرى ويتتابع والمعنى صحيح ولاعيب فيه لان التردد قد يكون الجولان وقد يكون التتابع والتواتر يقال قد تتابعت كتبى اليك وترددت بمعنى وتواترت كتبى وتتـابعت والكتاب الاول هو غير الثـانى وكذلك قد يكون الرسـول الاول غير الرسول الثـانى وانمـا حسن ان يقال تتابعت وترددت لان كل واحد من الرسـل رسول فلمـا ضمهم اسم واحد حسن استعمال التتابع والتردد وان كانت اشخـاصا متباينة وكل واحد غير الآخر فكذلك الدمع حسن ان يقـال قد تتابعت دموعه على خده وترددت وان كانت كل دمعة غير الاخرى والحبـاب وان جال فى القـدح حائرا فيه فانه ربمـا جرى فيه على جهة واحدة كما يجرى الدمع على جهة واحدة

وهذا من احسن التشبيه واليقه لان الخمر قد يكون منهـا احمر الى التوريد الخفيف كحمرة الخد وخاصة اذا ارقت بالماء كما قال الشاعر

كميت اذا فضت وفى الكاس وردة * لهـا فى عظام الشاربين دبيب

فاذا شبهت الحمرة بالخد وذكر الحباب فمن اليق ماشبه به واحسنه واصحه الدمع لان الدمع قد يقف فى الخد كوقوف الحباب فى صحن الكاس وباب اختلاف حركة الحباب اوحركة الدمع فليس كل شى يشبه بشئ يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منهـا شى وقد يكون انما شبه به ببعض ما فيه لابكله

ورايت ممن عاب قوله

وصبغت اخلاقى برونق خلقه * حتى عدلت اجاجهن بعذبه

وقالوا انمـا كان ينبغى لما ذكر الاجاج والعذب ان يقول مزجت لا ان يقول وصبغت اولما قال وصبغت ان يقول حتى عدلت الوانهن بحسن لونه وليست هذه المعارضة بشئ والمعنى صحيح وذلك انه ليس هناك صبغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافىء المعنيان ولامشروب عذب ولا اجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض ويقوم بعضها مقام بعض لانهـا ليست بحقائق فيمـا استعيرت له الا ترى انك تقول فلان قد شارك فلانا وخالطه ومازجه وانصبغ به بمعنى واحد وان كان بعضها اوكد من بعض ولايكون هناك مداخلة ولا ممازجة لجسم فى جسم ولامخالطة على الحقيقة

وممـا عيب عليـه من التعسف والتعقيـد فى اللفظ قـوله

فتى لم يمل بالنفس منـه عن العلى * الى غيرهـا شئ سـواه مميلهـا

وكان بعض النـاس يرى انه لاحن ويقول انه انمـا اراد فتى لم يمـل بنفسـه عن العلى شئ مميل نفس سواه اى ما يميل النفس عن المعـالى اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضن بالمال ونحو هذا من الاشيا الشاغلة عن السودد فقدم سواه وكنى عن النفس بقوله مميلها بعد ان حذفها قال وذلك غير جائز لانك اذا قلت لن يضرب هامة عمرو فقلت لن يضرب هامة عمر و واحد غير ضاربهـا وجعلت الها فى ضاربها كناية عن الهامة لتقدمها جاز لان البصريين من النحويين يقولون هامة غير ضاربها هو كما انه لوقال شى نفس سواه مميلهـا هو جاز فان فصلت الاضافة واسقطت هامة وقدمت غـيره فقلت لن يضرب

هامة عمرو واحد غير ضاربها لم يجز لاسقاطك الهامة التى كنايتها الهاء فى قولك ضاربها ولا تجوز الكناية عن غير مذكور مثل هــذا فكذلك لا يجوز فى البيت شئ سواه مميلها وهو يريد شئ نفس سواه مميلها لان الهاء فى قوله يميلها كناية عن النفس فلا يجوز اسقاط النفس وهذا لعمرى ان كان البحترى اراده فهو غالط غير انه والله اعلم انما اراد فتى لا يميل بالنفس منه عن العلى الى غيرها شئ بخفض شئ على ان الممدوح هو الذى لم يمل بنفسه عن العلى الى شئ غيرها ثم قال ســواه مميلهــا على الابتداء والخبر اى لكن ســواه من النــاس مميلهــا فاضمر لكن وهــذا سائغ وانشد سيبويه

على الحكم المأتى يوما اذا قضى * قضيته ان لا يجــور ويقصــد

قال اراد ولكنه يقصد فاضمر لكن فلذلك رفع يقصد وعلى انه مستعمل كثير فاش فى الكلام ان تقول زيد لا يقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها وانا لا اجفوك انما بكر الجــافى لك فيكون الكلام مستغنيا بنفســه فلا يحتــاج الى اضمــار فان سلم البيت من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ولست اعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا ومن ردى التجنيس وقبحه

أمنــا ان تصرع عن سمــاح * وللآمال فى يدك اصطراع

يقول امنا ان يغلبك غالب يصرعك عن السماح ويمنعك منه وللامال فى يدك اصطراع اى تنافس وتغالب وازدحام وقوله فى يدك لان العطاء اليها ينسب وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر فقال يصف اخلاق الممدوح

يتصرعن للرجاء دنو ال * مزن والودق خارج خلاله

وهى ههنا اقل قبحا منها فى البيت الاول ولو قال يتدانين للرجاء دنو المزن كان احسن فى اللفظ واوفق من اجل التجنيس ولكن يتصرعن اوكد فى المعنى لانه بمعنى يتساقطن ويتطرحن يريد الاسراع الى الرجاء من غير ترفق ولا توق للانحطاط والوقوع ليــدل على الحرص والشهوة وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر واوقعها موقع الذم فقال

من يتصرع فى اثر مكرمة * فدأبه فى اتبــاعها دأبه

يريد من تسـاقط فى اثر مكرمة اذا سعى لطلبهــا ولم يكن له نهوض فيها فداب الممدوح دابه المعروف المشهور منه اى جده ولحاقه وحرك الداب الثانى وســكن

الاول ومعناهما واحد ويجوز ان يكون اراد فدابه فى اتباعها اى عادته فى اتباعها دابه اى سعيه وحركته وهو اجود    ومن ردى التجنيس ايضا قوله

حييت بل سقيت من معهودة * عهدى غدت مهجورة ما تعهد

ويروى سقيت من معمورة بخاطب الدمن اى عهدى بها معمورة معهودة ومن روى معهودة عهدى اى عهدى بها معهودة فغدت معهودة ما تعهد وقد يكون تعهد من التعهد ويكون قوله ما تعهد اى قد نسيت وهذه شبه تجنيسات ابى تمام

---

## ﴿باب فى اضطراب الاوزان﴾

ومارأيت شيئا مما عيب به ابو تمام الا وجدت فى شعر البحترى مثله الا انه فى شعر ابى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل من ذلك اضطراب الاوزان فى شعر ابى تمام وقد جآ فى شعر البحترى بيت هو عندى اقبح من كل ما عيب به ابو تمام فى هذا الباب وهو قوله

ولما ذا تتبع النفس شيئا * جعل الله الفردوس منه بوآء

وكذلك وجدته فى اكثر النسخ وهذا هذا خارج عن الوزن والبيت من العروض هو البيت الاول من الخفيف سداسى فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

﴿ قلت وجدت على حاشية النسخة التى كتبها الشيخ عبد الكريم اعتراضا على قول المصنف وكذلك وجدته فى اكثر النسخ وهذا نص ما قاله

قوله وكذلك وجدته فى اكثر النسخ لا يلزم من وجدانه فى اكثر النسخ ان تكون لفظة الفردوس فى البيت من نظم البحترى لاحتمال انها من الكاتب الاول وقعت سهوا لان البحترى اجل من ان يجهل اوزان الشعر فلوكان الرواة رووا عنه هذا لامكن التاويل باحتمال السهو منه حال الرواية ثم قوله وجدته فى اكثر النسخ مشكل ومن اين له ان الذى وقف عليه من النسخ كان اكثر النسخ فان الاكثرية لا تعلم الا اذا علم عدد النسخ جميعها الموجودة فى ذلك الوقت وهو امر متعذر وان اراد بالنسخ النسخ التى وصلت اليه وان اكثرها كان هكذا والاقل منها مستقيم فالاعتراض حينئذ لامحل له لظهور ان الغلط من الكاتب الاول لبعض النسخ ﴾ وتقطيعه

ولما ذا * تتبعن * نفس شيئا * جعلل لاهل * فردوس من * هبوآء

فعلاتن * مفاعلن * فاعلاتن * فعلاتن * مستفعلن * فعلاتن

فحذف الف فاعلاتن الاولى والثانية والاخيرة فصارت فعلاتن وسين مستفعلن الاولى فصارت مفاعلن وذلك كله زحاف جائز وزاد فى البيت سببا وهو حرفان الهاء من اسم الله عز وجل واللام من لفظ الفردوس وهو اكفا ولا اعرف مثل هذا البيت وقد رايت فى بعض النسخ جعل الخلد منه بوآء فان يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت جعلالا هل خلد من هبوآء

وقال البحترى

حلأتنا عن حاجة ممنوع * مبتغاها وحاجة ممطوله

وهذا من العروض هو البيت الاول من الخفيف وتقطيعه

حلاتنا عن حاجتن ممنوعن * مبتغاها وحاجتن ممطوله

فاعلاتن * مستفعلن * مفعولن * فاعلاتن * مفاعلن * مفعولن

وكان يجب ان تكون عروض البيت وهى مفعولن الاولى فاعلاتن ولا يجوز فيها مفعولن بل لو كان البيت مصرعا لجاز فى عروضه مفعولن كما جاز فى ضربه وهى القافية وذلك قوله ممطوله واما جعله مفاعلن فى موضع مستفعلن الثانية فى البيت فذلك جائز من الزحاف وقد غير قوم هذه اللفظة فى البيت وهى ممنوع فقالوا بمنوع مبتغاها اى حلاتنا عن حاجة منع مبتغاها من عائق ووال عليها ويكون مبتغاها فى موضع نصب بمنوع وهو محتمل

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى وانا اذكر باذن الله الآن فى هذا الجزء المعانى التى يتفق فيها الطائيان فاوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما اشعر فى ذلك المعنى بعينه فلا تطلبنى ان اتعدى هذا الى ان افصح لك بايهما اشعر عندى على الاطلاق فانى غير فاعل ذلك لانك ان قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد وان طالبت بالعلل والاسباب التى اوجبت التفضيل فقد اخبرتك فيما تقدم بما احاط به علمى من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبيهما فى سرقة معانى الناس وانتحالهما وغلطهما فى المعانى والالفاظ واساءة من اساء منهما فى الطباق والتجنيس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن وغير ذلك مما اوضحته فى مواضعه وبينته وما سيعود ذكره فى الموازنة من هذه الانواع على مايقوده القول وتقتضيه الحجة وما ستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعهما فانى اوقع

الكلام على جميع ذلك وعلى سائر اغراضهما ومعانيهما فى الاشعار التى ارتبها فى الابواب وانبه على الجيد وافضله على الردى وابين الردى وارذله واذكر من علل الجميع ما ينتهى اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى مالم يمكن اخراجه الى البيان ولا اظهاره الى الاحتجاج وهى علة ما لايعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل اهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد ان يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج والا لايتم ذلك وأ كلك بعد ذلك الى اختيارك وما تقضى عليه فطنتك وتمييزك فينبغى ان تنعم النظر فيما يرد عليك ولن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتامل ومن اذا تامل علم ومن اذا علم انصف ثم ان العلم بالشعر انخص بان يدعيه كل احد وان يتعاطاه من ليس من اهله فلم لايدعى احد هولاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وانواعه ولعله قدلابس من امر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك والرقيق واقتنائه والثياب ولبسها والطيب واستعماله اكثر مما عاناه من امر الشعر وروايته فلا يتهم نفسه فى المعرفة بالشعر تهمته اياها بالمعرفة ببعض هذه الاشيا مما عاناه وتناوله وما باله وقد ركب الخيل كثيرا لما راقه من الفرس ملاحة سبيبه واستدارة كفله وبريق شعره وحسن اشرافه وعنقه وموضع نتاجه وصحة قوائمه وسلامة اعضائه وبرائه من العيوب الظاهرة والباطنة وكذلك السيف لما بهره جلاؤه وصقاله وصفاء حديده لم يمض فيه اختياره على غيره من السيوف حتى شاور من يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفرنده ومضاءه وكذلك لما اعجبه من ثوب الوشى حسن طرزه وكثرة صوره وبديع نقوشه واختلاط الوانه لم يبادر الى اعطاء ثمنه حتى رجع الى اهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجودة رقعته وصحة نساجته وخلاص ابريسمه فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه ودقيق معانيه ومايشتمل عليه من مواعظ وادب وحكم وامثال فلم يتوقف عن الحكم له على ماسواه حتى يرجع الى من هو اعلم منه بالفاظه واستواء نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام منه فى مواضعه وكثرة مائه ورونقه اذ كان الشعر لايحكم له بالجودة الا بان تجتمع هذه الخلال فيه الاترى انه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ويكون احدهما افضل من الآخر بفرق لا يعلمه الا اهل

ا لخبرة والدربة الطويلة وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال المتقاربتان فى الوصف السليمتان من كل عيب قد يفرق بينهما العالم بامر الرقيق حتى يجعل فى الثمن بينهما فضلا كبيرا فاذا قيل له وللنخاس من اين فضلت انت هذه الجارية على اختها ومن اين فضلت انت هذا الفرس على صاحبه لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما وانما يعرفه كل واحد منهما بطبعه وكثرة دربته وطول ملابسته فكذلك الشعر قد يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم اهل العلم بصناعة الشعر ايهما اجود ان كان معناهما واحدا اوايهما اجود فى معناه ان كان معناهما مختلفا وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سلام الجمحى وابو على دعبل بن على الخزاعى فى كتابيهما وحكى اسحاق الموصلى قال قال لى المعتصم اخبرنى عن معرفة النغم وبينها لى فقلت ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ولاتوديها الصفة قال وسالنى محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال اختر احدهما فاخترت فقال من اين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان فقلت لو تفاوتا لامكننى التبيين ولكنهما تقاربا وفضله هذا بشى تشهد به الطبيعة ولا يعبرعنه اللسان وقد قيل لخلف الاحمر انك لا تزال ترد الشئ من الشعر وتقول هو ردى والناس يستحسنونه فقال اذا قال لك الصيرفى ان هذا الدرهم زائف فاجهد جهدك ان تنفقه فلاينفعك قول غيره انه جيد فن سبيل من عرف بكثرة النظر فى الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له ان يقضى له بالعلم بالشعر والمعرفة باغراضه وان يسلم له الحكم فيه ويقبل منه ما يقوله ويعمل على تمثاله ولاينازع فى شى من ذلك اذكان من الواجب ان يسلم لاهل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ولا ينازعهم الا من كان مثلهم نظرا فى الخبرة وطول الدربة والملابسة فانه ليس فى وسع كل احد ان يجعلك ايها السائل المعنت والمسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ولايجد الى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده ومن هو اخص الناس به سبيلا ولا ان يأتيك بعلة قاطعة ولاحجة باهرة وان كان ما اعترضت فيه اعتراضا صحيحا وما سألت عنه سؤالا مستقيما لان ما لا يدرك الا على طول الزمان ومرور الايام لا يجوز ان تحيط به فى ساعة من نهار * ثم ان العلم الذى لا يعلم به فى اكثر احواله الا بالرؤية والمشاهدة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة وقد قيل ليس الخبر كالمعاينة وعلة ذلك بينة واضحة ومعلوم ظاهر هى انه لا يمكن ان يشاهدبك جميع المعلومات التى احتواها

وعلم علمه بملابستها فى السنين الطويلة فمن المحال ان يقدر ان يصف لك عشرة الاف جارية اوعشرة الاف سيف مختلفات الاجناس والجواهر فيجعلك مشاهدا لذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ومخبرا لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس فى تلك الساعة وهو انما علم ذلك على مرور الايام وطول الزمان وهذا مجال لا يمكن ولايسوغ ولا يقدر عليه الا خالق الخلق وبارئ البشر وبعد فلم لا تصدق نفسك ايها المدعى وتعرفنا من اين طرأ لك الشعر امن اجل ان عندك خزانة كتب فتشتمل على عدة من دواوين الشعرآء وانت ربما قلبت ذلك اوصحفته او حفظت القصيدة والخمسين منه فان كان ذلك هو الذى قوى ظنك ومكن ثقتك بمعرفتك فلم لا تدعى المعرفة بثياب بدنك ورحل بيتك ونفقاتك فانك دأبا تستعمل ذلك وتستمتع به ولاتخلو من ملابسته كما تخلو فى كثير من الاوقات من ملابسة الشعر ودراسته وانشاده حتى اذا رمت تصريف دينار بدراهم او تصريف دراهم بدينار او ابتياع ثوب او شى من الآلة لم تثق بفهمك ولاعلمك حتى ترجع الى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ولم لما خفت الغبينة فى مالك فاذعنت وسلمت واقررت بقلة المعرفة ولم تخش الغبينة والوكس فى عقلك فتسلم العلم بالشعر الى اهله فان الضرر فى غبن العقل اعظم من الضرر فى غبن المال فان قلت وما العلم بالخيل والبز والرقيق والذهب والفضة التى لم يطبع الانسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طبع على الكلام فكان كل احد متكلما وليس كل احد صيرفيا ولا بزازا ولانخاسا قيل ولا كل احد يكون شاعرا ولاخطيبا ولا منطيقا بليغا ولابارعا ولوكان ذلك كذلك لما رايت احدا يتكلم فيضحك منه فالانسان المتكلم يعلم معانى الفاظ لغته ولايعلم جيدها من رديئها ومتخيرها من مرذولها كما انه يعلم ايضا انواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ويميز بين اجناسها ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه وارفعه من دونه فكما ان المعرفة بكل جنس من هذه صناعة فكذلك المعرفة بكل جنس من اجناس الكلام والخطابة صناعة فاذا رجعت فى المعرفة بتلك الى اهلها فارجع ايضا بهذه الى اهلها وبعد فانى ادلك على ما تنتهى اليه البصيرة والعلم بامر نفسك فى معرفتك بامر هذه الصناعة او الجهل بها وهو ان تنظر ما اجمع عليه الائمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعرآ على بعض فان عرفت علة ذلك

فقد علمت وان لم تعرفها فقد جهلت وذلك بان تتامل شعراوس بن حجر والنابغة الجعدى فتنظر من اين فضلوا اوسا وتنظر فى شعر كثير بن بشر بن ابى حازم وتميم بن ابى مقبل فتنظر من اين فضلوا كثيرا واخبرنى بعض الشيوخ عن ابى العباس ثعلب عن ابى الاعرابى عن المفضل ان سائلا ساله عن الراعى وذى الرمة ايهما اشعر فصاح عليه صيحة منكرة اى لايقاس ذو الرمة بالراعى وكذلك غير المفضل لا يقيسه به ولا يقارب بينهما فتامل ايضا شعرى هذين فانظر من اين وقع التفضيل فهذا الباب اقرب الاشيآ لك الى ان تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده فان علمت من ذلك ما علموه ولاح لك الطريق التى بها قدموا من قدموه واخروا من اخروه فثق حينئذ بنفسك واحكم يستمع حكمك وان لم ينته بك التامل الى علم ذلك فاعلم انك بمعزل عن الصناعة ثم ان كنت شاعرا فلا تظهر شعرك واكتمه كما تكتم سرك فان قلت انك قد انتهى بك التامل الى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والاسباب فان لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودليله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردى ثم انى اقول بعد ذلك لعلك اكرمك الله اغتررت بان شارفت شيا من تقسيمات المنطق وجلا من الكلام والجدال او علمت ابوابا من الحلال والحرام او حفظت صدرا من اللغة او اطلعت على بعض مقاييس العربية وانك لما اخذت بطرف نوع من هذه الانواع بمعاناة ومزاولة ومتصل عناية فتوحدت فيه وميزت ظننت ان كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى وانك متى تعرضت له وامررت قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت عن معانيه هيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيرا لان العلم اى نوع كان لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه والاكباب عليه والجد فيه والحرص على معرفة اسراره وغوامضه ثم قد يتاتى جنس من العلوم لطالبه ويسهل ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر لان كل امرء انما يتيسر له ما فى طبعه قبوله وما فى طاقته تعلمه فينبغى اصلحك الله ان تقف حيث وقف بك وتقنع بما قسم لك ولا تتعدى الى ما ليس من شانك ولا من صناعتك (باب من فضل اباتمام)

وجدت اهل البصرة من اصحاب البحترى ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفه لا يدفعون اباتمام عن لطيف المعانى ودقيقها والابداع والاغراب فيها والاستنباط لها ويقولون انه وان اختل فى بعض مايورده فان الذى يوجد فيها من النادر

المستحسن اكثر مما يوجد من السخيف المسترذل وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة وانه اذا لاح له اخرجه باى لفظ استوى من ضعيف اوقوى وهذا من اعدل كلام سمعته فيه واذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشئ الذى هو ضالة الشعرآء وطلبتهم وهو لطيف المعانى وبهذه الخلة دون ماسواها فضل امرء القيس لان الذى فى شعره من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق مااستعار سائر الشعرآ من الجاهلية والاسلام حتى انه لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من ان تشتمل من ذلك على نوع وانواع ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرء القيس فيها واقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر شعرآء اهل زمانه اذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ولا لالفاظه من الجزالة والقوة ماليس لالفاظهم الا ترى ان العلماء بالشعر انما احتجوا فى تقديمه بان قالوا هو اول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير واول من قال قيد الاوابد واول من قال كذا وقال كذا فهل هذا التقديم له الا لاجل معانيه وقالوا واذا كان قد اضطرب لفظ ابى تمام واختل فى بعض المواضع فهل خلا من ذلك شاعر قديم او محدث هذا الاعشى يخيل لفظه كثيرا ويسفسف دائما ويرق ويضعف ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة والفاظ النابغة فى الغاية من البراعة والحسن عديلا لزهير الذى صرف اهتمامه كله الى تهذيب الفاظه وتقويمها والحقوه بامرء القيس الذى جمع الفضيلتين فجعلوهم طبقة وصار فضل كل واحد من غير الوجه الذى فضل منه صاحبه ولو ان اباتمام حى يخلو من كل فضل جيد البتة او لو انه قال بالفارسية او الهندية

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف فضل عرف العود

اوقال

هى البدر يغنيها تودد وجهها * الى كل من لاقت وان لم تودد

او ما اشبه هذا من بدائعه حتى يفسره لنا مفسر بكلام عربى منثور اما كان هذا يكون شاعرا محسنا باعثا شعرآ زمانه من اهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه فكيف وبدائعه مشهورة ومحاسنه متداولة ولم يات الا بابلغ لفظ

واحسن سبك ( باب فى فضل البحترى ) ووجدت اكثر اصحاب ابى تمام لايدفعون البحترى عن حلو اللفظ وجودة الوصف وحسن الديباجة وكثرة الماء فانه اقرب ماخذا واسلم طريقا من ابى تمام ويحكمون مع هذا بان ابا تمام اشعر منه وقد شاهدت وخاطبت منهم على ذلك عددا كثيرا وهذا رجل مايراعيه من امر الشعر دقيق المعانى ودقيق المعانى موجود فى كلامه وكل لغة وليس الشعر عند اهل العلم به الا حسن التاتى وقرب الماخذ واختيار الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحترى قالوا وهذا اصل يحتاج اليه الشاعر والخطيب صاحب النثر لان الشعر اجوده ابلغه والبلاغة انما هى اصابة المعنى وادراك الغرض بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف لاتبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ولاتنقص نقصانا يقف دون الغاية وذلك كما قال البحترى *

والشعر لمح تكفى اشارته * وليس بالهذر طولت خطبه

وكما قال ايضا

ومعان لو فصلتها القوافى * هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ الغريب فادركن به غاية المرام البعيد

فان اتفق مع هذا معنى لطيف او حكمة غريبة او ادب حسن فذلك زائد فى بهاء الكلام وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه قالوا واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان او حكمة الهند او ادب الفرس ويكون اكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب وان اتفق فى تضاعيف ذلك شئ من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فان شئت دعوناك حكيما اوسميناك فيلسوفا ولكن لا نسميك شاعرا ولاندعوك بليغا لان طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فان سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء وينبغى ان تعلم ان سوء التاليف وردى اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه الى تأمل وهذا

مذهب ابى تمام فى عظم شعره وحسن التاليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسنا ورونقا حتى كانه قد احدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحترى ولذلك قال الناس لشعره ديباجة ولم يقولوا ذلك فى شعر ابى تمام واذا جاءَ لطيف المعانى فى غير غرابة ولاسبك جيد ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق او نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه * وانا اجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ اهل العلم بالشعر زعموا ان صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم الا بأربعة اشياءَ جودة الآلة واصابة الغرض المقصود وصحة التاليف والانتهاءَ الى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهذه الخلال الاربع ليست فى الصناعات وحدها بل هى موجودة فى جميع الحيوان والنبات * ذكرت الاوائل ان كل محدث مصنوع محتاج الى اربعة اشياءَ علة هيولانية وهى الاصل وعلة صورية وعلة فاعلة وعلة تمامية فاما الهيولى فانهم يعنون الطينة التى يبتدعها البارى تبارك وتعالى ويخترعها ليصور ماشاءَ تصويره من رجل او فرس او جمل او غيرها من الحيوان او برة او كرمة او نخلة او سدرة او غيرها من سائر انواع النبات والعلة الفاعلة هى تأليف البارى جل جلاله لتلك الصورة والعلة التمامية هو ان يتمها تعالى ذكره ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علمه الله عز وجل اياها لاتستقيم له وتجود الا بهذه الاربعة وهى آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار وفضة الصائغ وآجر البناءَ والفاظ الشاعر والخطيب وهذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الاصل ثم اصابة الغرض فيها بقصد الصانع صنعته وهى العلة الصورية التى ذكرتها ثم صحة التاليف حتى لايقع فيه خلل ولا اضطراب وهى العلة الفاعلة ثم ان ينتهى الصانع الى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهى العلة التمامية فهذا قول جامع لكل الصناعات المخلوقات فان اتفق الان لكل صانع بعد هذه الدعائم الاربع ان يحدث فى صنعته معنى لطيفا مستغربا كما قلنا فى الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد فى حسن صنعته وجودتها والا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها* وقد ذكر برزجمهر فضائل الكلام ورذائله وبعض ذلك دليل فى الشعر فقال ان فضائل الكلام خمس ان نقص منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها وهى ان

يكون الكلام صدقا وان يوقع موقع الانتفاع به وان يتكلم به فى حينه وان يحسن تاليفه وان يستعمل منه مقدار الحاجة قال ورذائله بالضد فانه ان كان صدقا ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه وان كان صدقا واوقع موقع الانتفاع به وتكلم فى حينه ولم يحسن تاليفه لم يستقر فى قلب مستمعه وبطل فضل الخلال الثلاث منه وان كان صدقا ووقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه واحسن تاليفه ثم استعمل منه فوق الحاجة خرج الى الهذر او نقص عن التمام صار مبتورا وسقط منه فضل الخلال كلها وهذا انما اراد به بزرجمهر الكلام المنثور الذى يخاطب به الملوك ويقدمه المتكلم امام حاجته والشاعر لايطالب بان يكون قوله صدقا ولا ان يوقعه موقع الانتفاع به لانه قد يقصد الى انه يوقعه موقع الضرر ولا ان يجعل له وقتا دون وقت وبقيت الخلتان الاخريان واجبتان فى شعر كل شاعر ان يحسن تاليفه ولا يزيد فيه شيئا على قدر حاجته فصحة التاليف فى الشعر وفى كل صناعة هى اقوى دعامة بعد صحة المعنى وكلما كان اصح تاليفا كان اقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تاليفه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم ﴾

وقد انتهيت الآن الى الموازنة وكان الاحسن ان اوازن بين البيتين او القطعتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى اليها المقصد وهى المرمى والغرض وبالله استعين على مجاهدة النفس ومخالفة الهوى وترك التحامل فانه جل اسمه حسبي ونعم الوكيل وانا ابتدئ باذن الله من ذلك بما افتتحا به القول من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والاطلال والسلام عليها وتعفية الدهور والازمان والرياح والامطار اياها والدعاء بالسقيا لها والبكا فيها وذكر استعجامها عن جواب سائلها وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش وفى تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها ونحو هذا مما يتصل به من اوصافها ونعوتها واقدم من ذلك ابتداآت قصائدهم فى هذا المعانى ان شاء الله تعالى

الابتداآت بذكر الوقوف على الديار قال ابو تمام

ما فى وقوفك ساعة من باس * تقضى حقوق الاربع الادراس

وهذا ابتدآء جيد صالح وقوله الادراس جمع دارس وقليل مايجمع فاعل على افعال ومثله شاهد واشهاد وماجد وامجاد وصاحب واصحاب

وقال ايضا

قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد * وان هى لم تسمع لنشدان ناشد

اراد لنشدان الناشد الذى يقول اين اهلك يادار كما ينشد الناشد الضالة اذا طلبها وقال ايضا

قف بالطلول الدارسات علاثا * اضحت حبال قطينهن رثاثا

علاثة اسم صاحبه اراد قف ياعلاثه وهذان ابتداآن صالحان

وقال ايضا

قف نؤبن كناس هذا الغزال * ان فيها لمسرحا للمقال

التابين مدح الهالك والكناس هنا الربع وانما يريد الخيمة او البيت من بيوتهم سماه كناسا لانه جعل المرأة غزالا اى قف بنا نند به فان المقال يتسع فيه وهذا ايضا بيت جيد ومعنى حسن مستقيم وقال

ليس الوقوف بكف شوقك فانزل * وابلل غليلك بالمدامع يبلل

وهذا معنى ظريف وقد جاء مثله فى الشعر قال الاصم الباهلى واسمه عبد الله ابن الحجاج ولا اعرف غيره واظن ابا تمام عثر به واحتذى عليه لانه كان مولعا بغرائب الالفاظ والمعانى

انتزل اليوم بالاطلال ام تقف * لا بل قف العيس حتى يمضى السلف

السلف المتقدمون وانما قال ذلك لان الوقوف على الديار انما هو وقوف المطى ولايكادون يذكرون نزولا وانشد منشد قول كثير وكثير يسمع

وقضين ماقضين ثم تركنني * بفيفا جريبا قاعدا انلدد

فقال كثير انا ما قلت كذا اترانى قاعدا اصنع ماذا قيل فجالسا قال ولا هذا اجالسا كنت ابول قيل فما قلت قال واقفا يريد واقفا على مطيته فهذا هو المعروف من عاداتهم وقد قال كثير

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

والقلوص لا يعقلها راكبها الا اذا نزل عنها والعقل فوق الركبة

وقال البحترى

ما على الركب من وقوف الركاب * فى مغانى الصبا ورسم التصابى

التصابى التفاعل من صبا يصبو اذا اشتاق واذا فعل فعل الصبا

وقال ايضا

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا * مقصرا عن ملامتى او مطيلا

وهذان ابتدآان فى غاية الجودة وقال

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان شفاك سوالها

وهذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال ادنى خطاها كلالها اى قارب من خطوها الكلال وهذا كانه لم يقف لسوال الديار التى تعرض لان يشفيه وانما وقف لاعياء المطى والجيد قوله عنترة

فوقفت فيها ناقتى وكانها * فدن لاقضى حاجة المتلوم

فانه لما اراد ذكر الوقوف احتاط بان شبه ناقته بالفدن وهو القصر ليعلم انه لم يقفها ليريحها وقد كشف ذو الرمة هذا المعنى واحسن فيه واجاد فقال

انخت بها الوجنا لا من سآمة * لثنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انختها لان اصلى لا من سآمة هكذا فسروه وقوله لثنتين يعنى التين يقصرهما المسافر بين اثنين جا يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل انما قال ادنى خطاها كلالها ليعلم انه قصد الدار من شقة بعيدة قيل العرب لاتقصد الديار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فان كانت على سنن الطريق قال الذى له ارب فى الوقوف لصاحبه او اصحابه قف وقفا وقفوا وان لم تكن على سنن الطريق قال عوجا وعرجا وعوجوا وعرجوا كما قال امرء القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكى الديار كما بكى ابن حذام

واذا عرجوا كان التعريج اشق على الركب والركاب لان لها فى الوقوف حيث انتهت راحة والتعريج فيه زيادة فى تعبها وكلالها وان قلت المسافة كما قال ابو تمام

وما بك اركابى ممن الرشد مركبا * الا انما حاولت رشد الركائب

لان هذا القول منه دل على التعريج والتردد فى الرسوم وان اصحابه ارادوا ان يستمر فى السير ولا يترفق فى الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر وان اكسبها راحة ما فى

الوقوف فقال له ابو تمام انما حاولت رشد الركائب لا رشدى فاما الاصمعى فانه يرى التعريج ايضا وقوف لاعدول قال ابو حاتم قلت له ما معنى عرج قال وقف فقلت يقال عرج اذا عدل فقال لا وانشد بيت ذى الرمة

يا حادبى بنت فضاض اما لكما * حتى نكلمها هم بتعريج

اى هم بوقوف وهذا لا يمنع ان يكون هم بعدول ونفس الاشتقاق يدل على العدول والله اعلم وقال كثير يصف السيل

فطورا يسيل على قصده * وطورا يعرج الا يسيلا

فلو كان هناك قصدا الى الدار من جماعتهم ومنهم وحده لما لاموه ولا عنفوه على احتباسه واطالته ولا استعجلوه وهو دائبا يسألهم التلوم عليه والتوقف معه هذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار ولهم فيها من الاشعار ما هو اشهر واكثر من ان احتاج الى ذكره وتلك سبيل سائر المحدثين وطريقة الطائيين ما عدلا عنها ولا خرجا الى غيرها الا ترى الى قول ابى تمام

مافى وقوفك ساعة من باس * نقضى ذمام الاربع الادراس (تقدم برواية تقضى حقوق)

كيف سأل صاحبه ان يقف ساعة ثم قال بعد بيت آخر

لا يسعد المشتاق وسنان الهوى * يبس المدامع بارد الانفاس

وقوله

لا تمنعنى وقفة اشفى بها * داء الفراق فانها ما عون

وقال البحترى

يا وهب هب لاخيك وقفة مسعد * يعطى الاسى من دمعه المبذول

وقال ايضا

خليلى ووقفة فى الرسوم * يخل من بعض بثه المكتوم

ثم انا ما علمنا احدا قصد دارا عفت من شقة بعيدة واحدا كان او فى جماعة للتسليم عليها والمسألة لها ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا وان هذا ما سمع به ولا هو من اغراضها وليس فيه جدوى ولا يودى الى فائدة لان المحبوب ان كان حيا موجودا فقصد رباعه ومواطنه التى هو قاطنها والالمام به فيها اولى واحرى وان كان ميتا فالالمام بناحية الارض التى فيها حفرته اولى واحرى وعلى انهم لايكادون يزورون القبور وانما وقفوا على الديار وعرجوا عليها عند الاجتياز بها

والاقتراب منها لانهم تذكروا عند مشارفتها اوطارهم فيها فنازعتهم نفوسهم الى الوقوف عليها والتلوم بها وراوا ان ذلك من كرم العهد وحسن الوفاء الا ترى الى قول ابى تمام

اواطن الفتيان نطوى لم نزر * شوقا ولم نندب لهن صعيدا

ويروى لم نزر شعفا اى هذه كيف نطوى الرسوم والدمن التى هى مواقف اهل الفتوة يريد الكرام ولم نزر حزنا لها ولاسهلا لانه اراد بالشعف ما ارتفع من الارض وعلا واراد بالصعيد ما اطمان من الارض وسفل والصعيد انما هو وجه الارض الذى فيه التراب واكثر مايكون فيما اطمأن من الارض لا فيما علا فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروة وان طيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسو العهد وما احسن ما قال ابو نواس

واذا مررت على الديار مسلما * فلغير دار امية الهجران

على طريقة القوم وقال البحترى يخاطب نفسه او صاحبا معه

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

فمن زعم ان البحترى بهذا القول كان قاصدا للدار وغير مجتاز احتاج الى دليل من لفظ البيت يدل عليه ولاسبيل له الى ذلك فان قيل لم لايكون للمطية حق على من بلغته منازل الاحباب يوجب ان يكرمها و يرمحها كما قال ابو نواس

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الحصى * فلها علينا حرمة و ذمام

قيل هذا اصل آخر طريقه غير طريق الوقوف على الديار ولايقاس اصل على اصل وانما يقاس على الاصل فروعه التى تتفرع منه وهذا الشرط فى كل علم وقال ابونواس فى موضع آخر يخاطب ناقته ايضا

فلم اجعلك للغربان نحلا * ولم اقل اشرقى بدم الوتين

يريد قول الشماخ والشماخ انما قال

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

لانه راى ناقته قد شفها السير وهزلها وانضاها حتى دبرت وذلك قوله

اليك بعثت راحلتى تشكى * كلوما بعد محفدها السمين

فيقول اذا بلغتنى عرابة فلا ابالى ان تهلكى وهذا ليس بدعاء عليها وانما اراد انك

اذا بلغتنيه فقد بلغت الغنى وادركت الغرض منك فهذا معنى وقول ابى نواس معنى آخر وليس بضد لقول الشماخ وانما يضاده قول المراة التى قالت يارسول الله نذرت ان بلغتنى ناقتى هذه اليك ان انحرها فقال رسول الله صلى عليه وسلم لبئس ما جزيتها لان هذه قصدت ان جعلت جزاء التبليغ النحر فهذان المعنيان يتضادان وقول الشماخ خارج عنها فانه اصل ثالث والوجه الذى جاء به البحترى فى الوقوف على الديار وتحرز منه عنترة وذو الرمة وجهد غير هذه الوجوه وطريقه غير هذه الطرق ولم اقل انه خطأ وانما قلت ان المعنى غير جيد فان التمست العذر للبحترى قلنا انه وصف حقيقة امر العيس عند الوصول الى الدار وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى ان يصفوا الشئ على ماهو وعلى ما شوهد من غير اعتماد لاغراب ولا ابداع وانما وقع فيه مثل هذا الخلل لقلة التجوز وسترى للبحترى وغيره فى هذا الكتاب من هذا النوع فى مواضعه ما هو اجود من كل جيد ان شا الله وقال البحترى

عرج بذى سلم فثم المنزل * فيقول صب ما اراد ويفعل

وهذا ابتدآ جيد وقد رواه قوم ليقول صب ما اراد ويفعل والنصب اجود والرفع له وجه والمتاخرون لا يسلون من اللحن وهو فى اشعارهم كثير جدا وقال

كم من وقوف على الاطلال والدمن * لم يشف من برحا الشوق ذا شجن

وهذا ايضا ابتدآ جيد وقال ايضا

استوقف الركب فى اطلالهم وقفا * وان اجد بلى ماثورها وعفا

يقال اجد فى امره من الانكماش وجد وهذا ابتدآ صالح

قفا فى مغانى الدار نسال طلولها * عن النفر اللائين كانوا حلولها

وهذا الابتدآ ليس بالجيد من اجل قوله اللائين لانها لفظة ليست بالحلوة وليست مشهورة فهذا ما ابتدأ به من ذكر الوقوف واجعلهما فيه متكافئين من اجل براعة بيتى البحترى الاولين وانهما اجود من سائر ابيات ابى تمام ولان البحترى فى الباب القصير الذى ذكرته له وليس لابى تمام مثله

## التسليم على الديار قال ابو تمام

دمن الم بها فقال سلام * كم حل عقدة صبره الالمام

هذا المصراع الاول فى غاية الجودة والبراعة والحسن والحلاوة وعجز البيت ايضا

جيد بالغ وقال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم * عليه وسم من الايام والقدم

وهذا ابتدآ ليس بالجيد لانه جا بالتجنيس فى ثلاثة الفاظ وانما يحسن اذا كان بلفظين وقد جاء مثله فى اشعار الناس والردى لا يؤتم به وقال الابيرد بن المعذل الرياحى

جزعت ولم تجزع من البين مجزعا * وكنت بذكر الجعفرية مولعا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت اول قصيدة لامرء القيس على هذا الوزن وذلك باطل ومايبنغى للمتاخر ان يحتذى الاخذ الا للجيد المختار لسعة مجاله وكثرة امثلته وقال البحترى

هذى المعاهد من سليم فسلم * واسأل وان وجمت ولم تتكلم

وقال ايضا

أمحلتى سلمى بكاظمة اسلما * وتعلما ان الهوى ما هجتما

وهذان ابتدآان جيدان وقال ايضا

حييتما من مربع ومصيف * كانا محلى زينب وصدوف

وهذا ابتدآ صالح وقال ايضا

ميلوا الى الدار من ليلى نحييها * نعم ونسالها عن بعض اهليها

وهذا البيت ردى لقوله نعم وليس بالمعنى اليها حاجة جآ بها حشوا ومن الحشو ما لا يقبح ونعم ههنا قبيحة وقد اولع بها كثير بن عبد الرحمن فى ابتدآآته فقال

امن آل عمرو بالحريق ديار * نعم دارسات قد عفون قفار

وقال

امن آل سلمى الركب ام انت سائل * نعم والمغانى قد درسن موائل

وقال

اهاجتك ليلى اذ اجد رحيلها * نعم وثنت لما احزألت حمولها

احزالت انتصبت وارتفعت وقال

ابائنة سعدى نعم ستبين * كما انبت من حبل القرين قرين

وهى فى كل هذه الابيات رديئة وموضعها من هذا البيت الاخير اصلح لان اسقاطها من الجميع يحسن ولا يحتاج الاستفهام فيها الى جواب الا هذا البيت فان الاستفهام

فيه يقتضى ان يكون نعم جوابا له ومع هـذا فليس لهـا حلاوة ولاحسن ولكثير استفهامات لاجواب لها على عادات الشعرآء المحسنين ومنها قوله

امن ال قيلة بالدخول رسوم * وبحومل طلل يلوح قديم

وكل ابيات كثير اجود من بيت البحترى لان نعم فيهـا جواب وهى فى بيت البحترى حشو وقال البحترى فى بيته نحيها والاجود نحيها لانه جواب الامر وقد يكون نحيها رفعا على الحـال والجواب ههنا اجود من الحال فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار وابو تمام عندى فى قوله دمن الم بها فقـال سلام اشعر من البحترى فى سـائر ابياته وما سمعت من التسليم على الديار احسن من قول ابى نواس

واذا مررت على الديار مسلمـا * فلغـير دار امية الهجران

﴿ ما ابتدأا به من ذكر تعفية الدهور والازمان للديار قال ابو تمام ﴾

لقد اخذت من دار ماوية الحقب * انحل المغانى للبلى هى ام نهب

اراد انحل المغـانى للبلى لخذف التنوين والحقب الدهر وجمعـه احقـاب والحقب السنون واحدتها حقبة وقال لقد اخذت فانث الفعل والحقب مذكر واظنه اراد ايام الدهر ولياليه ويقال الحقب ثمانون سـنة فعلى هذا قال اخذت وقال ايضا

قد نابت الجزع من ماوية النوب * واستحقبت جدة من ربعها الحقب

قوله واستحقبت اى جعلت الحقب وهى السنون جدة الربع فى حقيبتها والحقيبة ما يحتقبه الراكب وهو وعآء يجعله خلفه اذا ركب ويحرز فيه متاعه وزاده وهذه استعارة حسنة وانمـا يريد ان الحقب سلبت الربع جدته وذهبت بها

وقال البحترى

ارسـوم دار ام سـطور كتاب * درست بشـاشتهـا على الاحقـاب

اى على مر السنين وهذا البيت ابرع من بيتى ابى تمام لفظا واجود سبكا واكثر مآء ورونقا وهو من الابتدآآت النـادرة الجيدة والمشبهة لكلام الاوائل فهو فيـه اشعر من ابى تمام وفى اقوآء الديار وتعفيها قال ابو تمام

طلل الجميع لقد عفوت حميدا * وكفى على رزئى بذاك شهيدا

اراد وكفى بانه مضى حميدا شاهدا على انى رزئت وكان وجه الكلام ان يقول وكفى رزئى شـاهدا على انه مضى حميدا وقد استقصيت الكلام فى هذا فيمـا تقدم من غلط ابى تمام وقال ايضا

اجل ايها الربع الذى بان آهله * لقد ادركت فيك النوى ما تحاوله

وهذا ايضا ابتدآ جيد وقال ايضا

شهدت لقد اقوت مغانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد

وهذا بيت ردى معيب لان الوشيعة والوشائع هو الغزل الملفوف من اللحمة التى يداخلها الناسج بين السدى والبرد الذى تمت نساجته ليس فيه شى يسمى وشيعة ولا وشائع وقد ذكرت هذا فى اغاليطه وقال البحترى

تلك الديار ودارسات طلولها * طوع الخطوب دقيقها وجليلها

وقال ايضا

يامغانى الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عندى ملوما

وقال ايضا

لم يبق فى تلك الرسوم بمنعج * اما سالت معرج لمعرج

وقال ايضا

هلا سالت بجو ثهمد * طللا لمية قد تأبد

هذه كلها ابتدآات جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى وابيات ابى تمام ايضا رائعة ولكن فيها ما ذكرته * تعفية الرياح للديار قال ابو تمام *

عفت اربع الحلات للاربع الملد * لكل هضيم الكشح مغربة القد

الحلات جمع حلة وهو الموضع الذى يحلونه يقال حلة ومحلة والاربع الملد يريد اربع نسآء ملد من قولهم غصن املود وهو الناعم واملود لا يجمع على ملد وانما هو جمع املد وهضيم الكشح يريد ضامرة البطن وقوله مغربة القد يريد اغرب قدها اى لها قد غريب فى الحسن وانما اراد عفت اربع حلال اى مواطن لاربع نسوة وهذا تكلف شديد وقد جآت بلفظ غير حسن ولاجميل وكذلك مغربة القد من قول الشعرآء المتاخرين غريب الحسن وغريب القد والكلمة اذا لم يوت بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت وقوم يروونه اربع الحلات جمع ربع وذلك غلط وانما اراد الرجل العدد اى عفت اربع لاربع ولا اعلم لابى تمام ابتدآء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت وهو ردى اللفظ قبيح النسج وقال البحترى

بين الشقيقة فاللوى فالاجرع * دمن حبسن على الرياح الاربع

وهذا من ابتدآاته الحسنة النادرة واحسانه فيه الاحسان المشهور وقوله بين الشقيقة

فاللوى كقول امرء القيس بين الدخول فحومل والاصمعى يرويه بالواو واهل العربية يقولون الدخول مواضع متفرقة   وقال البحترى

اصبا الاصائل ان برقة منشد * تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

مازلت اسمع الشيوخ من اهل العلم بالشعر يقولون انهم ما سمعوا لمتقدم ولا متاخر فى هذا المعنى احسن من هذا البيت ولا ابرع لفظا ولا اكثر ماء ولا رونقا ولا الطف معنى   وقال البحترى

لا ارى بالبراق رسما نجيب * اسكنت آية الصبا والجنوب

وهذا ابتداء صالح

﴿ وفى البكاء على الديار قال ابو تمام ﴾

على مثلها من اربع وملاعب * اذيلت مصونات الدموع السواكب

قد انكر مصونات الدموع السواكب بعضهم وقال كيف يكون من السواكب ماهو مصون وانما اراد ابو تمام مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ولفظه يحتمل ما اراده والبيت جيد لفظا ومعنى ونظما   وقال ايضا

اما الرسوم فقد اذكرن ما سلفا * فلا تكفن من شانيك او يكفا

هذا ابتدأ حسن   وقال ايضا

ازعمت ان الربع ليس يفهم * والدمع فى دمن عفت لا يسجم

وقال ايضا

قرى دارهم منى الدموع السوافك * وان عاد صبحى بعدهم وهو حالك

وهذان ابتدآن جيدان   وقال ايضا

بجرع اسى قد اقفر الجرع الفرد * ودع حسى عين يحتلب ماءه الوجد

الجرع والاجرع والجرعا ارض ذات رمل وحجارة مختلطة خشنة وقد قيل رملة سهلة والحسى ماء المطر يغمض فى الرمل قليلا ثم يصير الى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب وجمعه احساء   وقال البحترى

متى لاح برق او بدا طلل قفر * جرى مستهل لا بكى ولا نزر

وهذا بيت حسبك به جودة وبراعة وفصاحة ونحوه قوله

لها منزل بين الدخول فتوضح * متى تره عين المتيم تسفح

هذا مثل قول امرء القيس بين الدخول فحومل وهذا ايضا بيت جيد وليس كالاول

وقال ايضا

افى كل دار منك عين ترقرق * وقلب على طول التذكر يخفق

وهذا ايضا غاية فى جودته و براعته وكثرة مائه وقال ايضا

الما يكف فى طللى زرود * بكاؤك دارس الدمن الهمود

وقال ايضا

اعن سفه يوم الابيرق ام حلم * وقوف بربع او بكاء على رسم

هذه الابيات الثلاثة كانه منكر على نفسه البكا وقد احسن فيما اعتمد من ذلك واجاد وهو ضد ما ذهب اليه ابو تمام فى ابياته

وقال البحترى وهو حسن جدا

وقوفك فى اطلالهم وسؤالها * يريك غروب الدمع كيف انهمالها

وقال

عند العقيق فمائلات دياره * شجن يزيد الصب فى استعباره

وقال

يابى الخلى بكاء المنزل الخالى * والنوح فى دمن اقوت واطلال

وقال

ابكاء فى الدار بعد الدار * وسلوا عن زينب بنوار

وهذا من البحترى وصف فى البكاء على الديار حسن ومعان فيه مختلفة عجيبة كلها جيد نادر وابوتمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها والبحترى فى هذا الباب اشعر

﴿ سؤال الديار واستعجامها عن الجواب قال ابوتمام ﴾

الدار ناطقة وليست تنطق * لدثورها ان الجديد سيخلق

وقال فى مثل معناه

وابى المنازل انها لشجون * وعلى العجومة انها لتبين

وهذا معنى شائع على السن العرب ان تقول لمن يعقل وابيك لقد اجلت وكثرت على الالسن حتى صمدوا بها الى ما لا يعقل قسما وغير قسم وكذلك قالوا لامك الهبل ولابيك الويل ثم قالوا ذلك لما لا ام له وقال محرز بن المعكبر يرثى بسطام بن قيس

لام الارض ويل ما اجنت * بحيث اضر بالحسن السبيل

فجعل للارض اما وقد قال البحترى

لعمر ابى الايام ماجار حكمها * على ولا اعطيتها ثنى مقولى

فجعل للايام ابا وقوله شجون جمع شجن وما اقل مايجمع فعل على فعول قالوا اسد واسود وليس هو بابه والشجن الحاجة والشجن الهم والحزن وقال ابو تمام

من سجايا الطلول ان لاتجيبا * فصواب من مقلتى ان تصوبا

هذا البيت صدره جيد وقوله فصواب ليست بالجيدة فى هذا الموضع وانما اراد التجنيس وقال البحترى

لا دمنة بلوى خبت ولاطلل * ، ترد قولا على ذى لوعة يسل

وهذا ابتدا جيد لفظه ومعناه وقال

ضيف يخاطب مفحمات طلول * من سائل باك ومن مسئول

اراد انه باك والطلول باكية وهذا ابتدا صالح وقال

عزمت على المنازل ان تبينا * وان دمن بلين كما بلينا

اى عزمت عليها ان توضح لنا ويكون تبيين بما تفصح هى فى نفسها يقال بان الشئ وابان وقوله وان دمن بلين كما بلينا اى عزمت عليها ان تبين لنا القول وان كانت قد بليت كما بلينا نحن وهذا بيت ردى العجز وقال

اقم علها ان ترجع القول او على * اخلف فيها بعض مابى من الخبل

وهذا ايضا بيت ردى الصدر لفظه ومعناه لانه اراد ان يقول قف لعلها ان ترجع القول او لعلى فقال اقم مكان قف وليست هذه اللفظة نائبة عن تلك لان الاقامة ليست من الوقوف فى شئ والدليل على انه اراد ان يقول قف قوله بعد هذا

فان لم تقف من اجل نفسك ساعة * فقفها على تلك المعالم من اجلى

وقال علها وعلى وهما وان كانتا لفظتين عربيتين فلعل احسن من عل وابرع وزاد فى تهجينها انه كررها فى مصراع وقوله اخلف فيها بعض مابى من الخبل عجز حسن اى اطرحه عنى اى لعلى ابكى فاخفف بعض مابى من البكا والى هذا المعنى ذهب وان لم يكن البكا فى البيت فقد ذكره من بعد وقال

بالله يا ربع لما زدت تبيانا * فقلت لى الحى لما بان لم بانا

وقال ايضا

هب الدار ردت رجع ما انت سائله * وابدى الجواب الربع عما تسائله

وهذا بيت غير جيد لان عجز البيت مثل صدره سوآء فى المعنى وكانه بنى الامر على ان الدار غير الربع وان السؤال ان وقع وقع فى محلين اثنين والبيت ايضا لايقوم بنفسه لانه جعله معلقا بالبيت الثانى وهو قوله

افى ذاك بره من جوى الهب الحشا * توقده واستغزر الدمع جائله

وقال

هل الربع قد امست خلآء منازله * مجيب صداه او يخبر سائله

وهذا ابتداء صالح وقال ايضا

عفت دمن بالابرقين خوالى * ترد سلامى او تجيب سؤالى

وهذا ابتدآ حسن فهذا ما وجدته لهما من الابتدآات فى الباب وليس لهما فيه بيت بارع والجيد للبحترى قوله * لادمنة بلوى خبت ولاطلل * وقوله * عفت دمن بالابرقين خوالى * والجيد لابى تمام بيتاه الاولان ومعناهما غير معنى هذين البيتين وبيتا البحترى اجود لفظا واصح سبكا وهما فى هذا الباب متكافئان

﴿ ما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب معناه قال ابو تمام ﴾

اطلالهم سلبت دماها الهيفا * واستبدلت وحشا بهن عكوفا

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه وقال ايضا

الطلال هند ساء ما اعتضت من هند * اقايضت حور العين بالعين والربد

العين بقر الوحش والظباء والربد النعام وقايضت ابدلت وهذا بيت ليس بالجيد ولا بالردى وقال ايضا

ارامة كنت مألف كل ريم * لو استمتعت بالانس القديم

وهذا بيت جيد وقال البحترى

ربع خلا من بدره مغناه * ورعت به عين المها الاشباه

وهذا بيت حسن حلو وقال البحترى ايضا

عهدى بربعك مأنوسا ملاعبه * اشباه آرامه حسنا كواعبه

وهذا بيت فى غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه وقال ايضا

عهدى بربعك مثلا آرامه * يجلى بضوء خدودهن ظلامه

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى ولفظ الاول احلى وابرع وقوله يجلى بضوء خدودهن ظلامه حسن جدا * وقال ايضا

ارى بين ملتف الاراك منازلا * موائل لوكانت مهاها موائلا

وهذا ايضا بيت من ابرع ابتدآ ته فهذا ما وجدته لهما فى هذا النحو والبحترى فى ابياته اشعر من ابى تمام فى ابياته

﴿ وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها قال ابو تمام ﴾

اقشيب ربعهم اراك دريسا * وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

وهذا بيت من جيد الابتدآات وبارعها وقال البحترى

مغانى سليمى بالعقيق ودورها * اجد الشجى اخلاقها ودثورها

وهذا بيت فى جودة بيت ابى تمام وبراعته وقال

أعمر المغانى يوم صحرآء اربد * لقد هجت وجدا على ذى توجد

وقال ايضا

ما جوخبت وان نأت ظعنه * تاركنا اوتشوقنا دمنه

وقال ايضا

كلما شاقت الرسوم المحيله * هجت من مشوق صدر غليله

وهذه كلها ابتدآات جياد وهى مع بيت ابى تمام متكافئة

﴿ الدعآء للدار بالسقيا قال ابو تمام ﴾

اسق طاولهم اجش هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم

وقال ايضا

سق عهد الحمى صوب العهاد * وروى حاضر منهم وبادى

وهذان ابتدآان جيدان وقال ايضا

يا برق طالع منزلا بالابرق * واحد السحاب له حدآء الاينق

قوله طالع لفظة رديئة فى هذا الموضع قبيحة وقوله واحد السحاب له حدآء الاينق لفظه ومعناه جيدان فصيحان وانما خص البرق لانه دليل الغيث وقال ايضا

ايها البرق بت باعلى البراق * واغد فيها بوابل غيداق

البراق جمع برقة مثل برمة وبرام وهى الارض ذات الطين والحصى تكون ذات الوان مختلفة وهذا بيت جيد ووصله ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نانى به

ان شا الله تعالى فى بابه     وقال

يادار دار عليك ارهام الندى  *  واهتز روضك فى الثرى فترأدا

يقال ارهمت السماء اذا اتت بالرهمة وهو المطر اللين يقال رهمة ورهام كاكمة واكام فان قلت ارهام الندى كان ذلك سائغا فترأد تثنى لكثرة مائه وغضاضته ومنه امرأة رود الشباب اى غضة وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسج وقال البحترى

نشدتك الله من برق على اضم  *  لما سقيت جنوب الحزن فالعلم

وهذا بيت بارع اللفظ جيد المعنى وزاد فى جودته قوله نشدتك الله وقال ايضا

سقيت الغوادى من طلوع واربع  *  وحييت من دار لاسماء بلقع

وهذا ايضا بيت جيد اللفظ والمعنى ويدخل فى باب التسليم على الديار لقوله حييت من دار     وقال ايضا

اناشد الغيث هل تهمى غواديه  *  على العقيق وان اقوت مغانيه

وهذا بيت جيد   وقال ايضا

اقام كل ملث الودق رجاس  *  على ديار بعلو الشام ادارس

ملث دائم كثير ورجاس مصوت يريد الرعد وهذا بيت كثير الماء والرونق وقال ايضا

لا زم ربعك السحاب تجوده  *  تبتدى سوقه الصبا اوتقوده

وقال ايضا

سق دار ليلى حيث حلت رسومها  *  عهاد من الوسمى وطف غيومها

وهذان ابتداآن جيدان وليسا مثل ما تقدم     وقال ايضا

سق ربعها سح السحاب وهاطله  *  وان لم تخبر آنفا من يسائله

وهذا البيت ردى العجز من اجل قوله آنفا لانه حشو لا حاجة للمعنى به فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا وهما عندى متكافئان

﴿ فى لوم الاصحاب فى الوقوف على الديار قال ابو تمام ﴾

اراك اكثرت ادمانى على الدمن  *  وحملى الشوق من باد ومكتمن

وقال ايضا

ما عهدنا كذا نحيب المشوق * كيف والدمع آية المعشوق

هذا بيت ردئ جدا وقد ذكرت مافيه فى باب ما ذكرله فى وسط الكلام فى تعنيف الاصحاب على الوقوف على الديار وهـذا البيت ابتدآ وانما ذكرته هناك لان معناه يتضح بالابيات التى بعده فجعلته فى ذلك الباب وليس لابى تمام ابتدآء صالح فى لوم الاصحاب غير هـذين البيتين فاما البحترى فانه تصرف فيه فى ابتدآآت جياد حسان بارعة حلوة فمن ذلك قوله

فيم ابتـداركما الملام ولوعا * ابكيت الا دمنة وربوعا

وهذا بيت حسن وفيه سـؤال وهو ان يقـال انمـا لاموه على بكآئه على الدمنة والربوع فمـا وجه اعتذاره بانه لم يبك الا دمنـة وربوعا والجواب انه اراد ابكيت الا ما مثله يبكى وقد تقدمنى الناس فيه ولم ينكر ذلك على احد وقوله

خذا من بكائى فى المنـازل او دعا * وروحا على لومى بهن او اربعا

وهذا بيت جيد وقوله ايضا

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا * مقصرا فى ملامتى او مطبـلا

وهـذا بيت جيد حسن بارع اللفظ والمعنى وقد ذكرته ايضا فى باب الوقوف على الديار وقوله

احرى الخطوب بان يكون عظيما * قول الجهول الا تكون حليما

وقوله

ما انت للكلف المشوق بصاحب * فاذهب على مهل فليس بذاهب

وقوله

فى غير شـأنك بكرتى واصيلى * وسوى سبيلك فى السلو سبيلى

وقوله

بعض هـذا العتاب والتفنيد * ليس ذم الوفآء بالمحمـود

﴿ ولهما فى تأنيب العذال فى غير الوقوف على الديار ابتدآآت ليس بضـائر ذكرها ههنا فمن ذلك قول ابى تمام ﴾

تق جهـاتى لست طوع مؤنبى * وليس جنيبى ان عـذلت بمصحبى

وقوله ايضا

دأب عينى البكآء والحزن دابى * فاتركـنى وقيت مابى لمـا بى

وقوله ايضا

كفى وغاك فانني لك قالى * ليست هوادى عزمتى بتوالى

وقوله ايضا

لامته لام عشيرها وحميها * منها خلائق قد ابر ذميمها

وقوله ايضا

متى كان سمعى خلسة للوائم * وكيف صغت للعاذلين عزائمى

وقوله ايضا

قدك اتئب اربيت فى الغلوآء * كم تعذلون وانتم سجرآئى

وهذه كلها ابتدآات صالحة الا هذا البيت الاخير فان الناس عابوه وذكر ابو عبدالله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه ان ما عيب من ابتدآات الطآئى قوله كذا فليجل الامر وليفدح الامر * وقوله * خشنت عليه اخت ابن خشين فاما قوله خشنت عليه فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة وعهدت مجان البغداديين يقولون قليل نورة يذهب بالخشونة واما قوله كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس بعيب عندى وقد ذكرته فى ابتدا آت المراثى واخبرت بمعناه واما قوله قدك اتئب اربيت فى الغلواء فانها الفاظ صحيحة فصيحة من الفاظ العرب مستعملة فى نظمهم ونثرهم وليست من متعسف الفاظهم ولا وحشى كلامهم ولكن العلمآء بالشعر انكروا عليه ان جمعها فى مصراع واحد وجعلها ابتدآء قصيدة ولم يفرق بينها الا بفواصل فقال قدك اتئب اربيت فى الغلوآء فصار قوله قدك اتئب كانها كلمة واحدة على وزن مستفعلن وضم اليه اربيت فى الغلوآء فاستهجنت ولو جآء هذا فى شعر اعرابى لما انكروه لان الاعرابى انما ينظم كلامه المنثور الذى يستعمله فى مخاطباته ومحاوراته ولو خاطب ابو تمام بهذا المعنى فى كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه الا حسبك استحى زدت وغلوت وهذا كلام حسن بارع قال فمن شان الشاعر الحضرى ان ياتى فى شعره بالالفاظ المستعملة فى كلام الحاضرة فان اختار ان ياتى بما لا يستعمله اهل الحضر فمن سبيله ان يجعل من المستعمل فى كلام اهل البدو دون الوحشى الذى يقل استعمالهم اياه وان يجعله متفرقا فى تضاعيف الفاظه ويضعه فى مواضعه فيكون قد اتسع مجاله بالاستعارة ودل على فصاحته وعلمه وتخلص من الهجنة كما ان الشاعر الاعرابى اذا اتى فى شعره بالوحشى الذى يقل استعماله

اياه فى منثور كلامه وماجرى دائما فى عادته هجنه وقبحه الا ان يضطر الى اللفظة واللفظتين ويقلل ولا يستكثر فان الكلام اجناس اذا اتى منه شئ مع غير جنسه باينه ونافره واظهر قبحه وقد تصرف البحترى فى هذا الباب احسن تصرف وابلغه واعجبه فمن ذلك قوله

اناركى انت ام مغرى بتعذيبى * ولائمى فى هوى ان كان يردى بى

وقوله ايضا

يفندون وهم ادنى الى الفند * ويرشدون وما العذال فى رشد

وقوله ايضا

انما الغى ان تكون رشيدا * فانقصا من ملامتى او فزيدا

وقوله ايضا

الم يك فى وجدى وبرح تلددى * نهاية نهى للعدو المفند

وقوله ايضا

مرنت مسامعه على التفنيد * فقضى الملام لاعين وخدود

وقوله ايضا

شغلان من أعذل ومن تفنيد * ورسيس حب طارف وتليد

وقوله ايضا

اقصرا ليس شأنى الاكثار * واقلا لن يغنى الاكثار

وقوله ايضا

قلت للائم فى الحب افق * لاتهون طعم شئ لم تذق

وقوله ايضا

اما كان فى تلك الربوع السوائل * بيان لناء او جواب لسائل

وقوله ايضا

اكثرت فى لوم المحب فاقلل * وامرت بالصبر الجميل فأجمل

وقوله ايضا

رويدك ان شانك غير شانى * وقصرى لست طاعة من نهانى

وقوله ايضا

يكاد عاذلنا فى الحب يغرينا * فما لجاجك فى لوم المحبينا

وقوله ايضا

عـذيرى فيـك من لاح اذا ما * شكوت الحب قطعنى ملاما

وقوله ايضا

طفقت تلوم ولات حين ملامه * لا عنـد كرته ولا اجامه

ولا خفـاء بفضل البحترى فى هذا البـاب على ابى تمام وقد مضت الموازنة بين الابتدآات بذكر الديار والآثار واما الان فاذكر ماجاء عنهما من ذلك فى وسط الكلام

﴿ ما قالا فى اوصاف الديار والبكاء عليهـا قال ابو تمام ﴾

طلل الجميل لقـد عفوت حميدا * وكفى على رزئى بذاك شهيدا

دمن كان البين اصبح طالبـا * دمنـا لدى آرامهـا وحقودا

قربت نازحة القلوب من الجوى * وتركت شأو الدمع فيك بعيدا

خضلا اذا العبرات لم تبرح لهـا * وطنـا سرى قلق المحل طريدا

وقوله وكفى عـلى رزئى بذاك شـهيدا ليس بالجيد وقد ذكرت معناه فى باب الابتدآات عنـد ذكر البيت وقوله قربت نازحة القلوب من الجوى يريد القلوب التى بعد عهدها بمرض الحب فاربتهـا من ذلك عند الوقوف عليـك بمخاطب الدمن وقوله وتركت شـأو الدمع فيك بعيـدا اى دائما طويلا وقوله خضلا اذا العبرات لم تبرح لهـا وطنا سرى قلق المحل طريدا اى من كان انما يبكى فى وطنه على الحوادث التى تحدث عليه فيه سرى هذا الدمع قلق المحل اذا عسف المسير لطوله حتى يحل بهذه الدمن وهذا نحو من قوله

فما وجدت على الاحشـاء ابرد من * دمع على وطن لى فى سوى وطنى

فقوله على وطن يعنى الرسـوم والطلول التى يقف عليهـا وهذا من جيد الفـاظه وصحيح معـانيه وغرضه فيمـا وصف من الدمع غرض صحيح واحسن منه واغرب قوله

اما الرسوم فقد اذكرت ماسلفا * فلا تكفن من شـأنيك او يكفـا

لا عـذر للصب ان يفنى السلو ولا * للدمع بعد مضى الحى ان يقفـا

حتى يظـل بمـاء سـافح ودم * فى الربع يحسب من عينيه قد رعفا

وهذا المعنى ليس له وانما اخذه من قول ابى وجزة

عيون ترامى بالرعاف كأنها * من الشوق صردان تدب وتلمع

قيل فى تفسيره شبه الدمع وقد عصفره الدم بالرعاف وشبه العيون وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه اخرى بالصردان تنتفض تارة وتظهر عرضا من الارض تارة وبيت ابى تمام اجود لفظا ونظما ولا اظن البحترى ذهب الى مثل هذا المعنى ولا للمعنى الذى قبله ولكنه يعتذر مدة بقلة دمعه ومرة بذكر كثرته ويفتخر بغزره وفى كل ذلك يحسن ويجيد فمن اعتذاره قوله فى قصيدته التى اولها

فيم ابتداركما الملام ولوعا * ابكيت الا دمنة وربوعا

يادار غيرها الزمان وفرقت * ايدى الحوادث شملها المجموعا

لوكان لى دمع يحسن لوعتى * خليته فى عرصتيك خليعا

لاتخطبى دمعى الى فلم يدع * فى مقلتى جوى الفراق دموعا

قوله فى ابتداء القصيدة ابكيت الا دمنة وربوعا قد اخبرانه بكى ثم قال لوكان لى دمع يحسن لوعتى اى لوكان لى دمع غزير يليق بلوعتى وينبئ عنها وكذلك قوله فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا اى دموعا كافية ارضاها او دموعا تسعنى لانه استقل دمعه واستنزره وان يكون انقطع دمعه ولله در كثير اذ يقول

وقضين ما قضين ثم تركننى * بفيفا جريم واقفا اتلدد

ولم ارمثل العين ضنت بمائها * على ولامثلى على الدمع يحسد

وقال ابو تمام

اقشيب ربعهم اراك دريسا * تقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

ولئن حبست على البلى لقد اغتدى * دمعى عليك الى الممات حبيسا

وارى رسومك موحشات بعدما * قد كنت مألوف المحل انيسا

وبلاقعا حتى كأن قطينها * حلفوا يمينا احلقتك غموسا

وهذا كلام رصين وقوله حلفوا يمينا احلقتك اى كأنهم حلفوا يمينا ان لا يعودوا اليك فاحلقك ذلك ومن حلو معانيه وجيد الفاظه فى البكاء على الديار قوله

دمن لوت عزم الديار ومزقت * فيها دموع العين كل ممزق

وقال ايضا

سقى عهد الحمى سيل العهاد * وروض حاضر منه وبادى

نزحت به ركى العين انى * رايت الدمع من خير العتاد

وهذا البيت فى غاية الجودة لفظه ومعناه الا انه وصله بكلام غليظ فقال

فياحسن الرسوم وما تمشى * اليها الدهر فى صور البعاد

وهذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة ومعناه فياحسن الرسوم ولم يمش اليها الدهر اى لم يصبها الدهر ببعد اهلها عنه فاخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن

﴿ ومن احسان ابى عبادة المشهور فى هذا قوله ﴾

امحلتى سلمى بكاظمة اسلما * وتعلما ان الهوى ما هجتما

هل ترويان من الاحبة هائما * او تسعدان على الصبابة مغرما

ابكيكما دمعا ولو انى على * قدر الجوى ابكى بكيتكما دما

﴿ ومن جيد شعر ابى تمام ايضا فى هذا الباب قوله ﴾

ارامة كنت مألف كل ريم * لو استمتعت بالانس القديم

ادار البؤس حسنك التصابى * الى فصرت جنات النعيم

لئن اصبحت ميدان السوافى * لقد اصبحت ميدان الهموم

ومما ضرم البرحاء انى * شكوت فما شكوت الى رحيم

اظن الدمع فى خدى سيبقى * رسوما من بكاى فى الرسوم

وهذا من اسهل الكلام واسلس نظمه ومن ابعد قول من التكلف والتعسف واشبهه بكلام المطبوعين واهل البلاغة وقوله فصرت جنات النعيم معنى حسن ولكن فيه اسراف ان يجعل دارا خلت من اهلها دار بؤس وهو باك فيها جنات النعيم وقد اتى البحترى بهذا المعنى متبعا فيه ابا تمام ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال واجتنب افراطه فقال

يامغانى الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عندى ملوما

الف البؤس عرصتيك وقد كنت بعينى جنة ونعيما

فقال الف البؤس عرصتيك ثم قال وقد كنت بعينى جنة ونعيما فجعلها جنة ونعيما فيما مضى ومع هذا فانى اقول ان بيت ابى تمام احسن وهو فى سائر ابياته اشعر وقال البحترى

لعمرك ان الدارسات لقد غدت * بريا سعاد وهى طيبة العرف

بكينا فمن دمع يمازجه دم * هناك ومن دمع يجود به صرف

وهذا حسن جدا وانما اخذ قوله بريا سعاد وهى طيبة العرف من قول الآخر

انشده الاخفش عن المبرد

واستودعت نشرها الديار فما * تزداد الا طيبا على القدم

وهذا اجود من بيت البحترى لما فيه من الزيادة الحسنة وهى قوله فما تزداد الا طيبا على القدم

وقال البحترى

ترى الليل يقضى عقبة من هزيعه * او الصبح يجلو غرة من صريعه
او المنزل العافى يرد انيسه * بكاء على اطلاله وربوعه
اذا ارتفق المشتاق كان سهاده * احق بجفنى عينه من هجوعه

وهذا معنى نخل ومعان فى غاية الصحة والاستقامة وللبحترى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهب اخر وهو قوله

ابكاء فى الدار بعد الدار * وسلوا بزينب عن نوار
لا هناك الشغل الجديد بحزوى * عن رسوم برامتين قفار
ما ظننت الاهواء قبلك تمحى * من صدور العشاق محو الديار
نظرة ردت الهوى الشرق غربا * واما لت نهج الدموع الجوارى

وهذا غرض حلو ومعنى لطيف ومثله قوله ولكن ليس فيه ذكر البكا

ابيت باعلى الحزن والرمل دونه * مغان لهما مجفوة وطلول
وقد كنت ارجو الريح غربا مهبها * فقد صرت اهوى الريح وهى قبول

وذلك لان القبول هى الصبا ومهبها من مطلع الشمس ونحوه قوله

كلفتنى اريحيات الصبا * كلفا فى الحب ممتد الرسن
نقلتنى فى هوى بعد هوى * وابتغت لى سكنا بعد سكن

وقوله

ما ظننت الاهواء قبلك تمحى * من صدور العشاق محو الديار

معنى حسن وانما اخذه من قول ابى تمام

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت * منها طلول باللوى ورسوم

وبيت البحترى احلى وابدع وقال البحترى فى وجه آخر وهو ايضا حسن لطيف

فى كل يوم دمنة من حبهم * تقوى وربع بعد هم يتأبد
او ما كفانا ان بكينا غردا * حتى نجتنا بالمنازل نهد

ومثله

هو الدمع موقوفا على كل دمنة * تعرج فيها اوخليط تزايله
تزافهم خفض الزمان ولينه * وجادهم طل الربيع ووابله

وانما حذا البحتري هذا المعنى على حذو قول كثير

وكنت امرءا بالغور مني صريمة * واخرى بنجد ما لعينيك ما تبدي
فطورا اكر الطرف نحو تهامة * وطورا اكر الطرف كرا الى نجد
وابكي اذا فارقت هندا صبابة * وابكي اذا فارقت دعدا على دعد

وهذا ما لا مزيد فيه على حسنه وطلاوته ومثله قول جرير

اخالد قد علقتك بعد هند * فشيبني الخوالد والهنود
هوى بتهامة وهوى بنجد * فقتلنني التهائم والنجود

وقال

احب ثرى نجد وبالغور حاجة * فغار المعنى عبد قيس وانجدا

﴿ وهذا باب في وصف اطلال الديار وآثارها قال ابو تمام ﴾

قفوا نعطي المنازل من عيون * لها في الشوق احساء غزار
عفت آياتهن واي ربع * يكون له على الزمن الخيار
اثاف كالخدود لطمن حزنا * ونؤي مثل ما انفصم السوار

قوله احساء جمع حسي وهو الماء يغيض في الرمل فاذا وصل الى الصلابة وقف فيحفر عنه ويشرب

وقال البحتري

عوض منهم خسيس وقد حلوا اللوى منزل بوجرة عافي
لم تدع منه مبليات الليالي * غير نؤي تسفي عليه السوافي
واثاف اقت لها حجج دون لظى النار مثل كالا ثافي

وقوله مثل قائمة ثابتة كالاثافي يريد الكواكب التي عند الفرقدين وهي ثلاثة قيل لها اثاف لشبهها بالاثافي فشبه البحتري الاثافي بها لثبوتها وانها مثل على مر الدهر قال ابوحنيفة الدينوري في كتابه في الانواء ان تثليثها طولا ولو شبهها البحتري بالنسر الواقع لانه اشهر واظهر واقرب شبها لكان ذلك احسن واكشف للمعنى من ان يشبهها بشئ انما استعير له اسمها وليس يعرفه كل احد ولكنه جاءه

من اجل القافية وقال البحترى

لها منزل بين الدخول فتوضح * متى نره عين المتيم تسفح
عفا غير نؤى دارس فى فنائه * ثلاث اثاف كالحمائم جنح

وهذا جيد حسن على منهج الشعراء واظنه اخذه من قول عدى بن زيد

وثلاث كالحمامات بها * بين مجثاهن توشيم الحمم

وابن الاعرابى قال لايكون مجثاهن انما هو مجراهن او من قول ابى نواس

كما اقترنت عند المبيت حمائم * كبيرات تمسى بينهن وكون

وهذا اجود من بيت عدى ومن بيت البحترى وقد شبه الاثافى بالحمائم غير واحد من الشعراء والبالغ النادر فى وصف الاثافى قول كثير

امن ال قيلة بالدخول رسوم * وبحومل طلل يلوح قديم
لعب الزمان برسمه فاجده * جون عواكف فى الرماد جثوم
سفع الخدود كانهن وقد مضت * حجج عوائد بينهن سقيم

قوله فاجده جون عواكف يعنى الاثافى لان الريح لما كشفت عنها ظهرت سودآ شبهها بالعوائد والجون الاسود والجون الابيض وهو من الاسماء المترادفة (لعله المتضادة) قال الاصمعى ويقال غابت الجونة وطلعت الغزالة يعنى مغيب الشمس وطلوعها وهما اسمان من اسماء الشمس وانما سميت الشمس جونة عند الغروب لانه يعرض فيها من تغير اللون الى السواد

كمل كتاب الموازنة بين شعرى ابى تمام وابى عبادة البحترى الطائيين
مما الفه ابوالقاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى
رحمه الله تعالى والحمد لله وحده

